محمد بن ناصر العبودي

كنت في ألبانيا

رحلة وحديث عن الإسلام بعد سقوط الشيوعية

الطبعة الاولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

اهداءات ٢٠٠٤

المستشار الثقافى السعودي
محمد عبدا لعزيز العقيل
المملكة العربية السعودية

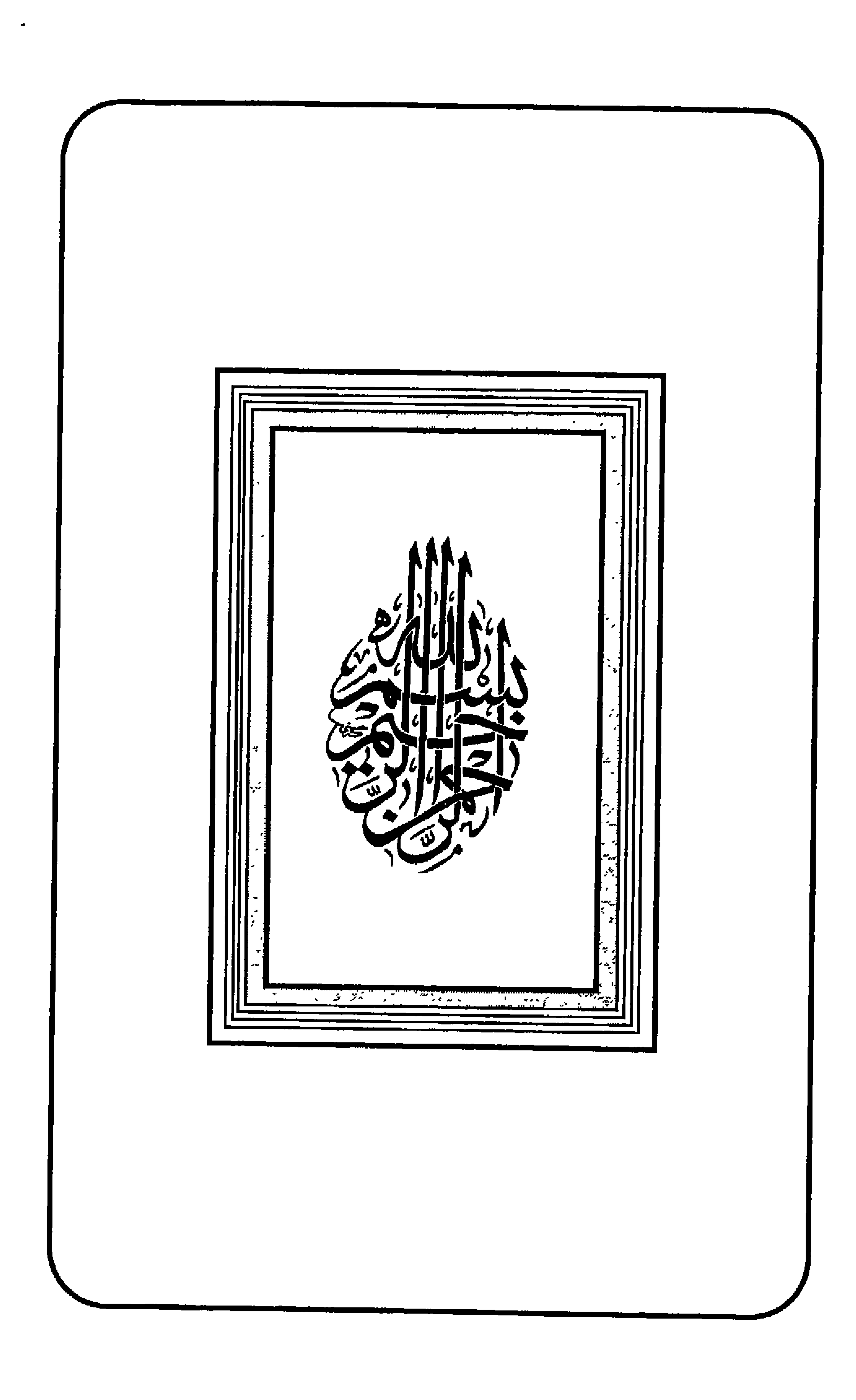
كنت في ألبانيا

رحلة وحديث عن الإسلام
بعد سقوط الشيوعيّة

بقلم
محمّد بن ناصر العبودي

الطبعة الاولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، الذي فضلنا على الخلق اجمعين بما اعطانا من هذا الدين المبين، وما منحنا من التمكين، لنشره في الخافقين.

وصلى الله على عبده ورسوله الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن البانيا كانت قد ابتليت من الشيوعية بأكثر وأكبر مما ابتلي به غيرها على الاطلاق.

ولذلك كنا حاولنا أن نزورها ونطلع عن كثب على أحوال المسلمين من أهلها الذين هم الأكثرية بين سكانها وذلك ضمن ما كنا أزمعنا زيارته من اقطار شيوعية واقعة في أوروبا الشرقية منذ سنوات فقطعنا تذاكرنا إليها، وكتبت وزارة خارجيتنا إلى سفارتنا في أثينا لتتصل بسفارة البانيا هناك تطلب منها أن تكرم فتمنحنا سمة دخول إلى أراضيها، فامتنعت سفارتهم عن ذلك قائلة: إنها لاتمنح سمات دخول لأناس لونهم لون ديني لأنه لامكان للدين في دولتهم.

فزرنا دول أوروبا الشرقية الأقل في عدد المسلمين وتركنا البانيا مرغمين وذلك في عام ١٤٠٥ للهجرة ١٩٨٥ للميلاد.

ثم ذهبت في زيارة للإتحاد السوفيتي عام ١٤٠٦هـ على رأس وفد رسمي من رابطة العالم الإسلامي وبعده زرنا بولندا، وحاولنا أن نعرج على البانيا فلم نستطع التعريج لأن أهلها يمنعون من يريد الولوج، فضلاً عن الخروج.

وشاء الله تعالى أن يصيب ألبانيا ما أصاب غيرها من البلدان الشيوعية التي كفرت بالشيوعية وأعلنت إفلاس هذا المذهب الشرير الذي ينكر على الإنسان حريته في اعتقاده ويجعله عبداً أسيراً في بلاده.

فكانت (البانيا) آخر تلك الأقطار الشيوعية الأوروبية فكاكا من ذلك الإسار، لذلك كان لابد لنا من زيارتها بدون انتظار.

فأخذنا معنا شيئًا من المال بعد أن كنا قد جربنا الإتصال تلو الاتصال بمفتي ألبانيا الذي خرج من السجن إلى الإفتاء ولكنه مثل غيره من إخوانه في الوطن بل مثل وطنهم كله خرج مهيض الجناح، معتل الصحة، لايرجى له أن يعود إلى صحته، ويبل من علته إلا بعد حين.

وكان رفيق الرحلة هنا هو رفيق الرحلة في أوروبا الشرقية كلها الأستاذ رحمة الله بن عناية الله المعني بشئون الأقليات العددية المسلمة في أوروبا الشرقية بل في كل البلدان الشيوعية.

وهو معي الآن وحده وكان معنا وفد كبير في كل الزيارات لأقطار أوروبا الشرقية ماعدا الرحلة الألبانية هذه، لأنها رحلة أنشأناها إنشاء إلى البانيا من بلادنا ثم العودة بعد زيارتها وحدها.

وسوف أقص عليك أيها القارئ الكريم قصة هذه الرحلة كما تعودت أن أفعل ذلك في أقطار أخرى مثلها وتعودت أن أسمع منك مايدل على حسن ظنك أو الأقل حسن مجاملتك في معاملتك لما كنت تقرأ لي من كتاب، والله أعلم بالصواب.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

البانيـــــا

تقع جمهورية البانيا على الساحل الغربي من شبه جزيرة البلقان المطل على مدخل البحر الادرياتيكي الذي يفصلها عن ايطاليا، وتحدها من الشمال والشرق يوغسلافيا ومن الجنوب اليونان.

وعاصمتها : تيرانا - ويبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ومائتي ألف نسمة.

تبلغ مساحة جمهورية البانيا حوالي ٢٨,٧٤٨كم^{٢} - وهي جزء من البانيا الكبرى التي تبلغ مساحتها الاجمالية نحو ٦٢,٥٠٠كم^{٢}، وتقع بين خطي طول ١٩ - ٢٢ من الغرب إلى الشرق وخطي عرض ٣٩ - ٤٣ وقد قسمت البانيا الكبرى في معاهدة لندن عام ١٩١٣م إلى ثلاث مناطق هي :

١ - جمهورية البانيا المستقلة :

٢ - المنطقة الجنوبية المعروفة باسم «جوموريا والحقت باليونان».

٣ - المنطقة الشرقية ضمت إلى يوغسلافيا التي قسمتها بدورها إلى ثلاثة أجزاء، فالحقت اثنتين منها بجمهوريتي مقدونيا والصرب، والجزء الثالث منحته الاستقلال الذاتي باسم ولاية كوسوفا المتمتعة بالحكم الذاتي.

والبانيا أرض جبلية تتألف من سلاسل جبلية تعتبر امتداداً لسلاسل جبال الألب الدينارية، وتصل أعلى قمة فيها إلى ٣٠٢١متراً في جبل كوريب بالبانيا. كما تمتد هذه الجبال من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي على شكل خطوط تفصل بينها الأودية، حيث تتخللها انهار كثيرة أهمها بوجانا ودرين وشكومبي وويغول، وكذلك توجد بها بحيرات عديدة أهمها بحيرة اسكتاره ومساحتها ٣٦١كم^{٢} - كما أن المياه تملأ بعض المناطق المنخفضة بين الأودية فتؤلف بحيرات واسعة مثل شكودرا في الشمال - واوهريد في الشرق.

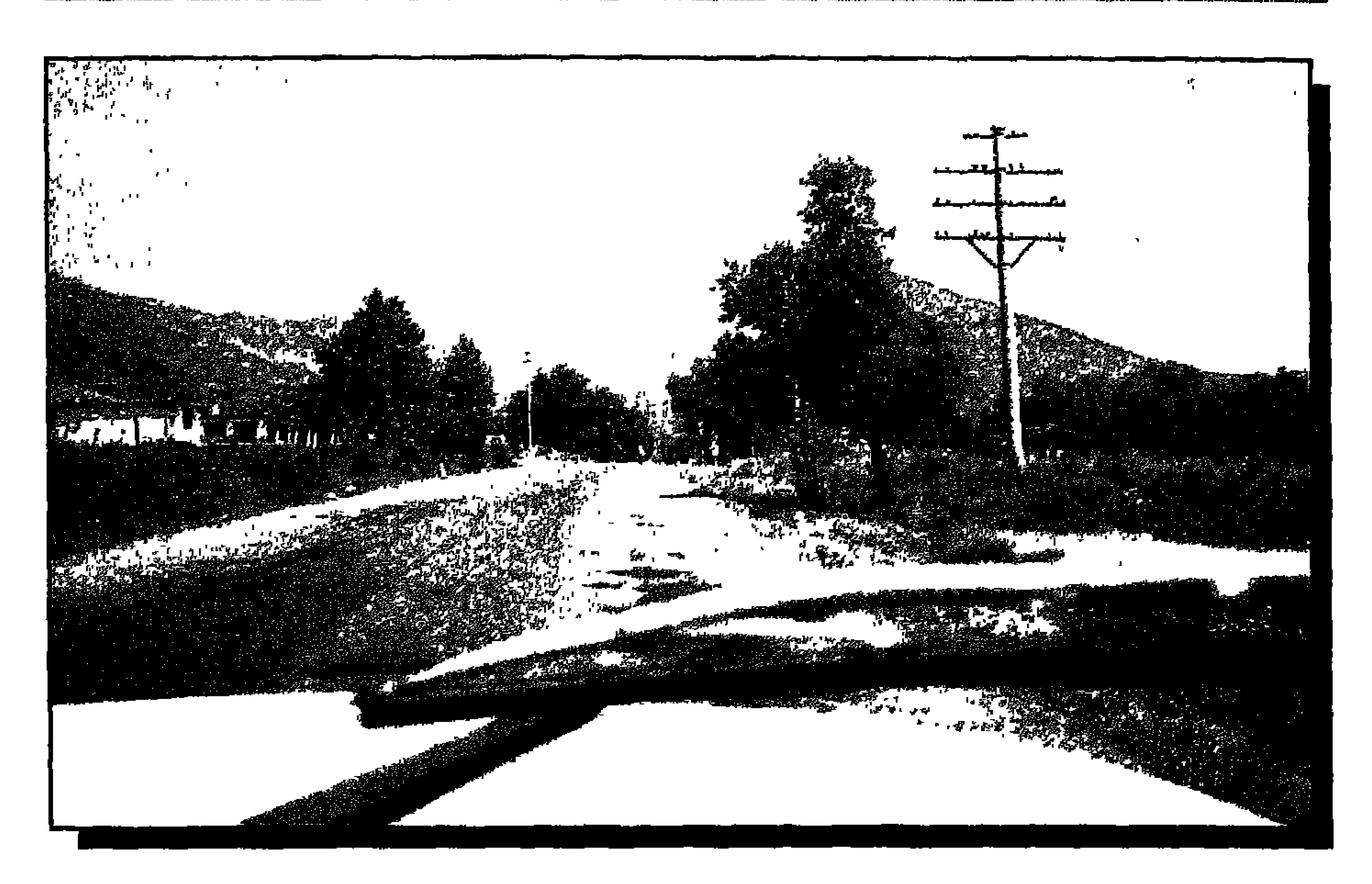


الوديان الخضر بين الجبال الخضر في آلبانيا

وهذه البلاد التي تقدر المناطق السهلية فيها بحوالي ٢٠٪ من مساحتها الكلية تتصف بصعوبة المواصلات بين أطرافها وقلة الطرق البرية البعيدة، كما أن كثرة المستنقعات في الساحل والجبال التي تطل على البحر مباشرة ادت إلى قلة الموانئ الطبيعية وأهم المواني فلورا ودورس.

مناخ البانيا - هو امتداد لمناخ البحر الأبيض المتوسط، فصيفها حار جاف وشتائها معتدل مطير، ولاتتجاوز الرطوبة الساحل كثيراً لأن المرتفعات تشكل حاجزاً طبيعيًا في تجاوزها إلى الداخل، وفي الشتاء يكسو الثلج قمم الجبال، وتهب الرياح الشمالية الشرقية على البلاد عقب المنخفضات الجوية.

وتنمو الأشجار التي تشكل الغابات المتوسطة على سفوح الجبال والهضاب وتغطي المراعي ٣٠٪ من مساحة الأراضي في البلاد، وينتقل الرعاة بقطعانهم من الأغنام والماعز والابقار بين الاودية شتاء والمرتفعات صيفا ويعمل ٩٠٪ من الالبانيين في الزراعة مع أن الأراضي الزراعية لاتعادل إلا ١٥٪ من مساحة البانيا، إلا أن الزراعة هي الحرفة الرئيسية ومن أهم محاصيلها الزراعية القمح والذره والشمندر السكري والقطن والأرز.



صورة التقطها المؤلف من السيارة وهي تسير للطريق بين البسان وليبراج

وتحتضن البانيا من الثروات المعدنية البترول والفحم والحديد والنحاس والكروم والنيكل وأما الصناعة فتقوم على تكرير البترول وعصر الزيتون والسكر والمنسوجات الصوفية والقطنية.

تنقسم البانيا من الناحية الإدارية إلى ٢٦ مقاطعة - يتولى إدارة كل مقاطعة منها مجلس محلي منتخب. أما مجلس الشعب الالباني وهو بمثابة الجمعية العامة فيضم ٢٥٠ عضواً ويمارس السلطة التشريعية أما السلطة التنفيذية فهي بيد مجلس الوزراء.

وتعتبر اللغة الألبانية فريدة من بين مجموعات اللغات العالمية فليست شقيقة للغة أخرى حية معاصرة مثلما أن العربية شقيقة اللغات السامية كالسريانية والأشورية والتقرينية - لغة ارتيريا وتقراي التي هي فرع من الحبشية.

وكذلك القول بالنسبة إلى الإسبانية التي هي شقيقة للايطالية والبرتغالية ولغة رومانيا.

وإنما قرابة اللغة الألبانية باللغة المقدونية التي هي فرع من اللغة الإغريقية القديمة كما توجد لها علاقة أضعف باللغة الأرمنية.

وتحفل اللغة الألبانية بكلمات عربية كثيرة منشؤها ديني إلاَّ أن هذه الكلمات أو أكثرها ماتت أو هي تحتضر، بسبب السياسة الشيوعية الإلحادية المعادية للدين التي حاربت كل مايمت إلى الدين بصلة.

وسوف ننقل في اليوميات ماسمعته من الأخ الشيخ وهبي سليمان الغاوجي الذي قابلته في مدينة (شكودره) وذكر لي أن هذه هي المرة الأولى التي يزور فيها بلاده (البانيا) منذ حوالي خمسين سنة وأنه وجد اللغة الألبانية قد تغيرت خلال هذه العقود من السنين حيث أميتت كلمات كثيرة منها، ودخلتها كلمات غربية أوروبية كثيرة قال: وذلك لدى المثقفين وسكان المدن أما سكان الريف فإن لغتهم أقل تغيراً من غيرها.

وهذه نماذج لألفاظ عربية موجودة الآن في اللغة الألبانية :

اللفظ الألباني	اللفظ العربي
جَبْ	جيب
جَامْ	جام
جَامِيْ	جامع
سَاحَت	ساعة
قَافَهْ	قهوة
فُوسْتَانْ	فستان
قُمْيشْ	قميص
شَالْلْ	شال
مَنْدَلْ	منديل
قَنْدَلْ	قنديل
ياتْليجَانَ	باذنجان
صَبَحْ	صباح
سْبِيْنَاكْ	سبانخ
قُومُورِيْ (طير)	قميري
صَحَنْ	صحن
صفرة (لسفرة الطعام)	سفرة
سنىْ	سينى
تَاَجْ	تَاج
مرحبا (عند المسنين)	مرحبا
تْشُوراپْ	جورب
زَنْجيْرْ	زنجير
انْسانْ (عند المسنين)	انسان
قَونْدْرا (عند المسنين)	قندرة (خف)
مَلْهَمْ (عند المسنين) (للعلاج)	ملهم

اللفظ الألباني	اللفظ العربي
رَامازانْ جُوما كافر (عند المسنين) مَوْلُودْ	رمضان جمعة كافر مولد النبي

كما نقدم نماذج من الألفاظ الألبانية مكتوبة باللفظ العربي واللفظ الألباني مع معانيها للاطلاع على بعض الألفاظ ومعانيها في هذه اللغة.

كوُتَتْ =QyTET = مدينة KRYEQYTET = عاصمة قرُءَ كُوتَتْ = رروُغْ = RRUGE = طريق = RRUGICE = أزقة رروُغيتْسْ = SHTEPI : شْتُبي = (بيت دار منزل) BANESE: = مَسْكَنُ بانَسُ = ديْتْ = DITE = يَوم دنَاةُ = NATE = ليل ياوْه = JAVE : أسبوع مُوأيْ : MUDJ : شَهْرُ أديَلُ : EDJELE : يوم الاحد آهُنْ : EHENE: يوم الثاني آمارْتْ : EMARTE : يوم الثلاثاء = EMERKURE = يوم الأربعاء آمَرَفْوُر = آآيْتَ = eEJTE = يوم الخميس	زُوتْ = ZOT = اله ڤ = fe = ديْنّ بْرُوفَتْ = PZOFET = نبي بُوكْ = Bake = خبز أوُيْ = U J E = ماء ليبَرْ = LIBER = كتاب = SHKRIMTAR = كاتب شْكْريمْتارْ = أوذُتَيمْ = UDHETIM = رحلة = MENGJES = مَنْغيَــسْ صَبَاحُ = MIRE MEWGJES =صبـاح الخير ميرْ مَنْغيس = = MBREMJE = مَساء مْبْرَمْيَه = = MIRE MBREMA = مـسـاء الخير ميرْمْبْرَمَا = = TUNGJATJETA = طالَ عمرك تُونْجاتْيَتا =

= Eshtune = يوم الجمعة

أبْرَمْتَ =

Eshtune = يوم السبت

آشْتُونْ

= MIREU PAFSHIM = إلــــى

اللقاء مع السلامة

= Mire se ardhe = أهلا وسهلا

مِيرْسَ آرْذَهْ =

= TE FALA = بلغ سلامي

تُهْ ڤالا =

سكان البانيا :

يصل عدد الالبانيين في العالم إلى سبعة ملايين نسمة تقريبًا ويبلغ سكان جمهورية البانيا وحدها ٣,١٨٢,٤١٧ نسمة حسب إحصاء عام ١٩٨٩م ويحتمل أن يصل عددهم إلى أربعة ملايين نسمة في مطلع القرن القادم، إذ يتكاثر الالبانيون بمعدل يزيد أربعة أضعاف معدل المواليد في أوروبا ، ويأتي التكاثر في المقام الأول من المسلمين وهم يمثلون الأغلبية في البلاد.

وإلى جانب الالبانيين توجد في البانيا أقليات من الترك واليونان والصرب والرومان والبلغار والغجر.

ينتمي الالبانيون الذي يعرفون في العالم الإسلامي بالارناؤوط ويطلقون على انفسهم اسم «سكيتبار» إلى العناصر الاليريه القديمة التي سكنت جنوب أوروبا الشرقية، ويتميزون مثل السلاف الجنوبيين بطول القامة مع نحافتها واستدارة الرأس وتقوس الأنف، وهو الأنف الأقني عندنا نحن العرب وهو الذي يكون وسطه مرتفعًا ، ويعرف عند عوام الكتاب من بني قومنا بالأنف الروماني، وهو عند الألبانيين أكثر ارتفاعًا واعلاه أكثر دقة، وذلك إلى جانب صدر ضيق وهو مايسميه الأطباء بالقفص الصدري، ومن خصائص الجنس الألباني الواضحة سعة الفكين وتطامن الوجنتين إلى جانب بياض البشرة.

وينقسم الالبانيون إلى مجموعتين لغويتين هما :

- غنجاريا وهي لهجة الشمال وتعرف بامس غيغ. وتوسكاريا وهي لهجة الجنوب وتعرف باسم التوسك، وتقوم اللغة الالبانية الرسمية على لهجة التوسك.

وتبلغ نسبة المسلمين في البانيا ٨٠٪ من عدد السكان، يليهم النصارى الارثوذكس ١٥٪ والنصارى الكاثوليك ٨٪ من جملة السكان.

وثيقة حكومية :

ذكرت نشرة حكومية كلامًا عن عناصر السكان في البانيا في الوقت الحاضر رأيت من المفيد إيراده هنا ، قالت: إن سكان البانيا من الوجهة السلالية متجانسون للغاية: ٩٨ بالمئة منهم البانيون سلاليا ، وقد استنبطت هذه النسبة المئوية من تسجيل السكان العام الذي نظم أثناء السنة الماضية، حيث تم تسجيل السلالة طبقًا للرغبة الحرة لكل مواطن في تحديد سلالته.

وتحتل الأقليـة اليـونانيـة، طبقًا لتسـجيل عـام ١٩٨٩م المكان الرئيـسي (٥٨٧٥٨ نسـمة) يعـيشون بصـورة رئيسـيـة في جنوب البانيـا ، ٣٦٥٣١ نسـمة في مدينة ساراندا وقرى مقاطعتها و١٩٩٢١ نسمة في مقاطعة جيرو كاستـرا و٤٢٢ نسـمة في مقاطعة بزميت، ويعيش ويعمل ما يعادل ١٨٦٤ نسـمة من الأقليـة اليـونانيـة في مختلف مناطق البلاد ، وما يقارب ثلاثـة أرباع مجموع عـدد أفـراد الأقليـة اليـونانيـة يعـيشـون في ١٥ قـرية من القـرى الموجـودة في مقاطعتي ساراندا وجيروكاسترا ويقيم مايعادل ١٦ بالمئة منهم في مركزي هاتين المقاطعتين.

أما المكان الثاني بين غيـر الالبانيين فـتحتله الأقليـة المكدونيـة بما يعـادل ٤٦٩٧ نسمة يعيشون بصورة رئيسية في قريتي ليكيناس وغوريتسا الواقعتين قرب بحيرة بريسبا بمقاطعة كورتشا ، وما يعادل ١٤ بالمئة من مجموع عدد المكدونيين يعيشون في مختلف مناطق البلاد .

ويعيش أفراد الأقليـة الصربيـة والمونتينيغرية (قرابة ١٠٠ نسـمة) وأفراد سائر القوميات (قرابة ١٢٦٠ نسـمة) منتشرين في جميع أنحاء البلاد .

وقد ازداد عدد الالبانـيين أثناء الفترة بين التسـجيلين الأخيرين بمعدل سنوي قدره ٢,١ بالمئة بينما كان المعدل السنوي لنمو السكان غير الالبانيين منخفضًا (١,٧ بالمئة). ويرجع سبب المستوى المنخفض لنسبة الولادات بين السكان غير الالبانيين إلى خصوصية من السلالة طبقًا للرغبة الحرة لكل مواطن في تحديد سلالته.

ونسـتنبط من تسـجيلات السكان عـام ١٩٥٠ إلى التسـجيل الأخيـر هذه اللائحة :

مواعيد التسجيل	عدد السكان اجمالا	طبقًا للقومية		نسبة عدد الاقليات إلى مجموع عدد السكان بالألف
		البانيون	غير البانيين	
١٩٥٠	١٢١٨,٩	١١٨٣,٧	٣٢,٥	٢,٩
١٩٦٠	١٥٨٤,٧	١٦٢٦,٣	٤٤,٦	٢,٧
١٩٧٩	٢٥٩٠,٦	٢٥٣٥,٩	٥٤,٧	٢,١
١٩٨٩	٣١٨٢,٤	٣١١٧,٦	٦٤,٨	٢,-

حلقات منظومة التعليم:

تنعكس هذه الخصوصية التي تميز مستوى التعليم على انتشار الخبراء ذوي التعليم العالي من الأقليات على نطاق أوسع، وهكذا فعدد الخبراء ذوي التعليم العالي من أفراد الأمة الألبانية يبلغ ٢٦٨ لكل (١٠,٠٠٠) نسمة، وفي سكان الأقلية اليونانية يبلغ ٣٨٨, والأقلية المكدونية ٢٩٨.

وثمة اختلافات كذلك في التركيبات الديموغرافية الأخرى للسكان غير الالبانيين، وهكذا فإذا خص كل ١٠٠٠ أنثى من القرويين الألبان ١٠٧٨ ذكرا، فهذا المؤشر عند الاقليات الوطنية التي تقيم في القرى أكثر اعتدالا: لكل ١٠٠٠ أنثى من الأقليتين اليونانية والمكدونية ٩٩٥ ذكرا.

وفيما يتعلق بالتركيب العام لسكان القرى (على صعيد الجمهورية) فجماعة سن العمل الانشط(٢٠) إلى (٦٠) سنة تشكل ٤٦٪ وهذا الصنف من السكان الذي يشكل المصدر الرئيسي للعمل يشكل المصدر الرئيسي للعمل يشكل ٥٤٪ وبالتالي فكل ذي عمل من الأقلية اليونانية والمكدونية يصل ١٠٨٧ شخص مقابل ٢,٢ شخص للمستوى العام على صعيد الجمهورية. وهي من التقاليد المعروفة، واستناداً إلى تسجيل السكان عام ١٩٨٩م، انجبت المرأة الالبانية في سن الانجاب (بين ١٥ و٤٩ سنة) مايعادل ٣,٢ أطفال على المتوسط، بينما أنجبت المرأة من القومية اليونانية أو المكدونية ٢,٧ على المتوسط.

وتتمتع الأقليات الوطنية بجميع الحقوق والحريات التي يتمتع بها السكان الالبانيون من التعليم وضمان العمل التام والاسهام في حياة البلاد السياسية والاجتماعية وصون اللغة والعادات، بل ويجدر بالذكر أن سكان الأقلية، فيما يتعلق بالتعليم مفضلون على السكان، وهذا الذي يظهر من اللائحة التالية:

حلقات منظومة التعليم	نسبة السكان المئوية حسب القومية	
	البانيون	غير الالبانيين
السكان اجمالاً، منهم في	١٠٠,-	١٠٠,-
المدارس الابتدائية أو نظام ٧ سنوات أو ٨	٦٥,٢	٦٢,٥
في المدارس الثانوية	٢٩,٣	٣٠,٨
في المعاهد العليا	٥,٥	٦,٧

نوع التخصص	لكل ألف نسمة من سكان الأمة	
	الالبانية	غير الالبانية
مهندسون	٤٣	٤٦
زراعيون وأطباء بيطريون ألخ	٢٥	٤٣
اقتصاديون	٢٨	٤٦
رجال التعليم	١٤١	٢١٢

واقــع البانيـــا

كانت البانيا بلاداً إسلامية يتشوق اليها المسلم لمعرفة احوال إخوته المسلمين الذين يعيشون تحت كابوس النظام الشيوعي، وخاصة بعد أن أمكن زيارة الاخوة في معظم بلدان الكتلة الشرقية التي كان انور خوجه طاغية ألبانيا يعتبر حكوماتها منحرفة عن النظام الشيوعي في سبيل أن يحافظ على شيوعيته الاصولية بدون تحريف كي لايتأثر شعبه بالرأسمالية حتى ولو كانت ممزوجة بدم ماركسي.

وكانت هناك عوامل كثيرة تثير الرغبة في اختراق البانيا التي يدعى طغاتها بأنهم يحافظون على العقيدة الشيوعية نقية على مبادئ كارل ماركس وتعاليم لينين وستالين التي أقاموا عليها حكماً سياسياً ونظاماً اقتصادياً واجتماعياً في الإتحاد السوفيتي ويعتبر أنور خوجه نفسه تلميذاً حقيقيا بل خليفة شرعياً لستالين، ويتطلع الباحث أمثالنا لمعرفة ما فعله هذا النظام المتشدد بالشعب الالباني المسلم، كما نود أن تتاح فرصة للمقارنة بين النظام الشيوعي الالباني المتطرف والانظمة الشيوعية المنحرفة، ولكن الأمر الذي يلح على الفرد المسلم أكثر هو معرفة ما آلت إليه أحوال المسلمين الألبان الذين يعيشون تحت هذا الحكم الماركسي المتزمت الذي جاهر بكفره وأعلن بأن البانيا دولة ملحدة وذلك لأول مرة في التاريخ الحديث.

إلى أن جاء انهيار صروح الشيوعية عند جيرانها فعصفت بها رياح التغيير وسقط الحكم الشيوعي المتطرف واضطرت البانيا أن تفتح ابوابها على العالم، وتسارع الناس من كل حدب وصوب يفدون اليها علهم يجدون دروساً تستقى من معاناة الشعب الألباني الأبيّ. وهيئات أجنبية تتحجب وراء اقنعة براقة

تعمل على تنفيذ مشروع سياسي أو عقائدي جديد تثبت به وجودها وتأكيد سطوتها ونفوذها، ومؤسسات مالية هرع رجالها يفكرون في استغلال الفرص لامتصاص خيراتها وثرواتها.. وبين هذا وذلك كانت المنظمات الإسلامية القليلة التي بعثت بدعاتها تتلمس مواطن الداء وتحاول إنقاذ المسلمين من كبوتهم ومعالجة جراحهم.

ومع هذا الإنفتاح الالباني والتغيير السياسي أمكنت لنا زيارة البانيا في صيف عام ١٤١٢هـ وأصبح بالإمكان اشباع رغبات النفس إلى ما كان يستهويها ويثير شجونها من معاينة ألبانيا وأن نعرف كيف عاش الناس في جنة الشيوعية المزعومة ونتعرف على معالم الحياة العامة وكان أبرز ما لاحظناه ما يلي:

١)- التخلف الحضاري الذي تنطق ملامحه في جميع مظاهر الحياة في البانيا وكأن عجلة التطور الحضاري توقفت مع الحرب العالمية الثانية في ألبانيا فمثلاً لاتزال الأدوات اليدوية البدائية تستعمل في الزراعة التي يعتمد عليها اقتصاد البانيا، كما أن الدواب والدراجات هي الوسائل الرئيسية في النقل والانتقال ولايزال الالبانيون يكدسون حزم الحطب على شرفات منازلهم التي لاتتوفر فيها ابسط وسائل التدفئة في الشتاء والتبريد في الصيف ومساكن الشعب عمومًا هي بيوت قديمة وما كان منها حديثًا فتعود نماذجها المعمارية إلى الطراز القديم، علاوة على أن الصناعة الالبانية مع قلتها متخلفة بسبب أن المعدات القديمة لم تعد قادرة على الوفاء بالاحتياج اللازم للصناعة.

٢)- الانهيار الاقتصادي العام الذي ضرب ألبانيا وأدى إلى انتشار الجوع وانعدام المواد الغذائية والصحية وتوقف عمليات التصنيع والانتاج مما سبب تزايد البطالة وارتفاعها وبلغت نسبتها ٣٠٪ من جملة الأيدي العاملة وعدد العمال ٨٠٠٠٠٠ عامل، علاوة على أن الشخص العامل حاليًا لايتقاضى إلا ٧٠٪ من راتبه، مما أدى إلى نزوح جماعي مرتين إلى إيطاليا هذا العام حيث بلغ الأول ٢٤ ألف الباني في شهر مارس والثاني ٣٠ ألف الباني في اغسطس ١٩٩١م وذلك بحثا عن الطعام والمال والعمل، ولكن إيطاليا اعادتهم بالقوة إلى البانيا وقدمت لهم مساعدات غذائية.

وقد بلغ التضخم المالي معدلات خطيرة إذ بلغ العجز التجاري ٣٦٠مليون دولار وانخفضت القيمة الفعلية لعملة البانيا الليك Iek حيث بلغ سعرها في السوق السوداء دولار واحد لكل ٣٥ ليك وفي البنك الرسمي عشر ليكات ويبلغ متوسط دخل الفرد الشهري حوالي ٤٠ دولاراً فقط.

٣)- انتشار المجاعة وفقدان الاطعمة والسلع الضرورية من البلاد ومعاناة الاطفال من سوء التغذية، فصارت البانيا تتلقى المساعدات الغذائية من دول العالم الحر لانقاذ الشعب الالباني من الجوع ثم ندرة الفواكه والخضروات والزيوت واللحوم والحليب والبيض مع أنها بلاد زراعية خصبة التربة كثيرة المياه والمراعي ولاشك أن هذا من نتائج النظام الشيوعي المتطرف الذي أذهب طموح الشعب في العمل والانتاج.



عربة يجرها حمار في ريف آلبانيا

٤)- تدني مستوى الحياة فالشعب الالباني يعيش حاليًا في ادنى مستويات الحياة وقد قال أحد الباحثين إنها اثيوبية أوروبا وأما تقرير البنك الدولي فيؤكد أن معدل مستوى المعيشة في البانيا هو ادنى مستوى بين دول أوروبا الشرقية كلها. والواقع أن الشعب في أغلبه يعيش في حالة عوز في كل شيء ويكفي

أن نضرب مثالاً على ذلك بأن معظم الأسر الألبانية: حوالي ٨٠٪ من سكان المدن تسكن في شقة تكون من غرفتين وتقدر مساحتها ٣٠ متراً مربعًا.

٥)- التخلف العلمي الذي نتج من العزلة السياسية التي عاشتها البانيا أحدث اضطرابات في مظاهر الحياة العادية لأن فقدان الخبرات الفنية، وقلة الايدي العاملة المدربة أدى إلى عدم الكفاية في الأداء وضعف الانتاج وقلة الاستثمار المناسب، فالأراضي الزراعية الشاسعة والمراعي الخضراء والغابات مع مايتوفر فيها من عوامل طبيعية من الخصوبة والمياه والمواشي والاغنام لم يتم استثمارها واستغلالها علاوة على أن الامكانات الصناعية بقيت محدودة الأداء والانتاج.

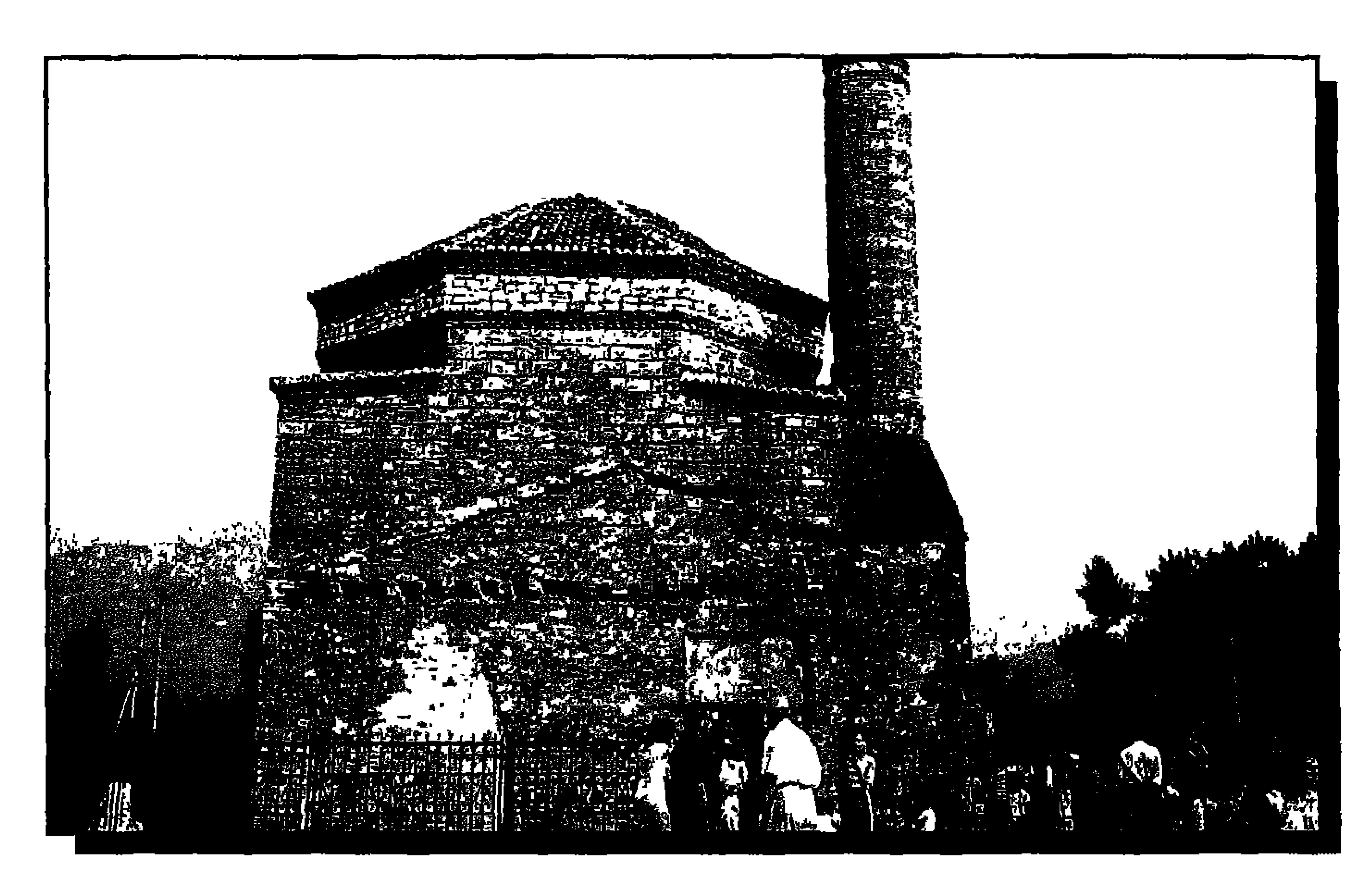
ورغم كون عدد الطلاب الجامعيين في مختلف كليات جامعة تيرانا يبلغ أكثر من ١٨ ألف طالب إلا أن اجهزة العلوم التطبيقية والهندسية مفقودة واساليب التعليم والتربية قديمة بالية والكتب الحديثة والمصادر والمراجع العلمية نادرة وصعبة الاستفادة لاهمال تعليم اللغات الاجنبية وترجمة الكتب العلمية الحديثة إلى الالبانية.

٦)- الإحباط وفقدان الثقة والاضطراب النفسي أصبح سمات أغلب الشعب الالباني الذي فقد الثقة بنفسه وبقدراته فتسارع إلى الفرار إلى إيطاليا والمانيا ويوغسلافيا واليونان بحثا عن ذاته في الخارج بدلاً من أن يعمل في حقله ومزرعته ويهتم بصناعاته اليدوية التقليدية ويفكر في بناء مستقبل شعبه وبلاده.

ولاشك أن الحكم الاستبدادي القائم على الإرهاب واجهزة الاستخبارات الألبانية التي تعرف باسم Sigurimi وممارساتها لعمليات القمع والابادة لكل حركة وفكر وقول حر علاوة على بث الرعب بين الناس من اعداء وهميين يعملون من الداخل والخارج للاطاحة بالحكم واستعباد الشعب وذلك بنشر الحصون العسكرية الصغيرة في الحقول والمزارع والقرى لاتخاذها مواقع دفاع وملاجئ واقية من الغارات الوهمية مع الإعداد العسكري لافراد الشعب لمقاومة كل حركة تمس الحكومة الشيوعية ادى ذلك كله إلى ترسيخ الاضطراب النفسي والفزع وفقدان الثقة والتردد.

الوضع الإسلامي :

مع أن الاضطهاد الديني بدأ مع انفصال البانيا عن الدولة العثمانية واعلان دستور البانيا المستقلة الذي تضمن النظام العلماني بفصل الدين عن الدولة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٣م إلا أن الاضطهاد الفعلي للاسلام بدأ تنفيذه مع تولى الشيوعيين مقاليد الحكم في البانيا عام ١٩٤٦ ووصل ذروته بصدور المرسوم الجمهوري رقم ٤٣٣٧ وتاريخ ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩٦٧م الذي تضمن إلغاء جميع الهيئات الدينية ومصادرة المساجد واماكن العبادة والأوقاف وحرمان رجال الدين من جميع حقوقهم ومنع الناس بالقوة من ممارسة جميع الشعائر الدينية والتعليم الإسلامي والتأكيد على نشر الفكر الالحادي والتعليم المادي والماركسي، ثم اعلان انور خوجه بأن البانيا أول دولة ملحدة في العالم، وهذه الاجراءات المعادية طوال ربع قرن من الحكم الدكتاتوري ادت إلى النتائج الاتية :



جامع نزار تشيس في البسان

أ - مصادرة جميع الاوقاف والمساجد وتخريبها أو تحويلها إلى متاحف ومستودعات حتى تقلص عدد المساجد من ١٧٠٠ مسجد إلى حوالي ٥٠

مسجداً موجود حاليًا في البانيا ولكن أكثرها خربة، مكسورة المآذن ولم يسلم إلا مسجد أدهم بك في تيرانا من التخريب.

ب - ألغيت المدارس الإسلامية ومنع التعليم الإسلامي منعا باتا وصودرت المصاحف والكتب الإسلامية وأتلف اغلبها ولم يبق إلا ما كان منها في المتاحف ودور الكتب العامة، وفي البانيا لايوجد حاليًا أي مدرسة إسلامية أو كتب إسلامية يمكن الاعتماد عليها في احياء النشاط الإسلامي علاوة على قلة الاساتذة والمشايخ المؤهلين بالعلوم الإسلامية.

ج - الحجر الثقافي والانقطاع عن التعليم الإسلامي وقطع الاتصال بالعالم الإسلامي ادى إلى تفشى جهل عام بابسط الاحكام والتعاليم الإسلامية، واليوم أغلب الالبانيين لايعرفون أركان الإسلام فضلاً عن قراءة القرآن الكريم ومع ذلك فهم مسلمون متمسكون باسلامهم قلما يشذ عن ذلك أحد حتى وإن كان احد والديه مسيحيًا.

كما أن التشويه والتحريف دخل كثيراً من عاداتهم الإسلامية وافكارهم وعقائدهم بسبب جهلهم بالاحكام الإسلامية وتعلقهم بكل ماهو فكر أو سلوك ديني بدون معرفة صحته وجوازه مما ساعد على إنتعاش نشاط الطرق الباطنية من بكتاشية ونحوها.

د - دار الافتاء الإسلامية التي اعيد تشكيلها باسم الجمعية الإسلامية الالبانية بعد انهيار الشيوعية مؤخراً لم يتم تكوينها ولاتنظيمها الاداري ولايزال الشيخ صبري ادريس كوتشي الذي كان قبل أن تعتقله الشيوعية مفتي مدينة اشكودرة يعمل حاليًا رئيسًا لها ويحمل صفة مفتي مسلمي البانيا وينزل في فندق تيرانا حيث لايوجد له مسكن ولا مقر لدار الافتاء أو الجمعية الإسلامية الالبانية في تيرانا عاصمة البانيا.

هـ- لم يتم إجراء تنظيم لائمة المساجد ورجال دار الافتاء الاقليمية أو موظفي الجمعية الإسلامية الفرعية في المدن والاقاليم، كما لم تحدد لهم رواتب ونفقات وخاصة أن هذا التنظيم يقتضي ايجاد مؤسسة جديدة تقوم بالشئون الإسلامية ويتضح من ظهور هذه الهيئة الدينية باسم الجمعية الإسلامية الالبانية بأن الدولة تتجه إلى التنظيمات الشعبية في أعمالها

الدينية حتى تحقق توجهاتها العلمانية كي ترضى الاقليات المسيحية التي تنتمي إلى الدول الأوروبية المجاورة.

و- الجمعية الإسلامية الالبانية لم يتضح نشاطها واعمالها ولايعرف نظامها وكيانها بعد ولكن تقوم ممثلة في شخص رئيسها بالتمثيل الرسمي لمسلمي البانيا في المحافل الوطنية والاسلامية والعالمية.

الوضع السياسي :

يقال إن التغيير السياسي في البانيا بدأ منذ أن مات أنور خوجه عام ١٩٨٥م ولكن الواضح أن انهيار الانظمة الشيوعية الأوروبية هو الذي أدى إلى تغيير نظام الحكم في البانيا الذي جاء متأخراً مع خطاب رامز عاليا في ٨ نوفمبر ١٩٩٠م الذي تبنى فيه موضوع تعديل الدستور واجراء انتخابات عامة مع الالتزام بالخط الاشتراكي وقد تم بالفعل تنفيذ اجراء تغييرات دستورية وادارية تضمنت الحرية الدينية والاعتراف بحقوق الانسان وجملة اصلاحات ديمقراطية.

ولكن الانتخابات العامة التي تمت في ١٥ مارس ١٩٩١م لم تؤد إلى سقوط الشيوعيين الالبانيين وإنما إلى تقلص حجمهم فمثلاً فاز الحزب الشيوعي بنسبة ٦٨٪ فيما فاز الحزب الديمقراطي بنسبة ٢٥٪ من جملة الاصوات وبذلك أصبح الحزب الشيوعي يحتل ١٦٢ مقعداً من جملة مقاعد البرلمان البالغة ٢٥٠ مقعداً، ثم انتخب البرلمان رامز عاليا رئيساً لالبانيا.

وتعكس نتائج هذه الانتخابات أن الحزب الشيوعي رغم سقوطه لايزال يشكل قوة سياسية علاوة على أن رموز الحكم الذي يرأسه رامز عاليا رغم انسحابهم من الحزب الشيوعي لا يزالون يمثلون الفكر الشيوعي ويريدون أن يسيطروا على دفة الحكم لاجراء الاصلاحات في إطار المبادئ الشيوعية.

وهذا يفسر أن النظام السياسي لم يتغير نتيجة حركات ديمقراطية وطنية عصفت بالحكم الشيوعي وإنما اراد استيعاب التطورات الاقليمية والدولية وأن يستجيب لرغبات الشعب بتغيير سياسته وتعديل حكمه ضمن اطار ديمقراطي إذا أراد الاستمرار في دفة حكم البلاد ويتجه نحو المنحنى الاصلاحي ببطء شديد. ويأتي ترجمة عملية لقول المسئول الالباني الذي شرح وجهة النظر

الرسمية قائلاً: إننا لانقلد الاوروبيين الشرقيين لأن لنا اسلوبنا الخاص ولكننا جزء من هذا العالم الذي نعيش فيه ونحن لاننسى البيئة الدولية.. وإننا لانريد للاشتراكية ان تختفي وقد اتخذنا العديد من الاجراءات لكي لايحدث في البانيا نفس ماحدث في أوروبا الشرقية، إننا نقوم حاليًا بتطوير بلدنا بشكل واقعي.

وأما الحركة الديمقراطية والتوجهات الاصلاحية التي يتولى دفتها أكثر من عشرة احزاب سياسية أكبرها الحزب الديمقراطي الذي يرأسه السيد صالح بريشا ويرأس تحرير جريدتها (تجديد الديمقراطية Rilindja Demokratika) السيد غراموز باشكو Gramoz Pashko فإن رجالها بحاجة إلى الخبرة السياسية والإدارية والتنظير السياسي ووضوح المنهج العملي والتنسيق الجماعي في ممارسة الضغوط الشعبية وإثارة الرأي العام بهدف تحقيق الاصلاحات.

وفي خضم هذا الصراع السياسي بين زعماء الديمقراطية ورموز الشيوعية التي تحاول الاستمرار بالحكم بتطوير النظام الاشتراكي لما يتلائم مع حاجات الشعب ومتطلبات الوضع الاقليمي والعالمي يحاول الملك ليكا الأول أن يعود إلى البانيا لاسترداد ملك والده الملك زوغو الأول الذي نصب ملكًا لالبانيا عام ١٩٢٩ ثم هجرها مع ابنه الأمير ليكا إلى مصر عام ١٩٣٩. وقد توفي والده الملك زوغو الأول عام ١٩٦١م ونصب الامير ليكا نفسه ملكًا لالبانيا ويقيم حاليًا مع زوجته الاسترالية الملكة سوزان وابنه ليكا انور زوغو رضا ولي العهد في مدينة براند بورغ في جنوب إفريقية ويعمل الملك ليكا الأول من خلال اتباعه الالبانيين الذين يرغبون في عودة الملكية إلى البانيا.

إن هذا التغيير الواقعي الذي يتسم به النظام الحاكم الالباني مهما كان نوعه ودرجته فقد كشف عن فرص عملية أتاحتها نتائج الحكم الشيوعي المتطرف الذي فرض حصاراً وعزلة على ألبانيا حتى حولها إلي محور تجذب كل حركة اليها وخاصة أنها بلاد بكر لم يتم استغلال ظروفها السياسية والجغرافية والاقتصادية واستثمار ثرواتها حيث أن لديها امكانات زراعية ومعادن ثمينة من البترول والكروم والفحم والحديد.

ومن أوائل الدول الأوروبية التي اهتمت بالعمل في البانيا اليونان التي

تعمل على حماية الاقلية اليونانية الارثوذكسية في ألبانيا وما أثارته من مشكلات بخصوصها في أحداث يناير ١٩٩١م، كما أن ايطاليا التي كانت بسطت سيطرتها على البانيا بضع مرات في تاريخها الطويل وآخرها عام ١٩٢٩ تعتبر البانيا درعها الشرقي الذي يجب الاهتمام به والعناية بالاقلية الكاثوليكية فيها وهذا ما يفسر النزوح الجماعي المفاجئ لأكثر من ٣٠ ألف إلى إيطاليا في شهر أغسطس ١٩٩١م وإعادتهم بالقوة إلى البانيا وتقديم المساعدات الغذائية لهم.

وكذلك سارعت إسرائيل إلى استغلال وجود ثلاثمائة يهودي على ترسيخ وجودها اقتصاديًا وسياسيًا من خلال انشاء علاقات دبلوماسية وتأسيس جمعية الصداقة الاسرائيلية - الالبانية مع أنها تمكنت من ترحيل جميع اليهود من البانيا في ابريل ١٩٩١م.

وقد انعكست ظروف البانيا السياسية على موقفها السلبي تجاه الاقليات الالبانية التي تعيش في جمهوريتي مقدونيا وصربيا في يوغسلافيا وتعاني من الاضطهاد والظلم الذي يهدد كيانها وهويتها ولكن البانيا لم توجّه من اهتمامها ماترد بها الاتهامات الصربية ضدها فضلاً عن الدفاع عن تلك الاقليات الالبانية التي تتطلع بحرارة إلي دعم موطنها الام لها.

دخول الاسلام إلى البانيا :

حكم الاليريون أجداد الألبانيين القدماء المنطقة الواقعة بين نهري اشغومبي والدانوب في القرن الثالث قبل الميلاد ثم الحقت بالامبراطورية الرومانية بعد هزيمة الجيوش الاليريه واسر الملك الاليري الأخير في عام ١٦٨ ق-م ثم غزا الصقالبة وهم أسلاف السلافيين شمال البانيا في القرن السادس الميلادي، كما أحتل الصربيون جنوب البانيا في القرن السابع الميلادي، ثم استولى عليها القيصر سيمون امبراطور البلغار فيما بين ٨٩١ - ٩٢٧ ولكنها عادت إلى حكم الامبراطورية البيزنطية في القرن الحادي عشر الميلادي، ثم ضم قيصر الصرب ستيفان دوشان البانيا إلى ملكه، بيد أن امبراطورية الصرب تهاوت بعد موت دوشان وتكونت في البانيا عدة حكومات محلية من أهمها البلشه في الشمال وطوبيا في الوسط.

وفي هذا الوقت بدأ جنود الاتراك العثمانيين يتقدمون نحو البانيا فاستنجد كارلوظوبيا بالاتراك العثمانيين على بلشه، وانتصر الجيش العثماني عند سوره في ٧٨٧/٨/١٢هـ ١٣٨٩م وتم لهم السيطرة عليها بفتح مدينتي انتبارى ودليسنو على البحر الإدرياتيكي في عام ١٥٧١م.

إن التسامح الديني الذي يتميز به الإسلام الذي كان يتمسك به السلاطين العثمانيون خلال فتوحاتهم في أوروبا كان عاملاً قويًا في انتشار الإسلام بين الألبانيين الذين كانوا قد انهكتهم الصراعات الدينية بين مختلف الطوائف المسيحية وتحزب القوى الأجنبية لمذهبها واصرارها على فرض ذلك المذهب المسيحي على بقية الطوائف بالقوة واضطهاد المتمسكين بمذهبهم، مع استبداد الامراء المحليين في الحكم واستعبادهم لافراد الشعب كان الناس يجدون في الاتراك المسلمين منقذاً ومعينًا لهم على حياتهم، وبخاصة أن عدم تدخل الولاة العثمانيين في حياتهم العامة شجع الكثيرين على الدخول في الإسلام والالتفاف حول الامراء المسلمين، ولم يكن للسيف دور في نشر الإسلام كما يدعى المغرضون من الاروبيين بل كان دخولهم فيه طواعية، فمثلاً كان ارباب الاقطاع الألبان الذين منهم التيمارات يدخلون في الإسلام باختيارهم ولم يكن الدخول في الإسلام شرطًا لازمًا للاحتفاظ باراضي التيمارات، فقد كان

المسيحيون أيضًا يمنحون تيمارات خلال القرن الخامس عشر ومع ذلك فانه ما أن وافت نهاية هذا القرن حتى لم يبق من ارباب التيمارات من المسيحيين إلا القليل.

ويقول الدكتور محمد موفاكو - الأستاذ في جامعة كوسوفافي يوغسلافيا، بعد هذه التطورات شهدت المناطق الألبانية استقراراً واضحًا، مما اتاح الانتشار للإسلام في صفوف الالبانيين وقد بدأ هذا الانتشار بوضوح منذ منتصف القرن الخامس عشر حيث تشير الوثائق إلى بعض الحكام الالبانيين الذين اعتنقوا الإسلام خلال تلك الفترة، وبعد قرن فقط كان نصف الالبانيين من أهل المدن قد اعتنقوا الإسلام، بينما أصبح الإسلام سائداً في القرى الألبانية في القرن السابع عشر.

وفي الواقع لقد شهد القرن السابع عشر ذروة انتشار الإسلام في صفوف الالبانيين، إذ أصبحت غالبية الالبانيين منذ هذا القرن في صف الإسلام. ويثير هذا التحول الجماعي للالبانيين نحو الإسلام اهتمام الباحثين نظراً لإنه يشكل ظاهرة فريدة في ذاتها. ويعود هذا إلى أن الالبانيين هم الأمة الوحيدة في البلقان التي اعتنقت الإسلام بغالبيتها.

وقد صاحب انتشار الإسلام في البانيا شيوع الثقافة الإسلامية في ربوعها واصطناع الآداب والأبجدية العربية في اللغة الالبانية وازدهار الحضارة وبلغت البانيا ذروة التقدم الإنساني والتطور الحضاري، بما انتشر فيها من المنشآت الإقتصادية والاجتماعية وانتشار التعليم الذي ادى إلى نهضة ثقافية كبيرة وبروز الادباء والشعراء الالبانيين خلال الحكم الإسلامي بما لم يكن له مثيل قبل الإسلام في البانيا.

كما أسهم الالبانيون المسلمون بقسط وافر في أحداث العالم الإسلامي أثناء الحكم العثماني إذ وصل أكثر من ثلاثين البانيا إلى منصب الصدر الاعظم منهم كوبك أحمد وقوجه داود - ودوقاكين زاده أحمد وقره مراد كما تولى منهم ولاية بعض البلدان الإسلامية والعربية مثل محمد علي باشا في مصر وأحمد باشا في بلاد الشام وظهر منهم شعراء في العالم العربي منهم محمد عبدالمعطي الهمشري وأحمد رامي في مصر.

بيد أن ازدهار الإسلام في ربوع البانيا كان يثير سخط القوى الصليبية في أوروبا حيث بدأت المكائد والدسائس تحاك ضد الدولة العثمانية وضد المسلمين.

ونجح الصليبيون في آخر الأمر في اشعال نار الفتنة بين شعوب البلقان ضد العثمانيين في القرن التاسع عشر وفي نهاية هذه الحروب البلقانية أعلن اسماعيل كمال استقلال البانيا في مدينة اولونية (فلوريا) في نوفمبر ١٩١٢م ثم قررت الدول العظمى في مؤتمر مايو ١٩١٣م مبدأ استقلال البانيا واحتفظت بحقها في تسوية أمرها واختارت لها امير اجنبيًا هو الامير وليم دفيد الالماني الذي لم يتمكن من حكم البلاد وتهدئة سخط المسلمين فغادرها في سبتمبر ١٩١٤م بعد اقامة لم تزد على سبعة شهور.

وبعد الحرب العالمية الأولى شكل زعماء البانيا المجتمعون في لوشينه بتاريخ ٢١ يناير ١٩٢٠م حكومة وطنية في تيرانا بدأت ممارسة سلطتها بطرد الجيش الالباني الموالي لإيطاليا وإعلان الاستقلال.

وقد اعترفت ايطاليا بهذا الاستقلال، بمقتضى معاهدة تيرانا في ١٩٢٠/٨/٢٣م وجربت دولة البانيا الصغيرة حياة برلمانية صعبة في السنوات الأولى من حياتها ١٩٢١م - ١٩٢٤م واصطدام البكوات المسلمون برجال الحزب الشعبي، واندلعت ثورة شعبية اجبرت احمد زوغو رئيس الوزراء على الهرب إلى يوغسلافيا ولكنه عاد إليها بمساعدة يوغسلافية في ٢٤/ديسمبر ١٩٢٤م وفي ١٩٢٥م قررت الجمعية الوطنية في البانيا إقامة حكومة جمهورية وانتخب أحمد زوغو رئيسًا لها.

ومع حرص زوغو على استقلال بلاده، إلا أنه وقع تحت النفوذ الإيطالي ووقع معاهدة معها في ٢٢/نوفمبر ١٩٢٧م حصلت إيطاليا بموجبها على امتيازات كثيرة.

وفي أول سبتمبر عام ١٩٢٨م أعلن الرئيس أحمد زوغو نفسه ملكًا على البانيا باسم زوغو الأول، ولكن القوات الإيطالية الفاشية احتلت البانيا في عام ١٩٣٩م وهرب زوغو مع عائلته إلى انكلترا.

وخلال الحرب العالمية الثانية اندمجت كل من يوغسلافيا والبانيا تحت قيادة شيوعية واحدة برئاسة المارشال جوزيف تيتو، وكان من ضمن القادة البارزين

في حرب العصابات انور خوجه ومحمد شيخو الالبانيان وكانت هناك ثلاث جبهات سرية تعمل بالاتحاد مع البريطانيين وهي جبهة ملكية وجبهة وطنية وجبهة شيوعية وكانت الجبهة الوطنية هي الاقوى والأكثر اتساعًا - أما الشيوعية فكانت أصغر الجبهات الثلاث، ومع ذلك حينما طلب قائد الكوماندوز ووحدة المخابرات البريطانية العاملة في البانيا من ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني حينذاك تحديد أي الجبهات الثلاث تستحق المساعدة بعد طرد الإيطاليين جاءه رد الرئيس أن السياسة هي إعانة الشيوعيين وعلى ذلك تشكلت الحكومة الالبانية من أعضاء جبهة التحرير الوطني الشيوعي برئاسة أنور خوجه الذي أعلن قيام جمهورية البانيا الشعبية بزعامة حزب العمال الألباني الذي عرف بالحزب الشيوعي في عام ١٩٤٨م - وفي ديسمبر ١٩٥٠م أصبحت البانيا عضواً في هيئة الأمم المتحدة.

الإسلام والمسلمون في البانيا المعاصرة :

بعد انفصال البانيا عن الدولة العثمانية واستقلالها الذي صاغته الدول الكبرى ساءت أحوال المسلمين بل والمسيحيين من يوم إلى يوم حتى وصلت إلى الوضع المؤلم تحت سيطرة الزمرة الشيوعية.

والواقع أن مكائد الصليبيين ضد المسلمين منذ ملاحظتهم انتشار الإسلام بين الالبانيين وتدخل الدول الأوروبية المجاورة في إثارة المسيحيين ضد المسلمين أو ضد بعضهم بعضًا ومحاولاتهم العديدة احتلال البانيا بحجة انقاذها من المسلمين وإعادة الألبانيين إلى المسيحية، كانت وراء الأحداث الأليمة التي عاناها الألبانيون خلال العقود الماضية واستغلها الشيوعيون في بث سمومهم بين الألبانيين زاعمين بأن الدين هو سبب الغزوات الأجنبية وحرمان الألبانيين من الحرية والاستقلال ويردد الشيوعيون شعار واسا باشا الزعيم الوطني الكاثوليكي خلال الثورة التي اشعلها الألبانيون ضد الأتراك فيما بين ١٨٧٨ - ١٩١٢م وهو «دين البانيا هو الألبانية».

والواقع أن اليونان وايطاليا وامبراطورية النمسا المجرية والدول الأوروبية الأخرى كانت تستغل الطوائف المسيحية التي تنتمي اليها في بسط سيطرتها وحمايتها على البانيا ومع أن الكاثوليكية في ألبانيا كانت أقل الطوائف

الدينية عدداً إلا أنها كانت تجد الدعم للاثارة والتحريك من الفاتيكان وايطاليا وكانت سببًا في غزو الأخيرة لألبانيا فترة من الزمن كما أن اليونان تطالب منذ انفصال البانيا عن تركيا بالجنوب الألباني ذي الأغلبية الأرثوذكسية.

ورغم كون الإسلام يختلف تمامًا عن المسيحية بمذهبيها الكاثوليكي والأرثوذكسي في البانيا التي ازدهرت وبلغت ذروة التقدم الحضاري خلال الحكم الإسلامي لها إلا أن الدعايات المسيحية والشيوعية المغرضة للإسلام تحجب دوره المشرق وتنسب إليه غزو الأتراك لها، في حين أن الإسلام لم ينتشر بالقوة ولم يستغل الولاة سيطرتهم في فرضه على الأهالي كما يعترف الالبان والمسيحيون بذلك.

ويذكر المستشرق سويهم (K. Susseheim) في مقاله عن الاناؤوط في دائرة المعارف الإسلامية مايلي :

«وفي خلال الحرب الروسية التركية (١٨٧٧ - ١٨٧٨م) رفض الكاثوليك والارثوذكس من سكان الجبال أن يرفعوا سيوفهم في وجه السلطان بالرغم من تحريض الروس لهم».

ومع انفصال البانيا عن الدولة العثمانية نفذ الصليبيون خطتهم في محاربة الإسلام والمسلمين وذلك على ضوء مشروع الدول الكبرى حينما أعلنت الحكومة الالبانية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٣م القانون المؤقت للادارة المدنية في البانيا الذي ينص على أن الحقوق المدنية ستفصل عن الشريعة كما ستفصل الهيئة الإسلامية عن ارتباطها بشيخ الإسلام.

وفي الدستور الأساسي الذي تمت الموافقة عليه في ١٠/ أبريل ١٩١٤م نص البند ٣٣ من الفصل الثاني على أن البانيا ليس لها دين رسمي وأن الحرية والممارسة العلنية لكل العبادات مؤمنة وأن الخلاف في الدين لايقتضي بالضرورة الحد من التمتع بالحقوق المدنية والسياسية والانخراط في الوظائف العامة والمناصب.

وقد استطاع الصليبيون بهذه المؤامرات إبعاد المسلمين عن مراكز القيادة في الدولة الألبانية المستقلة كما نشطت حركاتهم التنصيرية والدعايات المعادية

للإسلام بين المسلمين ولكن إيطاليا بعد استيلائها على البانيا قبيل الحرب العالمية الثانية خصصت قدراً كبيراً من اهتمامها لكسب رجال الدين الإسلامي في تلبية مطالبهم حيث اعترفت وزارة الدفاع بالأعياد الإسلامية وأمرت بتمكين الجنود المسلمين من حضور صلاة الجمعة ومنح الحاكم الإيطالي وسام اسكندر بك وهو أعلى وسام لمفتي تيرانا وكذلك نشطت الحركة الإسلامية فصدرت مجلة الثقافة الإسلامية وطبعت أربعة أجزاء من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الألبانية.

بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية :

فرض الحزب الشيوعي الذي تولى دفة حكم البانيا منذ عام ١٩٤٦م عزلة سياسية على البلاد ، وانتهج رئيسه أنور خوجه من بداية حكمه سياسة شيوعية متطرفة مرتبطة بالستالينية التي سادت المسرح الشيوعي الدولي خلال سنوات بروزه السياسي، وقد عاش أنور خوجه الذي اتخذ ستالين ديكتاتور روسيا الشيوعية مثلاً أعلى في عالم من الوهم الماركسي برغبة فرض النظرية الماركسية المتطرفة ليس في السياسة الداخلية فحسب بل في العلاقات الخارجية، لذا قطع علاقاتها بالحزب الشيوعي اليوغسلافي لانتهاج جوزيف تيتو سياسة اشتراكية معتدلة ومعارضة لستالين.

ثم قطع علاقاته مع الاتحاد السوفيتي بعد أن هاجم خروشوف سياسة ستالين التعسفية في الإتحاد السوفيتي.

وفي الصراع العقائدي بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية في تفسير التطرف والاعتدال في المنهج الشيوعي انحازت البانيا إلى الصين الشعبية التي كان يرى فيها ماوتسي تونغ الالتزام بسياسة لينين وستالين أساسًا للحركة الشيوعية العالمية.

غير أن هذه الصداقة لم تدم بين الدولتين، إذ سرعان مادب الفتور بينهما بعد أن اختطت الصين الحديثة سياسة خارجية أكثر انفتاحًا على العالم واعتدالا في السياسة الداخلية منذ عام ١٩٧٨م.

أما علاقات البانيا مع دول الغرب فلم يكن لها وجود في الواقع إلى ماقبل بضعة أعوام ولكن السنوات القليلة الماضية شهدت استئناف علاقة البانيا

الاقتصادية مع كل من: بلغاريا ورومانيا ويوغسلافيا، وتركزت توجهات ألبانيا الأولى نحو العالم الخارجي على الدول الحليفة للاتحاد السوفيتي والاخرى غير المنحازة، بينما تجنبت الدخول في اتصالات مع الإتحاد السوفيتي، وعلى نفس المنوال استأنفت علاقتها التجارية مع إيطاليا وتركيا واليونان والمانيا الغربية فيما أبقت عدائها مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذ تمكن أنور خوجه خلال حكمه الذي دام ٤١ عامًا من عزل ألبانيا عن العالم كله فقد استطاع أن يجعل من البانيا البلد الشيوعي الحقيقي والدولة الالحادية الوحيدة في العالم، واستبد بالحكم الدكتاتوري الفردي على نمط مثله الأعلى ستالين دكتاتور روسيا، فقد كان كل شيء في الدولة ومن يجرؤ على معارضته فمصيره الاغتيال والموت ولو كان ذلك الشخص من أقرب المقربين إليه، فقد تخلص من رئيس وزرائه محمد شيخو في ظروف غامضة نشر إثرها خبر انتحاره يوم ١٨/ ديسمبر ١٩٨١م - كما امتلأت السجون والمعتقلات بالمعارضين من كافة الطبقات، بل لقد احال البلاد إلى سجن كبير يسمى البانيا وجعل منها قلعة معزولة عن العالم كأنما تعيش في عصر حجري وتصبح أكثر دول أوروبا تخلفًا.

ومن أمثلة التطرف الشيوعي في البانيا أن أحداً لايستطيع أن يمتلك أي نوع من عقار وفي عام ١٩٨٢م صدر قانون يحرم على الفلاحين امتلاك الماشية وألغى جميع التعاونيات بل حظرت الملكية الفردية على جميع المواطنين بحيث لايحق للمواطن الألباني أن يملك أي شيء.. حتى قيل: إن حذاءه ملك للدولة، ولايحق له الحصول على حذاء جديد إلا كل عامين، وبعد تسليم الحذاء القديم.

وطبّق النظام الشيوعي نظام العمل الإجباري على كافة المواطنين الذين يعملون عشر ساعات يوميًا على الأقل لقاء الغذاء والكساء وبذلك أصبح الشعب مسخرا للدولة.

وبالطبع فإن البانيا لاتقبل مساعدة فنية أجنبية وهذا يوضح كونها أكثر الدول الأوروبية تخلفًا وفقراً رغم ثروتها المعدنية.

لقد مات «أنور خوجه» عن عمر يناهز ٧٦ عامًا في ١٩٨٥/٤/١١م وتولى رامز علي (عاليًا)- البالغ من العمر ٥٩ سنة حكم جمهورية البانيا الشعبية الاشتراكية بعد أن تم انتخابه رئيسًا للحزب الشيوعي الألباني في

اجتماع الدورة الحادية عشرة للجنة الحزب المركزية في ١٤/٥/١٩٨٥م وقد كان قبل ذلك رئيساً لمجلس الشعب والمرشح لرئاسة الدولة خلال مرض أنور خوجه.

هذا وبقية أحوال ألبانيا بعد ذلك مذكورة في ثنايا حديثنا الذي تقدم.



خاريط ألبـــانيا

المشاهدات

يوم الجمعة ٦/٢/١٤١٣هـ

من جدة إلى اسطنبول :

كنت حجزت للسفر إلى البانيا من جدة إلى اثينا عاصمة اليونان ثم تيرانا عاصمة البانيا وهذا طريق قصير مناسب إلى البانيا لأنه لايوجد طيران مباشر بيننا وبينها إلا أن موانع من العمل صدتني عن سلوك هذا الطريق، وكان عليَّ أن أعود بعد أسبوع إلى عملي في رابطة العالم الإسلامي التي أعمل أمينًا عامًا مساعداً لها لأن الأمين العام للرابطة الدكتور عبدالله عمر نصيف سيتمتع بإجازته ابتداء من يوم السبت بعد ثمانية أيام وعليَّ أن أكون في مكتبي في ذلك التاريخ.

لذلك كان لابد من سلوك طريق ولو بعيداً إلى ألبانيا حتى أنجز المهمة وأعود قبل يوم السبت المذكور فحجزنا للسفر إلى اسطنبول ثم روما، ومن هناك إلى تيرانا عاصمة ألبانيا.

غادرنا جدة مع طائرة الخطوط التركية في الساعة الخامسة فجراً وهي من طراز بوينغ ٧٢٧، وكان من المقرر أن تقوم في الثالثة وعشر دقائق غير أنها تأخرت حتى الخامسة ولاندري السبب في ذلك ولم يعتذروا عنه، ثم أعلنوا أن الطائرة ستنزل في مدينة (أضنه) قبل اسطنبول وأن الطيران إليها سيستغرق ساعتين وثلثًا.

لم تكن في الطائرة درجة أولى وإنما فيها درجة رجال الأعمال (بزنس كلاس) فختموا بذلك على تذاكرنا التي كنا قطعناها على الدرجة الأولى.

وقد نزلت بالفعل في مطار أضنه التركية وكنا نغالب النعاس بعد سهر الليل كله وبقيت الطائرة في مطار (أضنه) حوالي الساعة غادرته بعدها إلى اسطنبول.

كان الجو مشرقًا مما مكننا من رؤية الأرض تحت الطائرة رغم ارتفاعها الشديد فبدت لنا هضبة الأناضول ذات المظهر الصحراوي بخلاف المنطقة التي حول (أضنة) فهي خضراء خضرة زراعية معتدلة.

في مطار اسطنبول :

هبطت الطائرة في مطار اسطنبول في الساعة العاشرة والربع ضحى بتوقيت اسطنبول الصيفي المطابق لتوقيت المملكة.

وقد أبطأوا كثيراً قبل أن يحضروا الأمتعة من الطائرة مدة قاربت الساعة ومل الركاب وتفرقوا يبحثون عن مقاعد غير موجودة في القاعة فجلس بعضهم على الأرض.

وهذا تأخير عجيب لم نعرف مصدره.

ثم كان المرور على ضابط الجمرك الذي أخذ يسألني عما تحتويه حقيبتي مع أنه رأى أن جواز سفري جواز سياسي (دبلوماسي) ولما توقفت عن الاجابة لأنني استغربت فعله الذي لم ألاق مثله حتى في البلدان البعيدة عن بلادنا قال هو بالعربية: (ملابس) ؟

قلت : ملابس.

لم يكن من هدفي في هذه الرحلة أن أمر بمدينة اسطنبول فضلاً عن أن أتجول فيها - لأنني كنت قد فعلت ذلك من قبل، وإن كان ما يجعل الأمر مختلفًا في هذه الرحلة أن رفيقي الوحيد في السفر هو الأستاذ (رحمة الله بن عناية الله) وهو باحث في رابطة العالم الإسلامي وتركستاني الأصل رافقني في كثير من رحلاتي إلى الصين وإلى أوروبا الشرقية يعرف اللغة التركية أو على الأدق اللغة العثمانية المستعملة في هذه البلاد ، لأن اللغة التركية لغة واسعة تفرعت منها لهجات تباعدت حتى سميت لغات مستقلة مثلما كان عليه الحال بالنسبة للغة اللاتينية التي تفرعت منها الإيطالية والاسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا وإلى حد ما اللغة الفرنسية.

طلبنا من مكتب الحجز في المطار غرفتين ليوم واحد في فندق في منطقة (بايزيد) لأنني كنت نزلت فيها قبل ربع قرن، ولكن لم نجد فندقا مناسبًا فحجزنا في فندق في حي (أقصراي) المجاور لبايزيد وكنت في المرات التي سبقت هذه المرة بعد الزيارات الأولى أنزل في منطقة تقسيم التي تعني (ميدان تقسيم) وما حوله أغلى المناطق في اسطنبول وآخر مرة نزلت فيها كانت في فندق شيراتون بـ (١٦٠) دولاراً للغرفة المنفردة أما في هذه المرة فإننا حجزنا من المطار فندقًا بأربعين دولاراً مع الفطور.

وهذا مناسب لأنني لن أجرى أية اتصالات في اسطنبول، ولذلك لم أخبر أحداً لئلا يستقبلني بعضهم. وجئنا مع سيارة أجرة تقاضى سائقها مايعادل عشرة دولارات بالعملة التركية.

لم نطق صبراً على البقاء في الفندق قبل التجول في هذا الحي الذي ليس شعبيًا بمعنى أنه ليس حيا للفقراء، وليس من الأحياء الحديثة الغالية.

لقد كان سروري برؤية الناس وأنا أتجول في المنطقة بالغًا وكان الجو معتدلاً، والهواء منعشًا والناس يبدون على طبيعتهم وهم الشعب التركي العثماني المعروف ولو حذفنا كلمة التركي وقلنا العثماني فقط كان ذلك تعريفا كافيًا لأنه الشعب التركي الذي اختلط بأقوام عربية ويونانية مسلمة حتى بعد عن الصفات المظهرية التركية التي تبدو واضحة في سكان الأناضول وتبدو أكثر وضوحًا في سكان تركستان الشرقية التي تسيطر عليها الصين وفي تركستان الغربية التي يسيطر عليها الإتحاد السوفيتي وهم الذين نسميهم في بلادنا بالبخاريين، نسبة إلى بخارى مدينة الإمام البخاري صاحب الصحيح وإن كان بعضهم يسكن بعيداً عنها بالآف الأميال.

وإذا كنت أيها القارئ الكريم تحب أن تقرأ شيئًا عن واقع أولئك الأقوام أو عن بلادهم، فإنك يمكنك أن تقرأ كتبي التي ألفتها عنها إذا أردت ذلك ومنها: (في مهد الترك) و(في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر) و(يوميات آسيا الوسطى).

بعد تمشية ممتعة جددت بها عهداً قديمًا في شارع (أوردو جادّتْ) أي شارع المعسكر. فأردو معناها المعسكر وهي التي كانت مستعملة في لهجتنا العامية

بلفظ (عرضي) ذكرت ذلك في كتاب: (معجم الألفاظ العامية) وجادت هي العربية الفصحى (جادة) بمعنى الطريق الأعظم إلا أن القوم هنا ينطقون بها بتاء مفتوحة في جميع الأحوال.

وكنت في عام ١٣٨٨هـ حضرت إلى اسطنبول على رأس بعثة من بعض موظفي الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لتصوير مخطوطات من مكتباتها لمكتبة الجامعة الإسلامية ونزلت في هذه المنطقة وكنت آنذاك أشغل وظيفة الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

المطاعم التركية :

للمطاعم التركية مزية ظاهرة على المطاعم الأخرى وهي أنك ترى الأطعمة في جميع المطاعم معروضة عليك ليس بينك وبينها إلاَّ حاجز من زجاج فتجد فيها أنواعًا من الخضرات واللحوم المطبوخة على عادتهم في الإكثار من الخضرات واللحوم المطبوخة في المرق.

ولكن الشيء الذي يؤخذ عليها أنه ليس فيها جديد، بل هم على عادتهم في عدم الابتكار والتجديد تكاد تكون مطاعمهم نسخًا لأصل واحد، ولكن طعامهم هو الطعام الذي يناسبنا نحن العرب، وليس الطعام الإفرنجي الذي يعتمد على المشويات والأشياء الناشفة أكثر مما يعتمد على المرق.

كان الجو منعشًا لاحر فيه ولاقُرّ. وأعجب ما أعجبنا هنا كثرة الفواكه المعروضة في الشوارع الجانبية وإن لم تكن رخيصة إلى الحد الذي اشتهرت به فواكه تركيا.

يوم السبت ٧/٣/١٤١٢هـ

مغادرة اسطنبول :

افطرنا في الصباح على عجل فطوراً اقتصاديًا ذكرت عنده طعام الفطور في بلاد البرازيل -عمرها الله- ذات الخيرات والبركات وطعام الفطور فيها الذي يكون داخلاً في أجرة الغرفة مهما كان مستوى الفندق وأجرته، وإنما كان يختلف كثرة وقلة وجودة بإختلاف ذلك.

ثم ركبنا مع سيارة كانت في الفندق سائقها مؤذن لأحد المساجد ذكر لنا أنه

حافظ لكتاب الله تعالى، ويعرف العربية إلا أنه لم يتمرن على النطق بها.

وبهذه المناسبة أذكر من الفروق التي لاحظتها بين الزيارة الأولى القديمة لتركيا وبين هذه الزيارة أننا لم نقابل شخصًا ابتداء من سائق سيارة الأجرة الذي حملنا من المطار إلى بائع الفاكهة إلا وهو يعرف قدراً ولو قليلاً من العربية ومن ذلك موظف الاستقبال في الفندق وهو شاب تركي كان يكلمنا بعربية جيدة.

وجدنا عند مدخل المطار زحامًا شديداً بحيث كانت السيارات تقف بعيداً وعلى المسافرين أن يحملوا أمتعتهم بأيديهم أو يحضروا الحمالين، وقد وجدنا حمالاً نفعنا الله به، تجاوز صفوف الواقفين قبلنا وهو ما لم نكن نجرؤ عليه وحدنا حتى دخلنا المبنى فوجدنا الزحام أيضًا عند مكاتب الترحيل ومكاتب الجوازات.

ولكننا انتفعنا بكوننا من ركاب درجة رجال الأعمال، بل إن تذاكرنا بالدرجة الأولى فدخلنا القاعة المخصصة لذلك وهي ليست فاخرة ولا حديثة ولكن فيها موظفة تنبه كل راكب إلى رحلته كما هو معتاد.

كما أنها نفعتنا عندما طلبنا منها التأكد من أمتعة لنا في سبعة طرود شحناها من جدة إلى تيرانا ودفعنا أجرة ذلك وهي مشتملة على هدايا لألبانيا فذهَبَتْ وتأكدت من وجودها.

وغادرنا مطار اسطنبول قاصدين مطار روما مع الخطوط التركية على طائرة شبيهة بالطائرة التي قدمنا عليها إن لم تكن هي بالذات وركبنا في درجة رجال الأعمال لأنه ليست فيها درجة أولى ولم يكن في هذه الدرجة معنا إلا شخصان أما بقية مقاعدها فظلت خالية وكانت خدمتهم جيدة وطعامهم الذي قدموه جيداً أيضًا رغم كون الوقت ليس وقت وجبة من وجبات الطعام.

وأعلنوا أن الطيران من اسطنبول إلى روما سيستغرق ساعتين وربعا وكان اعلانهم بالانكليزية ثم التركية،

وكانت مغادرة الطائرة مطار اسطنبول في العاشرة إلا الربع متأخرة ٢٥ دقيقة عن موعدها المحدد في الأصل.

عندما نهضت الطائرة من المطار صارت تحلق فوق حي حديث من أحياء

مدينة اسطنبول الخارجية كله أبنية (عمارات) متعددة الطوابق ثم تجاوزت مضيق البسفور الذي يفصل بين قارتي آسيا وأوربا وإن كان يصل بين جزئي اسطنبول الأوروبي الذي كنا فيه والآسيوي الذي يقع شرقه.

ويلاحظ المرء أن القسم الأوروبي من اسطنبول هو الأكثر عمارة، لأنه هو أصل المدينة القديم، حتى الأرض في القسم الاسيوي تبدو من الطائرة أقل خصبًا.

ثم لجت الطائرة فوق البحر حتى وصلت إلى منطقة تتعاقب فيما تحتها الجبال مع البحر فتكون تارة فوق بحر ضيق بعدها تطير فوق جبال ضيقة يحف بها البحر.

هذا والمضيفات يعملن في إعداد مائدة غداء جيدة أهم ما فيها عندنا الاطمئنان إلى كون اللحم حلالاً.

في مطار روما:

وكدت اكتبها (رومية) على النسبة كما كان أسلافنا العرب يكتبونها إذْ كانوا يعرفون روما بهذا الاسم، وكانوا يبالغون في ذكر اتساعها وكثرة سكانها، وذلك لقلة المعلومات الصحيحة المتوفرة عنها في تلك الأزمان رغم قربها النسبي من البلدان العربية.

وقبل الوصول إليها كانت الطائرة تحلق فوق أراضي إيطاليا الجبلية المعمورة، ويمكن تلخيص وصفها بأنها ذات الهضاب الخضر والبحيرات الزرق، والشواطئ الكثر، والمنازل الحمر التي يراد بها ذات السقوف الحمر لأن منازل الأرياف فيها هي من الآجر الأحمر.

وكانت المحلات المسكونة حسنة التخطيط رأيت كثيراً منها تكون فيها دائرة تتفرع منها تكون بمثابة الميادين التي تتفرع منها الشوارع.

وفيها نهر كبير يتلوى بينها فذكرت قولاً لأحد القدماء من الحكماء المسلمين وهو قوله: لاتسكن في بلد ليس فيه طبيب ولاخبَّاز ولانهر جار، وإن كنت أذكر أن بلادنا النجدية عندما شعرنا بالحياة فيها لم يكن فيها أي واحد من هذه الثلاثة فمدينة بريدة التي نشأت فيها لم يكن فيها خباز فكان الناس يخبزون

في بيوتهم، أولا يأكلون الخبز وإنما كانوا يأكلون أطعمة أخرى مطبوخة مشتقة من القمح وكذلك لم يكن فيها طبيب أصلاً إلا إذا اعتبرنا خبرة العجائز المسنات ومحترفي الكي من الرجال من الطب وأما النهر فأمره معروف.

هذا كان في القديم أما الآن فإن الثلاثة فيها مجتمعة أكثر من اجتماعها في البلدان الأصيلة في الشرب من الأنهار، فالأطباء كثر في المستشفيات والخبازون أنواع وخبزهم أصناف والنهر الجاري يجري من الأرض بضم الياء إلى البيوت والمنازل فهو أفضل من النهر القديم الذي لايجري إلاً في مجرى له عميق.

تدنت الطائرة إلى الأرض فوق ظهور هضاب متسعة فيها الحقول الواسعة التي بعضها بقايا من حقول القمح الحصيد وبعضها مزروع بمزروعات خضرة ووديانها مفعمة بالخضرة رغم ضيقها حتى هبطت في الثانية عشرة بتوقيت اسطنبول الصيفي الموافق لتوقيت المملكة وهي الحادية عشرة بتوقيت روما.

اتجهنا إلى قاعات العابرين لأننا لن ندخل إلى روما في هذه المرة وإنما سندخلها بعد الفراغ من ألبانيا بإذن الله.

ومن الغريب الجديد في مطارات أوروبا وربما لاتكون جدته لمدة سنة أو سنتين أنهم يطلبون من الركاب العابرين أن يبرزوا بطاقات سفرهم والجوازات التي يحملونها ويفحص ذلك منهم رجال أشداء من رجال الشرطة.

وذلك من أجل الأمن ومكافحة وجود المتخلفين من الركاب مع أن شركات الطيران التي تنقل الركاب صارت تشدد على الركاب فلا تنقل منهم إلاً من كانت معه تذكرة عودة للسفر، وسمة للدخول.

واسرعنا إلى مكتب مواصلة السفر لقطع تذاكرنا من روما إلى تيرانا، وللأطمئنان على امتعتنا التي حملناها من جدة إلى تيرانا.

ففاجأنا موظف في المكتب بقوله: إنهم لن تتمكنوا من السفر، لأنكم لاتحملون سمة دخول إلى تيرانا فقلنا له: إن حكومة ألبانيا قد أخبرتنا أننا سنجد السمة في المطار ومعنا الآن سمة دخول إلى إيطاليا وتذاكر للعودة فيما إذا افترضنا أنهم رفضونا.

وبعد أن راجع رئيسًا له مسئولاً وافق على قطع التذاكر والتأكد من تحميل الأمتعة التي هي سبعة طرود من المصاحف والهدايا.

وبقينا بعض الوقت في مطار روما الواسع الذي يعج بالمسافرين والعابرين وأسوأ مافيه غلاء الأشربة والأطعمة الخفيفة حيث يكون المسافر مضطراً إلى دفع قيمتها الغالية إذا كان محتاجًا لها.

من روما إلى تيرانا :

ركبنا على طائرة مروحية صغيرة تابعة لشركة (افيانوفا) الإيطالية فيها أحد عشر صفًا من المقاعد كل صف فيه أربعة ركاب، وهي ذات محركين اثنين وجناحين فوق النوافذ مليئة بالركاب الذين كلهم من الأوروبيين ماعدانا نحن الاثنين وقد غادرت المطار في الثانية والربع ظهراً، وكان من المقرر قيامها في الثانية.

وقد شعرنا بالحر الشديد داخلها لأنها ضيقة مليئة بالركاب وحتى صمام الهواء فيها لا يرسل هواء بارداً.

وقد بح صوتها وهي ترتفع من الأرض ثم استمرت تطير لاهثة ولساناها وهما محركاها المروحيان يدوران من دون أن تخفيهما شدة دورانهما عن الأنظار وكأنها هي تجاهد في أن تتجاوز هذه الأرض الإيطالية الجبلية الشاقة على سير الحوافر والأقدام.

وكان الجو صاحيًا ماعدا قطعا من الغيم الأبيض المتفرق ترقش الجبال الخضر تحت الطائرة وكأنها الأشرعة الخافقة فوق بحر أزرق عميق.

شعر الركاب بالعطش فاستدعى بعضهم المضيفة بقرع الجرس ولكنها لم تأت وتبين أنها كانت مشغولة بإعداد الضيافة وهي المضيفة الوحيدة في الطائرة ثم جاءت بضيافتها في علبة من اللدائن الشفافة المنظر ولكن كل ما بداخلها كان حرامًا إلا كأسًا صغيراً من الماء المعدني فكان الصحن الرئيسي فيها خبزة كبيرة جيدة المنظر في وسطها لحم خنزير أحمر أغبر، ومعه جبن أصفر حسن المنظر ولكن منظره ساء بما جاوره من لحم الخنزير وفي العلبة قارورة صغيرة تحتوي على خمر من البراندي فشربنا الماء المعدني وطلبنا منه زيادة ورددنا إليها ماتبقى.

واعتذرت المضيفة بأنها لم تكن تعلم بأننا لانأكل مثل هذا الطعام والا كانوا أعدوا لنا غيره.

هذا وقد تجاوزت الطائرة المعمور من الأرض الإيطالية وهي متجهة إلى تيرانا جهة الشمال وصارت تطير فوق البحر الإدرياتيكي الذي هو متصل بالبحر الأبيض المتوسط كما هو معروف.

ثم أعلنوا ربط الحزام استعداداً للهبوط قبل أن نرى الأرض الألبانية بوضوح وكان أول ما رأيناه منها لسانا من الأرض داخلاً في البحر وساحلاً رمليًا يصب فيه نهر غير عريض.

وطبيعة الأرض جبلية ذات سهل متسع بين الجبال والبحر، وبدت الزراعة من الطائرة غير منسقة وإن كانت الوديان والأماكن الضيقة بين الجبال فيها مناقع للمياه على هيئة بحيرات غير واسعة.

ثم قربت الطائرة من العاصمة تيرانا فبدت أطرافها ذات منازل متفرقة بسقوف غير بهيجة وبانت الطرق في الأرياف بعضها غير مزفت.

في مطار تيرانا :

هبطت الطائرة في مدرج المطار فصفق الركاب تصفيقًا حاداً ذكرني بتصفيق الركاب الأمريكيين الجنوبيين عندما تهبط طائراتهم القادمة من العالم القديم وأول ما رأيت ذلك في طائرة قادمة من لشبونة عاصمة البرتغال إلى مدينة كاراكاس عاصمة فنزويلا وكنا ركبناها في عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ثم في عدة مطارات من طائرات البرازيل القادمة من أوروبا.

وكان هبوطها في الخامسة وخمس دقائق بتوقيت روما الذي هو توقيت تيرانا وهو يتأخر ساعة عن توقيت بلادنا وذلك بعد طيران استمر ساعتين واربعين دقيقة.

وكان أول ما استرعى الانتباه عند الهبوط خشونة أرض المدرج فكانت الطائرة تسير فوقه وكأنها السيارة التي تسير على أرض غير معبدة ثم كون مدارج المطار مجاورة تمامًا لأرض مزروعة بالذرة لاتبعد عن المدرج إلا متراً واحداً.

وخيام من خيام الجيش الخضر فيها جنود بعضهم معهم أسلحتهم مصوبة على أطراف المدرج.. ثم كانت المفاجأة عندما وقفت الطائرة في ساحة الوقوف الضيقة فوجدنا في تلك الساحة التي تكون في العادة خالية إلا من الموظفين الرسميين الذين يستقبلون الطائرة ويكون عددهم محدوداً وجدنا أعداداً كبيرة من الناس بينهم عدد من الجنود الذين معهم أسلحتهم وجنود بملابسهم الخضر، وليس معهم أسلحة وأناس جالسون في هذه الساحة وبعضهم واقفون مما لم أرله مثيلاً في حياتي من قبل في أي مطار من مطارات العالم.

وتبين أن هؤلاء من الألبانيين الذين كانوا قد فروا من بلادهم إلى إيطاليا طلبًا للرزق ويبلغ عددهم (١٣) ألفًا فأعادت إيطاليا أكثرهم إلى بلادهم بالقوة ومنهم بعض الجنود.

وقد كانوا ذهبوا إلى إيطاليا فراراً من الحالة المعيشية السيئة في بلادهم اعتماداً على أنها ستمنحهم اللجؤ السياسي كما كانت فعلت مع جماعات من مواطنيهم فروا إليها إبان الحكم الشيوعي أو وقت الانتقال من الشيوعية إلى الديمقراطية، إلا أن الحكومة الإيطالية ذكرت أن هؤلاء بكثرتهم العددية لاتنطبق عليهم صفات اللاجئ السياسي لأنهم لايواجهون تهديداً لحياتهم وإنما كانوا فروا من بلادهم طلبًا لتحسين أحوالهم الاقتصادية.

والعجيب أن السلطات هنا لم تقم بما هو معتاد من إبعادهم عن هذه المنطقة وإدخالهم إلى منطقة الجوازات وذلك لكونهم من الألبانيين المعروفين بذلك، وكون أكثرهم لايملكون وثائق السفر المعتادة وما شبهت وجود هؤلاء في ساحة المطار إلا بوجود الناس في الأسواق الشعبية لولا أنه لاتوجد هنا بضائع معروضة للبيع.

وعندما نزلنا من الطائرة إلى الأرض أصابتنا حيرة شديدة فلم ندر أين نتجه ولم يستقبل الطائرة أحد من الموظفين الرسميين يدل الركاب على طريق الوصول.

ورأينا بعض الركاب وجدوا من يستقبلهم.

وكان صديقنا المهندس عصمت كاظم من السعوديين الذين أصلهم من ألبانيا قد أخبرنا أنه أتصل بالسفير المصري في ألبانيا وبالمفتي هنا يخبرهم بموعد وصولنا لاستقبالنا كما أن هيئة الاغاثة الإسلامية قد أبرقت للأستاذ عثمان

كابلي ممثلها في البانيا بأن يكون في استقبالنا، وأن يبقى معنا أثناء وجودنا في البانيا.

ولكننا لم نجد مستقبلاً واحداً وإنما كانت ساحة المطار غاصة بهؤلاء الناس من غير ذوي المظهر الجيد، بل إن بعضهم يبدو عليهم الإعياء .

دخلنا مع مدخل لاندري ماهو فإذا به يفضي إلى قاعة القدوم التي هي صغيرة ضيقة جداً، وفيها مكاتب الجوازات ولم نكن نحمل سمة دخول، وإنما عرفنا أن المسئولين الألبانيين وضعوها لنا في المطار فكان أن ختم الموظف على جوازنا بسرعة، ودون توقف، ولم يسألنا عن شيء. وذلك لكونه قد أبلغ بذلك والبلاد صغيرة وعدد زوارها محدود لذلك يعرفون من يقدم إليهم ووجدنا أنفسنا بعد الجوازات في قاعة صغيرة تبين أنها قاعة الجمارك وكل ما يتعلق بالقادمين وليس فيها سير كهربائي تنقل عليه الحقائب والأمتعة بل ليس فيها حتى منصة توضع عليها الحقائب.

ثم جاء أحد الأشخاص يحمل الحقائب والامتعة بيده يدخلها في هذه القاعة فيأخذ الناس أمتعتهم منه وبعضهم يسارع فيأخذونها من عربة يدوية قد وضعت فوقها.

وذكرني هذا بالمطارات الصغيرة في إفريقية وجنوب المحيط الهادئ بل حتى المطارات الصغيرة تلك هي أرقى من هذا المطار الأوربي.

ثم جاء شخص على رأسه (بيريه) وهو قبعة سوداء كقبعات العاملين في المطارات وكان الوحيد الذي يضع على رأسه غطاء للرأس أما سائرهم فلم يكن على رؤسهم أي غطاء وتبين أنه نافع لنا بعد أن تعرف إلينا بصعوبة لأننا كنا نرتدي الملابس العالمية المعتادة المسماة عندنا بالملابس الإفرنجية.

فذكر لنا بعد السلام أنه يتكلم قليلاً من العربية وأن اسمه (فائق خوجه) وهو مفتي مدينة (اشكودره) وأن مفتي البانيا الشيخ الحافظ صبري لم يصل إلى إلبانيا من النمسا وكنا عرفنا بغيبته وإنما قالوا لنا إنه سيعود إلى البانيا يوم الاربعاء الماضي وقال: إنه جاء لاستقبالنا من مدينة (اشكودره) بالنيابة عن المفتي.

كان عدد الركاب قليلاً استقبل بعضهم مستقبلون من أهل البلاد، وذهبوا ولم يبق إلا نحن مع أمتعتنا التي تبلغ إحدى عشرة قطعة كبيرة لافتة للنظر.

غير أن الشيخ (فائق خوجه) قال لموظف الجمرك وهو شخص واحد كان يتجول في المكان بعد أن سألنا عن محتوياتها إنها تشتمل على مصاحف وتمر من المدينة المنورة وهذا صحيح، ولكنها أيضًا تشتمل على أجهزة تسجيل أحضرناها للمساجد هنا واحضرنا معها أشرطة مسجلاً عليها القرآن الكريم بتلاوة القراء المشهورين لأن مثل هذه الأجهزة غير موجودة لديهم كما كانت فيها ساعات يدوية لتقديمها هدايا للعاملين في الحقل الديني لأن الساعات هنا مثل البضائع المستوردة لاتكاد توجد للبيع، ولو وجدت لم يوجد من يكون لديه ثمنها فسمح موظف الجمرك بالاتفتش امتعتنا على كثرتها.

وكانت المشكلة هي في كيفية نقلها إلى المدينة.

وهنا حضر جماعة أسرعوا يسلمون علينا ويقولون: إنهم كانوا قد جلسوا في قاعة كبار الزوار وقد حضروا لاستقبالنا ومعهم سيارات وهم:

١ - الدكتور شوكت اندروجي رئيس الجماعة الإسلامية في تيرانا.

٢ - الاستاذ سليم استافا عضو الجمعية الإسلامية ومترجم من الألبانية للعربية.

٣ - عثمان كابلي ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية.

٤ - ممثل عن وزارة الخارجية.

٥ - الاستاذ إبراهيم حسين بالا عضو الجماعة الإسلامية في تيرانا.

وقد أعدوا من حكومة تيرانا سيارة مرسيدس سوداء فخمة لتنقلاتي فحملنا بعض الأمتعة عليها وبعضها على سيارة الأخ (عثمان كابلي) وهي أيضًا سيارة حكومية اعطوه اياها لاستعمالها لأنه لاتوجد سيارات أجرة.

كان سرورنا بالإخوة المستقبلين مضاعفًا لأنه أعفانا من البقاء في المطار دون وسيلة نقل إلى المدينة وإن كانوا أكثروا من قولهم: إنهم كانوا ينتظروننا منذ فترة في غرفة كبار الزوار ولكن لم يخبرهم أحد بوصول الطائرة.

أنحن في إفريقية؟

تركنا مبنى المطار الصغير والجمهور الكبير المحتشد في ساحة وقوف الطائرات وسرنا بالسيارة مع طريق اسفلتي ضيق لايكاد يتسع لسيارتين متقابلتين تحف به أرض ريفية مهملة خالية تمامًا من أي بناء أو من أي شيء يغير من طبيعتها وهنا تبادر إلى ذهني سؤال لم أخبر به أحداً وهو: هل نحن في إفريقية؟

وإنما سمعت الأستاذ عثمان كايلي ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية في ألبانيا يقول وهو لايدري عما يجول في خاطري : ألبانيا قطر إفريقي في أوروبا.

فقلت له : إن هذا ما شعرت به الآن ولكن طائفة من المشاة الذين كانوا يخترقون طريق المطار في اتجاه المدينة وربما كان بعضهم ممن اعيدوا لتوهم من إيطاليا اعادني منظرهم إلى الواقع فهم ببياضهم الشديد وشقرة الشعر في رؤس أكثرهم يؤكدون لك الحقيقة بأنك في أوروبا البيضاء، بل إنهم يشبهون أهالي شمال أوروبا كأهل البلاد الاسكندنافية من ناحية المظهر لولا نحافة عامة في أجسام الألبانيين ربما اتصفت بها طبيعتهم لقلة مايستطيعون الحصول عليه من مأكل دسم أو حلو مما يزيد في وزن الأجسام.

ولمناسبة وجود هؤلاء المشاة ذكر الإخوة المرافقون أنه لاتوجد سيارات أجرة وإذا كان المرء ليس له من يستقبله بسيارة في المطار فإنه سيظل مدة طويلة ينتظر فيها حافلة مزدحمة أو حتى سيارة من سيارات الشحن التي تلتقط الناس بأجر زهيد ولكنها لاتتوفر في المطار.

ومن الغريب أن الطريق إلي المدينة تحيط به الحشائش النامية والأعشاب مما جعله مكتظًا بالأبقار والأغنام يعطي انطباعًا بأن ألبانيا مليئة بهذه المواشي وذلك لأنه ليس فيه حقول مزروعة أو مزارع لأشجار الفاكهة أو الخضرات مع صلاحيته لذلك وقربه من المدينة إذ يبعد المطار عن المدينة بـ ٢٧ كيلو متراً، على حين أن الحقيقة أن المواشي قليلة وغالية بالنسبة لهذه البلاد الخضراء المليئة بالمراعي الصالحة لتربية الحيوان.

ومن الغرائب هنا في هذا الجو المهمل أو الذي لاعناية فيه أن ترى السكان وبخاصة الأطفال منهم والفتيان قد تخففوا من اللباس في هذا الطقس الذي

وجدناه حاراً يشبه الجو في دمشق أو القاهرة في هذه الأيام فلا تجد على بعضهم إلا التبَّان وهو السروال القصير وهم على غاية من البياض وكثرة ذوي الشعر الأشقر فيهم.

وأطفال رفعوا أيديهم وهم يشيرون بأصابعهم إلى علامة النصر وهي حرف V بالإنكليزية من دون أن يعرفونا بطبيعة الحال، وإنما ذلك من باب إظهار الشعور بالنصر على الشيوعية التي أذاقتهم الوبال.

وغرف مسلحة عديدة بل تكاد تكون متلاصقة وهي تحصينات بلغ عددها فيما قالوا مليونًا واربعمائة ألف غرفة مسلحة بناها أنور خوجة طاغية الشيوعية الهالك للدفاع عن البلاد ضد الامبرياليين الذين يريدون إسقاط نظام الشعب الديمقراطي في البانيا كما يقولون و[illegible] احدة منها مايزيد على الف دولار وهي متقاربة فيما بينها حتى تكاد تكون متلاصقة.

في مدينة تيرانا :

قصدنا فندق دايشي في تيرانا وهو أحد فندقين اثنين لاثالث لهما في العاصمة ويجب دفع الأجرة وكل مايتناوله المرء فيهما بالعملة الصعبة والأسعار كلها فيهما بالدولار فلا يذكرون السعر للأجانب بالعملة المحلية أصلاً.

وهذا الفندق مسمى باسم (دايشي) على اسم الجبل الذي يرى خلفه وهو يحد المدينة من جهة الشمال.

نزلنا في (فندق دايشي) ومستواه مستوى فنادق الدرجة الثانية ذات النجوم الثلاث إذا كانت مهملة تنقصها بعض الأشياء الضرورية للفنادق من ذلك أن خزانة الملابس ليس فيها إلا معلاقان من الحديد الرديئ الصديء، وأن عاملات الفندق يكنسن ممراته وأبهاءه بمقشات أي مكانس من القش فليس لديهم مكانس كهربائية.

ومع ذلك فإن أجرة الغرفة الواحدة فيه هي تسعون دولاراً امريكيًا تدفع بالعملة الصعبة من دون إفطار بل على النزيل الاجنبي أن يدفع قيمة كل شيء حتى فنجان الشاي بالدولار وقد اخبرونا أن الأفطار فيه باثني عشر دولاراً.

والشيء الجيد فيه هو مصعدان يعملان وموقعه الذي تظلله أشجار باسقة،

وهو خالٍ تماماً من أي تكييف للتبريد حتى ولامراوح وإنما توجد فيه مدافئ بالمياه الحارة تعمل في وقت الشتاء وقد بناه الايطاليون قبل الحرب العالمية الثانية.

جلسة مع زعماء المسلمين :

لامجال للقول هنا بأن زعماء المسلمين حضروا لأن أغلبية السكان هم من المسلمين وإنما المراد بذلك الذي بدأوا العمل الإسلامي وأغلبهم كانوا عاملين مع الحكومة الشيوعية السابقة، ولكن في غير مجال السياسية، فمثلاً الدكتور شوكت اندروجي - رئيس الجماعة المسلمة في تيرانا ويسمونه (البروفيسور) هكذا فهو طبيب مشهور هو أول طبيب وطني عمل في برنامج ناجح لمكافحة مرض السل وذلك أن والده مرض بالسل فأثر ذلك فيه.

وهو ذو مكانة رفيعة في بلاده حيث كان تعلم الطب في فرنسا ومارس هذه المهنة في بلاده قبل السيطرة الشيوعية ثم استمر يعمل حتى الآن.

ومثل الأستاذ سليم ستافا الذي يعرف العربية وقد صار فيما بعد لنا نافعًا إذْ كان الشخص الوحيد الذي صحبنا من أهل البلاد الذين يجيدون العربية وكان يعمل في المطبعة الحكومية وكل شيء في هذه البلاد حكومي فكان يترجم من الألبانية للعربية وبالعكس، وتقاعد قبل أشهر بعد أن تم عمره خمساً وخمسين سنة والغريب أن الرجل لم يخرج من بلاده مطلقًا طول حياته إلا عندما أدى فريضة الحج العام الماضي أي قبل شهرين تقريبًا مع أول فوج من حجاج البانيا يؤدي فريضة الحج منذ حوالي خمسين عامًا.

ومع ذلك فإنه يعرف مجازات العربية وتعبيراتها الدقيقة إلا أنه يقول: ابعدوني عن العامية فإنني لم أدرسها ولم أعرفها لأنه كان قد تخرج من مدرسة دينية كانت موجودة قبل الشيوعية، ثم واصل تعلم العربية بنفسه حتى أجادها.

وقد حضر الإثنان ومعهم بعض المشايخ الذين لم يعملوا مع الحكومة الشيوعية وعقدنا جلسة معهم حضرها ممثل عن السفير المصري حضر إلينا وذكر أن السفير المصري لم يستطع الحضور لمقابلتنا في المطار وقد حضر الرجل إلى المطار ولكن بعد وصولنا هكذا قال مع أن الموضوع لايستحق الذكر.

كان الغرض من الجلسة وهي في قاعة الجلوس في الفندق هو بحث برنامج زيارتنا كلها في البانيا فاتفقنا على ذلك.

وشرحت لهم الغرض من زيارتنا وما يمكن أن نقدمه من مساعدات للمشروعات الإسلامية مثل ترميم المساجد القديمة والمساعدة على بناء المساجد الجديدة وعمل خطة للدعوة هناك بالإتفاق معهم.

ومما أراحنا أنهم ذكروا أنهم اتصلوا بالحكومة فاعطتهم سيارة (فولفو) قوية مخصصة لتنقلاتنا في أنحاء البانيا لأنها قوية وهي مع وقودها بمثابة الضيافة من الحكومة وقال الأخ عثمان بن أحمد كابلي ممثل هيئة الأغاثة الإسلامية المقيم في البانيا: إن الحكومة كانت قد اعطته سيارة حكومية لتنقلاته وكان حاضراً معنا في الجلسة وإنه سوف يضعها تحت تصرفنا مع مرافقتنا في الجولة التي اتفقنا معهم على أن تبدأ في الساعة التاسعة من صباح الغد.

وقد استمر الاجتماع مع هؤلاء الإخوة حتى التاسعة مساءً.

ولم تكن بنا حاجة إلى تناول وجبة عشاء كاملة في هذا الفندق الغالي جداً بالنسبة إلى مستوى الدخول في البلاد فطلبنا فاكهة فأخبرونا أنه لاتوجد أي فاكهة تباع هنا إلا البطيخ الأخضر (الحبحب) أما البطيخ الأصفر (الشمام) فإنه لايوجد للبيع أو حتى العنب الذي رأينا عرائشه على البعد لايوجد في السوق للبيع.

وطلبنا من الفندق ماء معدنيًا للشرب فأخبرنا أنه غير موجود رغم وجود منابع عديدة للمياه المعدنية في البلاد ولكن سؤ الإدارة هو السبب في ذلك فاضطررنا للشرب من الصنبور الموجود في الحمام.

العجوز البكتاشية:

وجدنا الخادمة التي في الفندق عندما وصلنا الغرفة أمرأة مسنة عرفت أننا مسلمون فطلبت منا أن نستمع إليها وصارت تتكلم بسرعة بكلام فيه جمل من العربية فهمت منها (ياعلي) (ياحسن) ياحسين وعندما أتمته وهي لاتعرف معناه لكونها لاتكمل بعض الجمل قالت مزهوة أنا مسلمة أي أنها بحفظها لشيء من هذا الدعاء الشركي المختلط برهنت على أنها مسلمة!

ولما سألتها عن كونها حنفية أم بكتاشية؟ اجابت : أنا بكتاشية.

و(البكتاشية) : فرقة كبيرة موجودة في البانيا وتكثر في جهة الجنوب.

وقد شعرنا بالحر عند النوم كما شعرنا به قبل ذلك فتيرانا ليست باردة الموقع لإنها واقعة بين البحر الذي هو الادرياتيكي المتصل بالبحر الأبيض المتوسط وبين الجبال التي تحجز عنها تأثير الرياح الشمالية الباردة.

يوم الأحد ١٤١٢/٢/٨هـ

مسجد أدهم بيك :

للمساجد في البلدان الشيوعية أهمية كبيرة فحالتها تعطي صورة واضحة عن تصرف الشيوعيين تجاه الإسلام في البلاد، وتكاد تكون الميزان الحساس لمعرفة هذا الأمر.

وذلك أنها المظهر الوحيد الواضح من مظاهر التدين، ولايبقى الشيوعيون غيره لأنهم يغلقون المدارس الدينية، ويحاربون العاملين في الإسلام ويصادرون الأوقاف الإسلامية، ويمنعون تداول الكتب الدينية.

وحيثما كانت حالة المساجد في البلاد التي يسيطرون عليها معتادة أو سيئة دل ذلك على مدى تعصب الشيوعية هناك.

وفي حالة البانيا بالذات تدل حالة المساجد فيها على أن الشيوعيين كانوا أكثر الشيوعيين، بل كانوا أكثر الكفار اجمعين معاداة للإسلام، وتماديًا في تخريب مؤسساته، وكل ما يمت إليه بصلة رغم كون أكثرهم من أبناء المسلمين.

فلا يوجد في البلاد مسجد واحد مفتوح، بل لايوجد مسجد أبقي على حاله وهو لم يفتح للصلاة إلا مسجد (أدهم بيك) هذا في العاصمة ومسجد الرصاص في مدينة اشكودره مع أن هذا أهمل حتى كاد يتهدم من جراء المياه التي تسربت من قنوات حفرت حوله، والمساجد الأخرى استولوا عليها وحولوا بعضها إلى مخازن أو مساكن بعد أن كسروا مآذنها حتى لايبقى منها حتى المظهر وبعضها وهو الأكثر هدموه بالكلية، ومحوه من الوجود، وبنوا في مكانه بناء آخر أو تركوه أرضًا نمت فوقها الحشائش.

ومسجد ادهم بيك في تيرانا هذا الذي سنذهب إليه الآن لم يفتح للصلاة طيلة تسلط الشيوعيين على الحكم في البلاد، وإنما كان مغلقًا ولكن منارته

سلمت من الهدم ويقول الشيوعيون إنهم ابقوه أثراً ثقافياً.

وذلك أنهم لاتوجد لديهم مبانٍ أثرية، أو ما يعتز به مما خلفه الأجداد إلا المساجد التي خربوها.

كما أن وجود هذا المسجد أو لنقل مبنى المسجد لأنه لم يكن يصلى فيه بمثابة الدعاية للذين يتعاملون معهم من البلدان الإسلامية تعاملاً تجاريًا بأن لألبانيا ماضيًا إسلاميًا معروفًا.

ولم يقتصر الشيوعيون الألبان المتعصبون على هدم المساجد بل حرموا الصلاة أصلاً حتى الصلاة على الميت، بل حرموا حتى التلفظ بالألفاظ الإسلامية مثل الشهادتين، وما شاء الله، والله يعيننا، وما أشبه ذلك.

وقد نصبوا جواسيس من الأسرة الواحدة على باقي الأسرة يخبرون السلطات بما يفعله المسلمون أو يقولونه في بيوتهم ثم يعاقبونهم على ذلك.

حضر إلينا في الفندق في هذا الصباح الشيخ المفتي الحافظ صبري كوتشي وهو في الوقت نفسه رئيس الجمعية الإسلامية الألبانية التي تعمل في البانيا كلها ومعه طائفة من المسلمين منهم الشيخ فائق خوجه مفتي اشكودره الذي استقبلنا في المطار.

وقال المفتي وهو يعتذر عن عدم وجوده في المطار لاستقبالنا أمس: إنني كنت في فيينا أحضر الدورة التدريبية للدعاة هناك وحرصت على أن أكون في استقبالكم فحضرت البارحة من فيينا عن طريق بودابست.

انطلقنا من فندق «دايشي» الذي نسكن فيه إلى مكان المسجد وهو قريب من الفندق لايفصل بينهما إلا مجموعة من الأبنية المطلية بطلاء أصفر تبين أنها مقرات لبعض الوزارات.

حتى رأينا منارة المسجد شامخة دقيقة متقنة الصنع كأنها تقف شاهداً عدلاً على مافعله أولئك الشيوعيون المجرمون بحق الإسلام والمسلمين في هذه البلاد المسلمة العريقة.

ولتشهد أيضًا مصارعهم ومصارع نفوذهم الذي تقلص الآن، وإلحادهم الذي ولي الأدبار، وكل يوم يزيده ويزيدهم تباراً إلى تبار.



منظر في داخل مسجد أدهم بك في تيرانا

يقع المسجد على الميدان الرئيسي في المدينة الذي يسمونه ميدان (اسكندر بيك) على اسم رجل عسكري نصراني حارب الأتراك واستخلص معظم البانيا من نفوذهم وأسس فيما قالوه الدولة الألبانية الأولى في القرن الخامس عشر.

ولايزال تمثاله باقيًا في هذا الميدان رغم كون الجماهير حطمت تمثال الطاغية الخبيث (أنور خوجه) رئيس الشيوعيين الهالك وكان منصوبًا في جهة من الميدان.

ويقع المسجد في مكان ظاهر تكاد تكون منارته أعلى بناء هناك لأن الفندق الثاني في تيرانا وهو فندق تيرانا ويتألف من سبع طبقات يقع بعيداً عنه وإن كان يطل على الميدان نفسه.

أما بقية الأبنية فهي لاتزيد على ثلاثة طوابق أو أربعة، إلا أن أعظم بناء يقع على الميدان من حيث السعة هو الذي سماه الشيوعيون قصر الثقافة وليس عاليًا ولكنه واسع ومعتنى به.

ويسمى (مسجد أدهم بيك) على اسم بانيه وهو محسن من أهل تيرانا وذلك في عام ١٧٩٣م أي قبل مائتي سنة تقريبًا هكذا قالوا.

مع أننا رأينا تاريخه مكتوبًا عليه بالهجري بخط واضح منقوش على حجر مثبت على مدخله بأنه كان في عام ١٢٠٩هـ هـ أي منذ مئتين وثلاث سنين بالتقويم الهجري.

عجبنا من كثرة الناس في الشارع في هذه الساعة التي تعتبر مبكرة من الصباح وهي التاسعة وقد امتلأ بهم هذا الميدان وكلهم من المشاة.



جماهيـر تيرانـا في الشـوارع يـوم الأحـد

عندما وقفنا التفت علينا منهم حلقات وحلقات يحملقون بأعينهم ويرهفون آذانهم ليروا ويسمعوا ما نقول ولو لم تكن لهم به علاقة إلا أنه الفضول الذي مبعثه الفراغ وعدم الأخذ بآداب التعامل مع الزوار.

وعندما رأينا هذا الجمع العظيم من ابناء الشعب من رجال ونساء في الميدان وفي الشوارع التي تصب فيه أو تنطلق منه قال أحد الإخوة السعوديين كأنه زحام الصفا والمروة يريد في السعي في مكة المكرمة فغضب المفتي الشيخ الحافظ صبري وقال: لاتقل هذا تضرب المثل لهم بمكة فمكة أجل من ذلك ولكن كأنه يوم الحشر.

وأيًا كان التشبيه فإن كثرة الجماهير في الميدان في هذا الصباح كانت عجيبة

ولم نقتنع من قول الإخوة الالبانيين المرافقين إن السبب في ذلك أن هذا اليوم هو يوم الأحد يوم العطلة الأسبوعية.

ذلك بأن يوم الأحد هو اليوم الذي تخلو الشوارع والميادين في صباحه من المشاة في بلاد الله الواسعة كما تخلو في صباح الجمعة في بلادنا.

غير أنني أرجعت ذلك إلى سبب آخر وهو أن البيوت عندهم ضيقة ولا تتوافر فيها الراحة ولذلك يفر منها الناس إلى الشوارع في يوم العطلة الإسبوعية.

وهذا أمر شاهدته في العديد من الأقطار الشيوعية إبان تسلط الشيوعيين عليها، كما أن عدم وجود وسائل السهر في مساء السبت مما يجعلهم ينامون مبكرين ويصحون مبكرين.

وهذا الجمهور بل هذه الجماهير الغفيرة في هذا الميدان وما حوله لم تكن تبيع أو تشتري فليس لديها النقود التي تشترى بها وليس في أسواق المدينة أو حوانيتها ما يباع وإنما جاءت لمجرد قضاء الوقت كما قلت.

ولكن الشيء الذي استرعى انتباهي هو الفضول الشديد لديهم الذي مبعثه إضافة إلى ماسبق، قلة وصول الأجانب إلى بلادهم وبالتالي حرصهم على رصد حركاتهم ومعرفة مايقولونه أو يفعلونه.

وفي جانب من المسجد أبيات من الشعر على صورة الشعر العربي فهي بحروف عربية ولكن باللغة التركية وتقول الأبيات مامعناه:

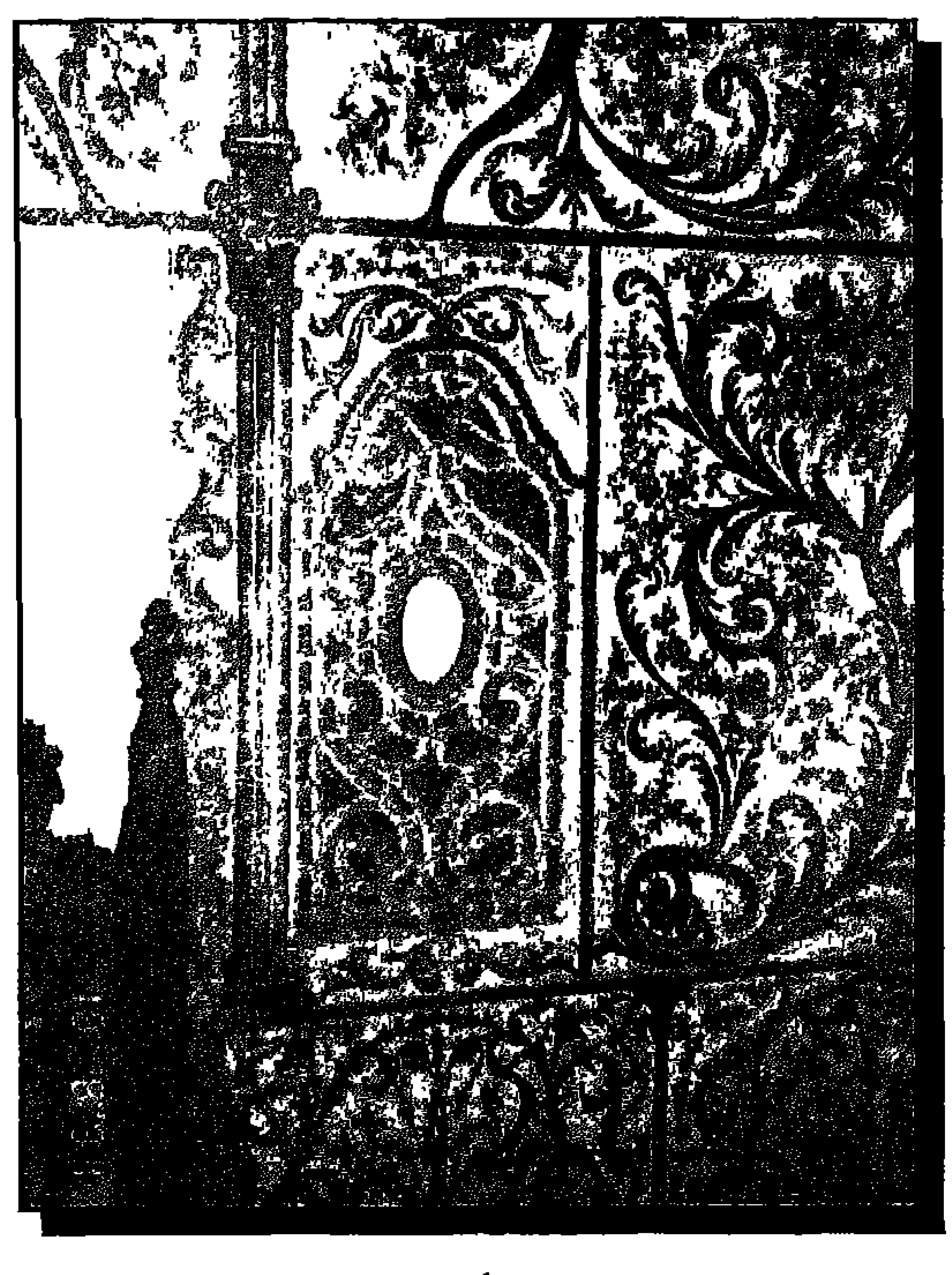
تشرف فلان ببنائه وبناؤه أحيا هذه البلدة ولكنه لم يتشرف باكمال هذا البناء فلم يستطع بناء المنارة وإنما بنيت بعده وتاريخها ١٢٠٩هـ.

كان مظهر المسجد بمنارته الرشيقة الشامخة وقبته العربية الجميلة جميلاً في المنظر مفرحًا لنفس المسلم، ولكن مظهره من الداخل كان أعجب من ذلك إذْ

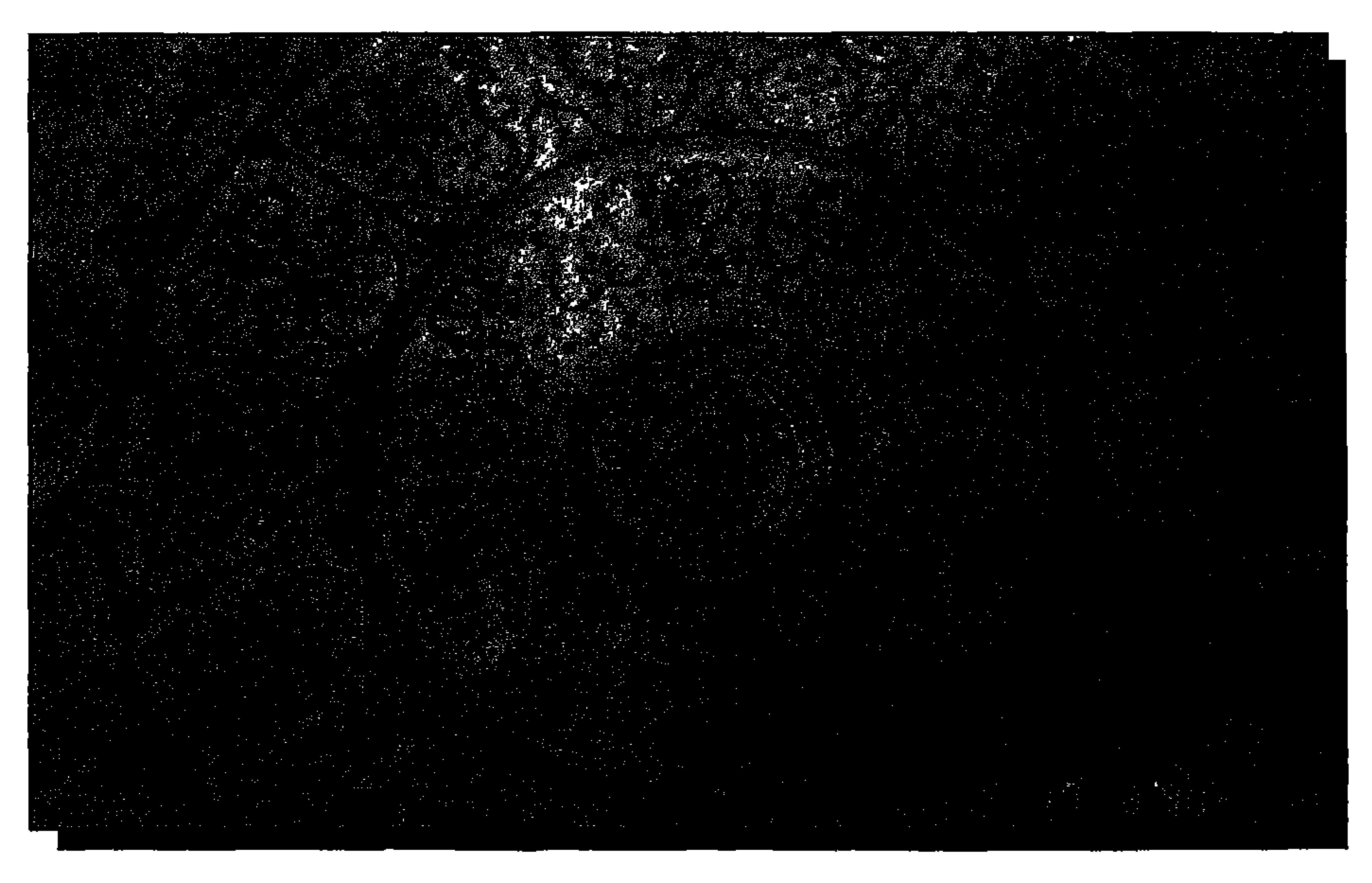
وجدنا داخله منقوشًا أو لنقل مزينا برسوم إسلامية جميلة والمراد بوصفها بأنها إسلامية أنها خالية من رسم ذوات الأرواح من الإنسان والحيوان وإنما هي رسوم الزهور والأشجار واشكال تجميلية بديعة.

وربما كانت هذه الرسوم من الأسباب التي أنقذت هذا المسجد من أيدي الشيوعيين فسلم من الهدم.

وهي شاملة لحيطان المسجد كله من الداخل بادئة من قرب الأرض ومنتهية بداخل سقف القبة العالية.



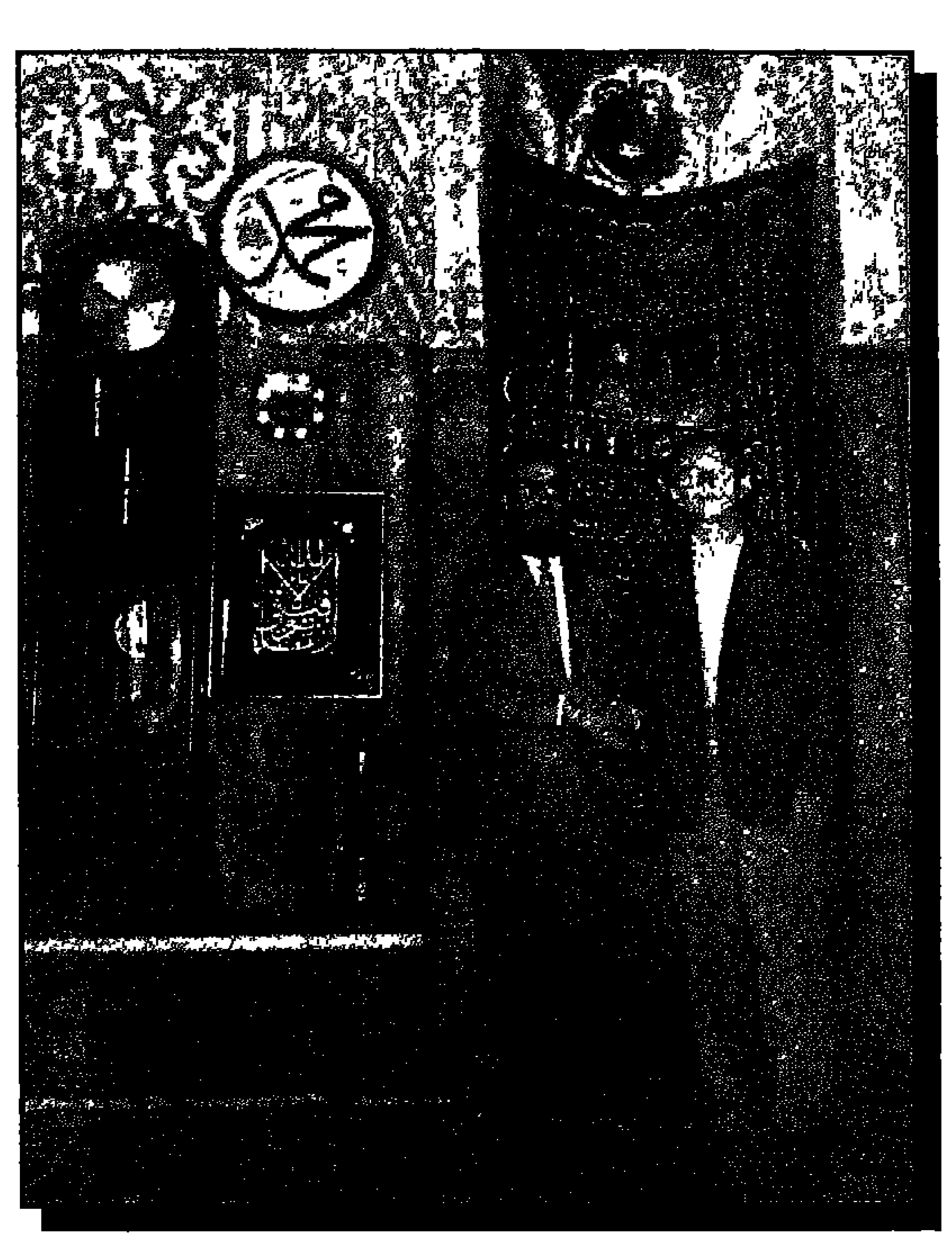
النقوش في جامع أدهم بيك في تيرانا



النقوش داخل قبة جامع أدهم بيك في تيرانا

وتكاد تتعدى أن تكون نقوشًا ورسومًا للتزيين إلى أن تكون تزويقًا ظاهراً لفرط كثرتها وكونها تشمل بألوانها المتعددة جميع حيطان المسجد وسقفه من الداخل وقد حاولت أن أجد لها مثيلاً في ذهني من المساجد التي رأيتها في العالم فلم أتذكر ليس لكون المساجد المنقوشة المزوقة قليلة ولكن لكون الذي يماثلها قليلاً.

التقطنا صوراً عديدة للمسجد من الداخل والخارج وكان من بين الحاضرين إمامه الأخ (حاجي حافظ حسن كوتوكو) الذي التقطنا معه صورة في محرابه بعد أن أسرع يضع العمامة على رأسه ولم يكن يلبسها قبل ذلك.



المؤلف مع إمام جامع أدهم بيك في تيرانا (حافظ حسن) في محراب الجامع

وذكرني آخر اسمه (كوتوكو) ببعض الأسماء الإفريقية مما جعلني أساءل نفسي عن كيفية مطابقة هذا الجرس الإفريقي في الاسم لاسم أوروبي أصيل، فأكرر السؤال الذي سألت نفسي عنه عندما غادرت مبنى المطار الى المدينة أمس وهو: أنحن في إفريقية؟.

وليس هذا عيبًا على هؤلاء الإخوة المسلمين الأوروبيين ولا قدحًا في الإخوة المسلمين الإفريقيين، بل إذا كان لابد في الأمر من أن يكون فيه مدح أو قدح أن يكون مدحًا للإفريقيين حيث يبين أن سؤ الإدارة وهو الذي كان عليه الشيوعيون في هذا البلد الأوروبي هو الذي جعل مستواه ينزل إلى آخر سلم التأخر فيما يتعلق بمراعاة مصالح الشعب، وتدنيه في الفقر مثلما يفعل سؤ الإدارة بأي بلد آخر سواء أكان إفريقيًا أم أوروبيًا أم آسيويًا.

ولم أر في البلدان الإفريقية المتأخرة وقد زرت إفريقية كلها أي بلد بلغت به الرداءة فيما يتعلق بعدم مراعاة مصالح الشعب من حيث تقييد حريته في التصرف وإفقاره وعزله عن العالم كما رأيت من آثار الشيوعيين في هذه البلاد الألبانية، وإذاً يكون تأخر بعض الأقطار الإفريقية ليس بسبب اللون، إنما بسبب سؤ الإدارة والتصرف في أمور البلاد ، وهذا ظاهر.

ذكر الإمام الحافظ حسن كوتوكو : أن عدد الذين يؤدون الصلوات الخمس في هذا المسجد يتراوح في العادة مابين ٣٠ إلى ٥٠ وأن عدد المصلين يوم الجمعة يبلغ ٥٠٠ مصلٍ.

قلت له: إن المسجد صغير من الداخل ولايتسع لهذا العدد ، فقال: هذا صحيح، ولكنهم يصلون خارجه في كل يوم جمعة منذ أن فتح للمصلين قبل أقل من سنة.

ولا شك أن عدد الذين يصلون صلاة الجمعة فيه الذي ذكره ليس كثيراً لأن نسبة المسلمين بين سكان تيرانا تبلغ ٧٠٪ من مجموع سكانها البالغ عددهم ثلثمائة ألف نسمة من مجموع سكان البانيا الذي يبلغ ثلاثة ملايين نسمة وليس في تيرانا الآن من المساجد المفتوحة، إلا مسجد واحد غير هذا المسجد سيأتي الكلام عليه فيما بعد عندما نزوره، إن شاء الله.

وصعدت إلى مكان ضيق مخصص للنساء على هيئة شرفة في آخر المسجد وذلك مع درج حجري واقف لاشك في أنه يصعب على الأخوات المسنات من المسلمات صعوده ولكن المسجد كله ليس بالكبير كما تقدم.

ثم خرجنا من المسجد نتأمل هذا الميدان وتلك الجموع من البشر التي يموج بها فما أسرع أن التف علينا منهم جماعات كثيرة، ما أن يتأمل المرء وجوههم من قرب حتى يرى عليها علامات نقص التغذية، وعدم اكتمال الصحة.

فرغم البياض بل الشقرة الظاهرة فيهم فإن مظاهر الترف في اللباس والأبدان الموجودة على الأوروبيين في العادة غير موجودة لديهم، وهذا أمر ظاهر السبب من كون الشيوعيين قد قبضوا على الأنشطة الاقتصادية كلها بيد من حديد وحرموا الشعب من كثير من الأغذية النافعة كالكفاية من اللحوم وما دون الكفاية من الفواكه.



شعب من المشاة في تيرانا

قصر الثقافة المهان :

في الوقت الذي حطم فيه الشيوعيون أبنية المساجد، وهدموا مساجد كثيرة لأنها معالم ورموز إسلامية فإنه أقاموا بديلا منها رموزاً شيوعية منها تماثيل لطغاتهم أمثال أنور خوجه ومنها قصور لزعمائهم وقصور لثقافتهم الإلحادية ومنها قصر الثقافة الذي أقاموه مقابلاً لهذا المسجد الجامع فأغلقوا الجامع وفتحوه بل رفعوا مداخله عن الأرض وجعلوا له درجا متسعا كما يكون لدرج قصور الملوك واحاطوه بهالات من التعظيم والاحترام.

لذلك غضب الشعب عليهم وكان غضبان قبل ذلك ولكن انهيار الشيوعية في الإتحاد السوفيتي وشرق أوروبا قضى على مقاومة الشيوعيين فخرج الشعب في مظاهرات عارمة واتجه إلى تلك الرموز الشيوعية يحطم ما قدر على تحطيمه من ذلك هذا القصر الثقافي الشيوعي فرأينا نوافذه الزجاجية مكسرة أو مهشمة ورأينا الرمز لإهانته عندهم متمثلاً في آثار سوداء بمواطيء أحذية قد الصقت على حيطانه من الخارج.

وذلك أنهم عندما احرقوا بعض سيارات الحكومة صاروا يطأون على رماد ما احترق منها بأحذيتهم ويطبعون ذلك على حيطان هذا القصر يريدون بذلك

التعبير عن اهانتهم له.

ولا تزال هذه الطوابع السود ظاهرة على هذا المبنى.

إلى مدينة دَوْرَس :

تبعد مدينة دَوْرَس عن العاصمة تيرانا (٤٣) كيلو متراً، ذهبنا إليها بسيارتين إحداهما السيارة الحكومية التي وضعتها حكومة البانيا تحت تصرفي لتنقلاتنا خارج العاصمة وهي من طراز (فولفو) السويدي اختاروها لقوتها على السير في الطرق الخارجية، ومعنا سيارة أخرى وهي حكومية أخرى من طراز مرسيدس وضعتها الحكومة تحت تصرف ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية في البانيا وهيئة الأغاثة الإسلامية منبثقة عن رابطة العالم الإسلامي ومقرها جدة كما هو معروف.

والسبب في كون الحكومة تعطي السيارات لنا ولأمثالنا زيادة على موضوع التكريم الذي ليس المقصود به الضيافة لأنها لم تستضفنا أنه لاتوجد وسيلة أخرى للحصول على سيارة للتنقل بها خارج العاصمة إذْ لاتوجد سيارات أجرة مطلقًا لافي داخل العاصمة ولاخارجها.

كما أن السيارات الخاصة التي يمتلكها الأفراد في العادة لم تكن توجد أصلاً في البانيا كلها وإنما صارت الآن توجد بعد ذهاب الحكم الشيوعي المتسلط احضرها أشخاص البانيون يعملون في الخارج أو احضروا ثمنها.

المفتي يروي معاناته :

كان معي في السيارة الشيخ حافظ صبري كوتشي مفتي البانيا ورئيس الجمعية الإسلامية الألبانية ويبلغ السبعين من عمره وقد أصر على أن يصحبنا في جميع تنقلاتنا في البانيا ما كان منها داخل العاصمة وخارجها فأشفقت عليه من مشقة التنقل الكثير بالسيارة وقلت له: إنني أرى أنك تحتاج إلى الراحة في هذه السن المتقدمة من النضج فقال: إنني لن أتأخر عن صحبتكم وإن كنت أعاني من بعض الأمراض التي ربما كان سببها الحبس الطويل الذي استمر متواصلاً مدة ٢١ سنة، وكان ذنبي الذين يذكره لي الشيوعيون أنني عدو للشعب لأنني متدين وأن الدين يعود بالشعب إلى الرجعية قال: وليس لي أي

ذنب آخر إلا أنهم يقولون إنك عدو للشباب الاشتراكي الذي يمقت التدين.

قال: فقلت لهم: أنا لست عدواً للشعب وإنما أنا مسلم قال: فكانوا يضربونني إذا قلت لهم ذلك حتى صرت لا أذكره لهم.

قال: ولذلك كنت أصلي تحت الفراش لئلا يروني لأنهم إذا رأوني أصلي ضربوني وعذبوني وأطالوا مدة سجني زيادة عما هو مقرر.

قال: وبقيت طيلة هذه السنوات العشرين لا آكل إلا الخبز لأنهم يخلطون الإدام ونحوه بشحم الخنزير ولحمه.

قال : والأصعب من ذلك الصيام فكنت أصوم دون سحور طيلة السنوات المذكورة لأنهم لايحضرون لي طعامًا للسحور ولو طلبت منهم لضربوني وعذبوني لأنهم يزعمون أن ذلك إصرار مني على تحدي إرادة الشعب ومراغمة للشباب كما يقولون، قال وطيلة سنوات سجني الواحدة والعشرين لم يكن لأسرتي معيل إلا زوجتي التي خرجت تعمل في الحقول وتعمل بالفأس تتقاضى على ذلك أجراً تشتري منه خبزاً للأولاد.

ومعنا أيضًا في السيارة المترجم الأستاذ (سليم ستافا) الذي تبين أنه الشخص الوحيد الذي يجيد العربية من الاخوة الألبانيين العاملين في الجمعية الإسلامية أو المقربين منها الذين قابلونا فالمفتي يعرف العربية ولكن يصعب عليه كما يبطئ فهمه عن اللحاق بالمتحدث بها، ذلك لكونه لم يستعمل ما كان يعرفه من العربية.

كما أن أئمة المساجد لايعرفون إلا قدراً من العربية لم يستعملوه لذلك لايستطيعون الانتفاع به في المحادثة بسبب انقطاع الصلة ما بينهم وبين إخوتهم المسلمين في البلدان العربية ولعدم استعمال الكلمات العربية التي تستعمل في الشعائر الدينية في البانيا نفسها.

غادرنا (تيرانا) إلى مدينة دورس في العاشرة والنصف وسلكنا طريق المطار الذي قدمنا معه أمس.

وهو يشق جزءاً من السهل الذي رأيناه بين البحر والجبال من الطائرة، وتبعد تيرانا عن البحر ١٩ كيلو متراً.

الشيوعية والرمل :

مررنا بأراضٍ صالحة للزراعة ولكن ليس فيها إلا الحشائش والأعشاب الوحشية التي ترعى في بعضها الأنعام، وبعضها متروك هملاً فقلت لهم: لماذا يشكو الناس هنا من قلة الغذاء والأرض خضراء وصالحة للزراعة؟

فأجاب المفتي : إن الناس يتركون الأرض دون زراعة معاندة للشيوعيين، وقد أتلف المزارعون في المزارع الحكومية قبل أيام مقادير كبيرة من البطيخ الأخضر الجبحب فكسروه معاكسة للحكومة.

وعقب على ذلك الأستاذ (سليم ستافا) بقوله ألم تسمع بالنكتة السائدة هنا عن الشيوعيين؟

قلت : وما هي؟

قال: يقولون لو استولى الشيوعيون على الصحراء لاحتاجت إلى أن تستورد الرمل من الخارج.

فقلت له: إن هذا ظاهر في نزع البركة من بلاد الشيوعيين حتى إنها في أكثرها أو لنقل في أكبر دولها وهو الاتحاد السوفيتي تستورد القمح من بلاد أصغر منها في مساحة الأرض الصالحة لزراعة القمح مثل استراليا والولايات المتحدة.

وحتى أنتم في هذه البلاد الزراعية الخضراء التي تجرى فيها عدة أنهار وتهطل عليها مقادير جيدة من الأمطار احتجتم إلى إغاثتكم بالمواد الغذائية اللازمة.

قرية قاشار :

وكنا نمر بقرية زراعية اسمها (قاشار) قالوا لنا ونحن نحاذيها : إن هذه القرية كانت مشهورة بزراعة البصل الأخضر واليوم لايوجد منه فيها شيء.

وفي هذه القرية وهي قليلة البيوت متسعة المساحة رأينا طائفة من الأطفال الصغار والفتيات الذين لم يبلغوا الحلم وقد تخففوا من اللباس، بل هم شبه عراة ليس على الواحد منهم إلا سروال قصير يستر العورة فهم في هذا الأمر يشبهون الأفارقة لولا الفروق ما بينهم وبين الأفارقة في كل شيء يتعلق بالبدن

وأول ذلك شقرة شعورهم التي جعلتها تلمع في هذه الشمس الصاحية الحارة وتبدو كأنما طليت بالذهب.

وبلدة فورا :

ثم حاذينا بلدة صغيرة اسمها (فورا) فيها مسجد لا منارة له وهو الذي يصح أن يسمى اصطلاحا بالمصلى لأنه مكان اتخذه المسلمون المصلون مسجداً بعد أن انهزمت الشيوعية وكفاهم الله شرها.

وليس لهذا المصلى منارة ولامظهر المسجد، لأن الشيوعيين حطموا جميع منارات المساجد إلا ثلاثة منها ذكرت اسم اثنين منها فيما سبق.

وعلى ذكر القرية وسكانها ذكروا أن نصف مليون شخص خرجوا من البانيا منذ أن تراخت قبضة الشيوعية من البلاد وسمحت الحكومة باعطاء جوازات سفر للراغبين من المواطنين شرط أن يحضروا سمة دخول إلى البلد الذين يذهبون إليه.

ولاشك أن القارئ الكريم قد يتذكر الحملات المهينة التي قام بها الشعب الألباني باللجؤ إلى مقر السفارات الأجنبية رجاء أن تسمح لهم بمغادرة البلاد والدخول إلى تلك البلدان الأجنبية.

ثم جاء الهروب الجماعي لنحو ثلاثة عشر الف ألباني على متن سفن في رحلات غير مرخص بها إلى موانئ إيطالية والإرجاع المهين الذي قامت به إيطاليا لهؤلاء اللاجئين حيث قبضت عليهم واهانتهم واعادتهم بالقوة إلى بلادهم.

هذا وقد صرنا نسير في أرض ريفية خالصة ليس فيها كبير عمارة وتجاوز الطريق نهيراً صغيراً كان يسرع في جيرانه رغم قلة مياهه.

والأراضي الزراعية هنا كلها ملك للحكومة أو هي للجمعيات التعاونية التي أخذتها من الحكومة ليزرعها عدد من الناس يتعاونون على زراعتها ويقترضون من الحكومة مايلزم لذلك.

وقد أوقفت الحكومة الآن هذا النظام وأخذت تعمل في توزيع الأرض الزراعية على الفلاحين بواقع أربع دونمات لكل أسرة.

وذلك بعد أن تحققوا من فشل النظام الشيوعي وما جره ذلك النظام على الشعب من ويلات ربما كان أقلها وقعا على نفوسهم هذا الفقر المدقع الذي ران وما يزال عليهم.

والمزروع من الحقول أكثره ذرة من التي زرعت لعلف الحيوان.

هذه دورس :

في الحادية عشرة والثلث لاحت لنا مدينة دورس وكان أول ما وصلنا إليه منها على الشارع العام الذي هو الطريق الذي جئنا منه أبنية حكومية متعددة الطوابق للإسكان الشعبي قليلة العدد.

وأكثر ما يلفت النظر في هذه الشقق كثرة الملابس المنشورة في شرفاتها مما يدل على أنها شقق ضيقة.

وقد أخبرنا أهلها أنها ضيقة بالفعل أكثرها من غرفتين وفيها شقق قليلة من ثلاث غرف.

وصلنا إلى داخل المدينة المكتظ بالسكان فلاحظنا كثرة المشاة في شوارعها مع أنها لاتعتبر كبيرة إذ يبلغ عدد سكانها (٩٥) ألفًا تبلغ نسبة المسلمين فيهم ٨٥٪ والبقية من النصارى الأرثوذكس.

مسجد الفاتح :

وكانت أولى الوقفات فيها عند (مسجد الفاتح) ولكنه رغم هذا الاسم الجليل كان مهبض الجناح، إذ كان بدون منارة لأن الشيوعيين كسروا منارته حتى لايبقى فيه مايدل على أنه مسجد يذكر ناشئة المسلمين بأن هذه البلاد كانت بلاداً إسلامية.

وقد حوله الشيوعيون إلى مخزن للبضائع وبقي أسيراً في ايديهم مكسور الأنف، وأنفه منارته الشاهقة لمدة سنين طويلة حتى استعاده المسلمون منهم قبل سبعة أشهر.

وقد طالب المسلمون من السلطات الحكومية الحاضرة أن ترممه لأن الحكومة الشيوعية السابقة هي التي سببت خرابه فوافقت على ذلك تحت ضغطهم وأجرت بعض الترميمات الضرورية عليه.

وذلك لكونها تعلم أن المسلمين مثلهم مثل بقية الشعب هم أضعف من أن يستطيعوا ترميمه فالنقود اللازمة لذلك لا توجد في أيديهم ولو وجدت لم توجد الالات والأدوات اللازمة للترميم.

إذْ لا يوجد في البلاد مقاولون أفراد ولاشركات للبناء. كما لاتوجد المواد اللازمة للبناء من إسمنت وحديد للبيع إلا بمقادير مقدرة تملكها الحكومة وحدها، ويحتاج البناء إلى استيراد الآلات الفعالة لذلك من الخارج.



داخل مسجد الفاتح في دورس

ومن الغريب الذي ذكره لنا المفتي والقوم يسمعون أن السجاد الذي كان قد فرش به المسجد كان قد أخذه زعماء الشيوعيين واستعملوه في بيوتهم وقال: أبقوه عندهم وعندما هزمت الشيوعية واستعيد المسجد استعادوا ذلك السجاد وفرشوا به المسجد ثانية وقد رأيناه فيه قديمًا ولكنه ذو أهمية بالغة.

وهو معتاد الطراز على غرار المساجد التركية له شرفة في مؤخرته تصلي فيها النساء ولا زخرفة فيه.

ولما أخبرتهم بأنه من المهم بناء المنارة قال المفتي: إننا لم ننعم بالحرية الدينية إلا منذ وقت قريب وسنبني المنارة مثل غيرها من منارات المساجد التي هدمت.

ولم نجد إمام المسجد الأخ عثمان ساكوتي وإنما وجدنا المؤذن (ارسلان يعقوب) وبعض الإخوة المسلمين منهم مهندس كهربائي اسمه (محرم ارسلان) ذكروا أنه عمل في إعادة الكهرباء إلى المسجد مجانًا من دون أجر.

كما وجدنا شخصًا آخر في المسجد اسمه (عمر اياس) وجدناه متحمسًا لتعلم دينه وقال: نحن الآن لانفهم شيئًا من أمور ديننا وينبغي أن توجد لدينا كتب باللغة الألبانية حتى نفهمها وقد أهديناه مصحفًا فقبَّله ووضعه على رأسه وقال أنا افعل ذلك وإن كنت لا أفهم ما فيه، وينبغي أن تصلنا ترجمة معاني القرآن بالألبانية: فقال المفتي إنها الآن في الطريق اليكم وقلت للأخ عمر إنه إذا كنت قد فاتك تعلم الدين لأنه كان في الخمسين من عمره فإنه يمكنك أن تعلم ابنك لعل الله ينفعه وينفع به وقد يصبح مفتيًا.

وقد اهدينا إلى المسجد هدية ثمنية جداً في هذه البلاد وهي مجموعة اشرطة مسجل عليها القرآن الكريم بصوت أحد القراء المشهورين في المملكة وجهاز تسجيل تدار فيه هذه الأشرطة وسجادة للصلاة ومصاحف بالعربية، وكنا أهدينا لمسجد (أدهم بيك) في تيرانا مثل ذلك فكان سرور الإخوة بالغًا عندما سمعوا القرآن الكريم مسجلاً من هذه الآلة التي لاتوجد عندهم للبيع ولو وجدت لما استطاعوا إلى شرائها سبيلاً، لعجزهم عن ثمنها.

حفظ الفاتحة كحفظ القرآن :

صعدنا إلى ما يشبه الشرفة في مؤخرة المسجد مع درج قصير فوجدنا فيه قاعة مفروشة ببعض البسط وليس فيها مقاعد ذكروا أن أحدهم يلقي على ابناء المسلمين دروسًا في تعليم القرآن ومبادئ الدين.

وأشاروا إلى صبي كان معهم قائلين إنه أحد أولئك الطلبة الذين يبلغ عددهم الستين وأمروه أن يقرأ الفاتحة فقرأها بصعوبة بالغة من غير أن يقيم إخراج حروفها من مخارجها ومع ذلك فإنه عندما أكملها ظهر السرور على وجوههم وصفق بعضهم وكأنه كان قد فرغ من ختم القرآن حفظًا.

لم يبق من الإسلام إلا اسمه :

وذلك أن هذه البلاد الألبانية وقعت لسنوات طويلة تحت حكم شيوعي الحادي حارب كل ما له صلة بالإسلام سواء أكانت تلك الصلة قولية أم عملية

حتى نشأ الجيل الجديد فيهم لايعرف حتى لفظ الشهادتين.

وقد تذكرت عند ذلك ما ورد في الأثر: يأتي على الناس زمان لايبقى فيه من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلآ رسمه!.

وأهل هذه البلاد انطبقت عليهم الجملة الأولى، وتجاوزوا الجملة الثانية وهي لا يبقى من القرآن إلآ رسمه لأنه لم يبق عندهم من القرآن ولا رسمه، فأصبحوا لايوجد عندهم مصحف واحد إلاً مختفياً عن الأنظار وقلما يوجد ذلك لأن الشيوعيين كانوا قد سلطوا جواسيس من الأولاد على أهليهم يخبرونهم حتى بما يتلفظون به، فضلاً عما يفعلونه.

ثم احضروا بنية صغيرة في العاشرة من عمرها ذكروا أيضًا أنها تحضر لتعلم القرآن فقرأت سورة الأخلاص قراءة غلطت بها.

ويقع هذا المسجد في حي يسمى (حي قلعة رقم١) وقلعة هي الكلمة العربية الفصيحة التي تعني الحصن ويلفظون به (كلاه) وهم يستعملون هذه الكلمة لهذا المعنى في لغتهم.



زقاق مقابل لجامع الفاتح في دورس

ويتألف الحي من بيوت قديمة مبنية من الحجارة والطين أو من الآجر المطلي وهي مطلية بطلاء أبيض حتى تبدو في مظهر جيد.

وداخل هذا الحي ذو أزقة متعرجة، إلا أن بجواره شارعا مستقيمًا حديثًا رأينا فيه الناس جالسين بكثرة على الأرصفة وكأنهم لايجدون عملاً يشغلهم وهم بالفعل لايعملون في هذا اليوم الذي هو يوم الأحد.

في ميدان الحرية :

وكانت الوقفة الثانية في الميدان الرئيسي في المدينة وكان اسمه القديم قبل الشيوعية ميدان (ليريا) بمعنى الحرية إلا أن الشيوعيين غيروه واسموه (ميدان انور خوجا) الذي هو زعيم الشيوعيين الهالك، ثم ألغت الحكومة الحاضرة هذا الاسم في حملتها على تغيير الأسماء الشيوعية ارضاء للشعب الذي يمقت الشيوعية والشيوعيين.

والسبب في الوقفة بهذا الميدان ليس لمجرد الإطلاع عليه، وإنما الإطلاع على بقايا جامع عظيم يشرف عليه في ربوة عالية تنهض من جواره.

جامع دَوْرَس :

ويسمى جامع دورس وهو أكبر الجوامع فيها وأهمها، وكان مكانه قبل ذلك في الميدان نفسه، غير أن الملك أحمد زوغو نقله من مكانه في الميدان المنخفض إلى هذه الربوة العالية المجاورة للميدان وبناه بناء عظيمًا مشرفًا حتى صار من أكبر المساجد في ألبانيا وأشهرها.

وقد فعل لك من أجل أن ترى السفن التي في البحر منارته وقبته من بعيد فهو غير بعيد من ميناء المدينة الذي يقع على البحر الادرياتيكي وذلك في عام ١٩٢٤م أي كان بناؤه في ذلك التاريخ.

وقد هدم الشيوعيون منارته التي كانت جميلة مشرفة وحولوه إلى ناد للشبيبة حيث يكون الرقص وشرب الخمر وغير ذلك من الفواحش قاتلهم الله.

ذكروا أن الحكومة الحاضرة على استعداد لا عادته للمسلمين إلا أن ذلك لم يتم حتى الآن وقد أخلوه من النادي ولم يعد مسجداً، ويريد الإخوة المسلمون أن يعيدوا بناء منارته ويفتحوه للصلاة بعد أن يرمموه إلا أن إمكاناتهم تعجز عن

ذلك في الوقت الحاضر فأشرت عليهم أن يبادروا إلى استعادته، وأما عمارته فإنه يمكن النظر فيها فيما بعد ونحن في رابطة العالم الإسلامي نستطيع أن نساعد على ذلك كما يستطيع غيرنا من المؤسسات الإسلامية أن تساعدهم أيضًا على ترميمه وإعادته إلى حالته الأولى أو احسن من ذلك.

ولم نستطع أن ندخله لأنه كان مغلقًا ولم نجد الشخص الذي يحمل مفتاحه رغم البحث عنه فصعدنا مع درج خارجي عالٍ فيه والتقطت صوراً للمنطقة ولميناء المدينة من هذا المكان المرتفع.

إلى بلدة كوايا:

وتقع إلى الجنوب من مدينة (دورس) أي في الإتجاه العاكس لإتجاه العاصمة بمعنى أن علينا إذا فرغنا من زيارتها أن نمر بدروس في طريق عودتنا إلى تيرانا.

غادرنا (دورس) في الساعة الواحدة إلى بلدة (كوايا) التي تبعد عنها بـ ١٧ كيلو متراً من طريق يمر بشاطئ البحر وإن لم يكن ملاصقًا له ورأينا من البعد أفواجًا من الناس في شاطئ البحر إلا أننا لم نتبين حالتهم فيه ولم نطلب من المرافقين أن نطلع عليه أو أن نقف عنده.

وكان أكثر ما يسترعى الانتباه هنا كما في أكثر أنحاء البلاد التحصينات العسكرية المبنية من الأسمنت والحديد بشكل قوي بعضها كبير بحيث يتسع لمدفع كبير مع العاملين فيه وبعضها صغير لايتسع إلا لجندي واحد معه سلاحه.

وهي مبنية على شكل مقبب بحيث صارت تشبه غطاء الطبق، وسماها بعضنا قبعات (أنور خوجا) لأنه هو الذي أمر ببنائها وتعميمها على سائر البلاد من أجل أن يدافع الشعب من خلالها عن مكاسبه التي يزعم أنه قد كسبها وأن الامبريالية تريد حرمانه منها.

وقد ذكروا لنا رقمًا ضخمًا لعددها فأوصلوها إلى مليون واربعمائة ألف غرفة وقد استكثرت ذلك حتى خشيت إذا نقلته أن أعد مبالغًا أو ناقلاً لكلام مبالغ فيه غير أنني بعد أن رأيت كثيراً منها منتشراً في أنحاء البلاد بشكل مبالغ فيه عرفت أن رقمها كبير جداً.

وبالغوا أيضًا في المقادير من المال التي انفقت على اقامتها فذكروا أن الغرفة الواحدة منها تتكلف أربعة آلاف دولار أمريكي، ولا أدري صحة ذلك ولكنها قوية مبالغ في قوتها.

وقد رأيت الآن منها عشرات بل مئات منتشرة على الطريق المحاذي لساحل البحر تحت الأشجار تكاد تكون متلاصقة لكثرتها.

ثم ترك الطريق ساحل البحر حيث صار يسير في جو ريفي غير معتنى به وإنما أكثره حشائش أعشاب ملتفة وإن كان لايخلو من حقول الذرة ومزارع ضيقة للخضرات.

حتى وصلنا :

بلدة كوايا :

أولها أبنية حكومية للاسكان الشعبي حسنة المظهر وفيها قسم منها قد سكنه الناس قبل أن يتم طلاؤه ولا أدري السبب، وربما كان ذلك للحاجة إلى المساكن، ولم أر في شارعها العام الذي سلكناه أية حوانيت.



شارع في كوايا

فكانت الوقفة الأولى على مكان المسجد الجامع الكبير فيها ، ولم نقل على أنقاضه أو آثاره فقد هدمه الشيوعيون ولم يتركوا له أثراً ، بل إنهم جعلوا مكانه حديقة ليست المدينة بحاجة إليها لوجود حدائق كافية فيها غيرها ولكن لكي يعموا أثره، ويدفنوا خبره (ومكروا ومكرا الله والله خير الماكرين) فقد خذلهم الله وأذلهم وأعاد مكانة الإسلام في نفوس المسلمين فالتفتوا إلى هذا المسجد المفقود فلم يجدوا عندهم له من أثر إلا صورة له قبل هدمه أسرعوا يروننا إياها فأسرعت التقط لها هذه الصورة التي اخشى الا تكون واضحة لأنني لست خبيراً بتصوير الأشياء الصغيرة.



صورة لمسجد القبة في كوايا قبل أن يهدمه الشيوعيون

وقد نوه مرافقونا بمتانة الديانة في هذه البلدة وقالوا: أهل (كوايا) مسلمون يكرهون الشيوعية وقد أعيدت أرض المسجد الآن من الحكومة إلى المسلمين ولكن الشأن في كيفية بنائها.

وقد أخبرنا الأخ عثمان أحمد كابلي ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية المقيم في البانيا أن الهيئة قد وجدت متبرعين لبناء هذا المسجد وأنه يسعى في ذلك فأخبرته والأخوة المرافقون يسمعون ويبلغون ذلك إلى أهل (كوايا) بأن المهم الآن

هو المسارعة في إجراء أية عمارة في هذه الأرض تدل على أنها ابتداء لعمارة المسجد مثل تسويرها وبناء غرفة في أحد أركانها تكون مصلى مؤقتا فيها لأن ذلك يكون الخطوة الأولى في بناء المسجد.

لقد تجمهر حولنا جماعات كثيرة من أهل البلدة كنا رأينا بعضهم جالسين في ظلال الأشجار أو متسكعين في الشارع مثل غيرهم.

فكانوا يتصنون لما نقول وكأنهم المعنيون بذلك وإن كانوا لايفهمون ما نقوله إلا أنهم لايعدمون أن يسمعوا ترجمة لبعضه لأن بعض الذين يهمهم الأمر من أهل البلاد كانوا يصحبوننا لايفهمون العربية لذلك يترجمون كلامنا إليهم فيسترقه هؤلاء المتجمعون الذين يبدو أكثرهم وكأنهم لاعمل لهم.

ولكن عهد الإرهاب قد ولى وأصبح الناس لايخشون من أن يتلفظوا بما شاؤا من القول، مع أننا لا نسمح لهم ولا لنا أن نقول ما يمس نظامًا أو يعد تدخلاً علنيًا في شئون محلية داخلية وإنما ينصب اهتمامنا وتتركز أقوالنا على ما يتعلق بالمساجد والمساعدة على بنائها وذلك أمر لايعارضه أحد في الوقت الحاضر.

الأذان في أعلى مكان :

أعلى نقطة في هذا المكان الذي هو أهم منطقة في البلدة إذ هو الشارع العام قد اتسع جزء حتى أصبح كالميدان فكان أعلى مكان فيه برج للساعة عال يساوي ارتفاعه بناء من خمسة طوابق.

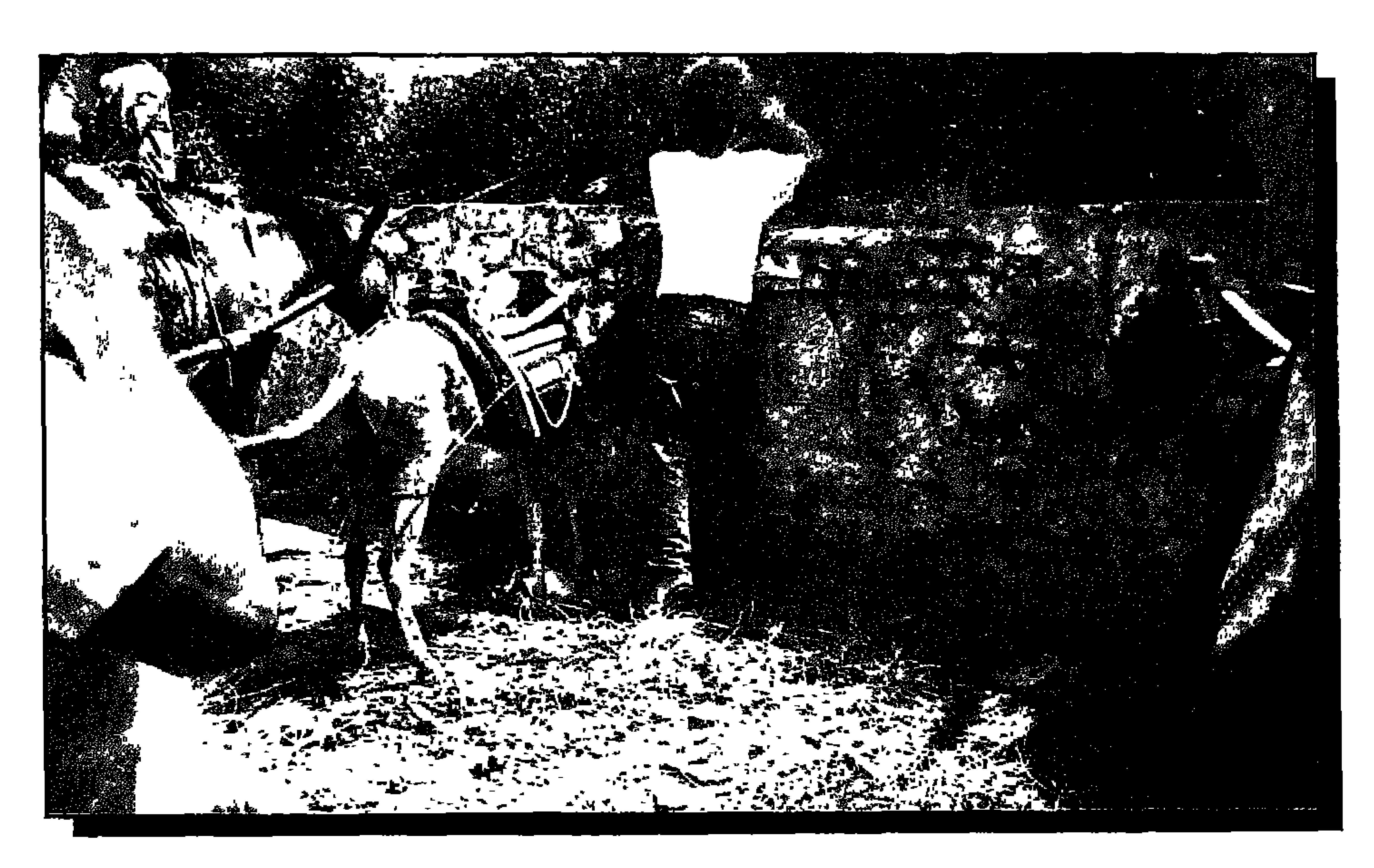
وقد سمعنا صوت المؤذن يؤذن لصلاة الظهر وقد صعد إلى أعلى برج الساعة هذا المطل على أهم مكان في المدينة وهو يؤذن بصوت جهوري ولكن من دون مكبر للصوت لأنهم لا يملكون ذلك المكبر.

وقد أشاروا باهتمام إلى مكان قد تجمعت فيه حمير من حميرهم الصغيرة الحجم الرديئة النوع التي لايزالون يستعملونها في الركوب وحمل الأشياء الثقيلة وقالوا هنا الحجر المنقوش هل تريدون رؤيته فرأينا حجراً مكتوبًا عليه بالحروف العربية وبلغة لانعرفها ربما كانت الألبانية بحروف عربية ولكنهم لم يستطيعوا قراءتها إلا أن كتابة تاريخ النقش في الحجر ظاهرة واضحة قرأتها

فإذا بها مؤرخة في عام ١٣٠٨هـ ولا أدري إلى أي شيء تشير لأن المكان الذي فيه الحجر قد صار مربطًا للحمير، وكدت أسرع إلى تصويرها غير أني خشيت أن يأخذ القوم ذلك على مأخذ البحث عن المآخذ على بلادهم وإنما صورت بعضها خلسة بعد ذلك، ثم تبين أن وجود الحمير في البلدة ليس بدعًا من الأمر بل هو في كثير من أنحاء البلاد لعدم وجود المواصلات المدنية من سيارات النقل الصغيرة أو حتى الجرارات الصغيرة فيضطر بعض أهل الأرياف إلى امتطاء الحمير بدلاً من السير الكثير على حد قول الشاعر الكبير:

وماعن رضى كان الحمار مطيتي ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

وقد اعتنوا بهذه الحمير على صغرها وحقارتها فرحلوها برحال صغيرة مزينة كما كنا نفعل بالمطايا من الابل في القديم.



إبعاد الحمير عن الحجر الذي فيه كتابة قديمة في كوايسا

ورأيت فلاحات في ركن من هذا السوق قد جلسن يبعن ما انتجت أرضهن من خضرات ولم أر في بضاعتهن إلا الطماطم والفلفل الحلو أي غير الحار وسعره زهيد إذ يباع كيلو الطماطم بليكين اثنين والليك هو اسم العملة المحلية هنا، ولكنهم قالوا عندما أبديت لهم استرخاص سعره: إنه مبلغ كبير بالنسبة

لهم لأن العامل غير الجيد يتقاضي أجرة يومية مابين ثمانية ليكات إلى عشرة ليكات.

وكذلك يبعن الكيلو الواحد من الفلفل غير الحار وإن لم يكن كبير الحجم كالذي يكون عندنا بليكين اثنين.

مع العلم بأن الصرف الرسمي للدولار هو عشرة ليكات بالدولار ولكنه يصرف في السوق الحرة بثلاثين ليكًا.

وقد صار الفضوليون من الناس يتبعوننا ويتزاحمون حولنا ويتزايد عددهم اينما توجهنا فما شبهتهم إلا بكرة الثلج التي كلما تدحرجت كبرت.

وهم بالفعل بيض الألوان، بل إن بياضهم هو بياض الأوروبيين الشماليين، وليس كبياض الأوروبيين الجنوبيين، وأكثرهم ذوو شعور شقر.

ولذلك تكرر عجبي من أن يكونوا على هذه الدرجة من الفضول وعدم العمل وهم كذلك وكان قد انطبع في ذهني أن مثل الأفعال لاتكون إلاَّ في بلاد السمر والسود وهي في بلاد السمر أكثر كما لاحظت ذلك خلال زياراتي لبلدان العالم

واسم هذا المسجد المهدوم الذي ينتظر البعث المادي بعد البعث المعنوي (مسجد القبة).

إلى المسجد المؤقت:

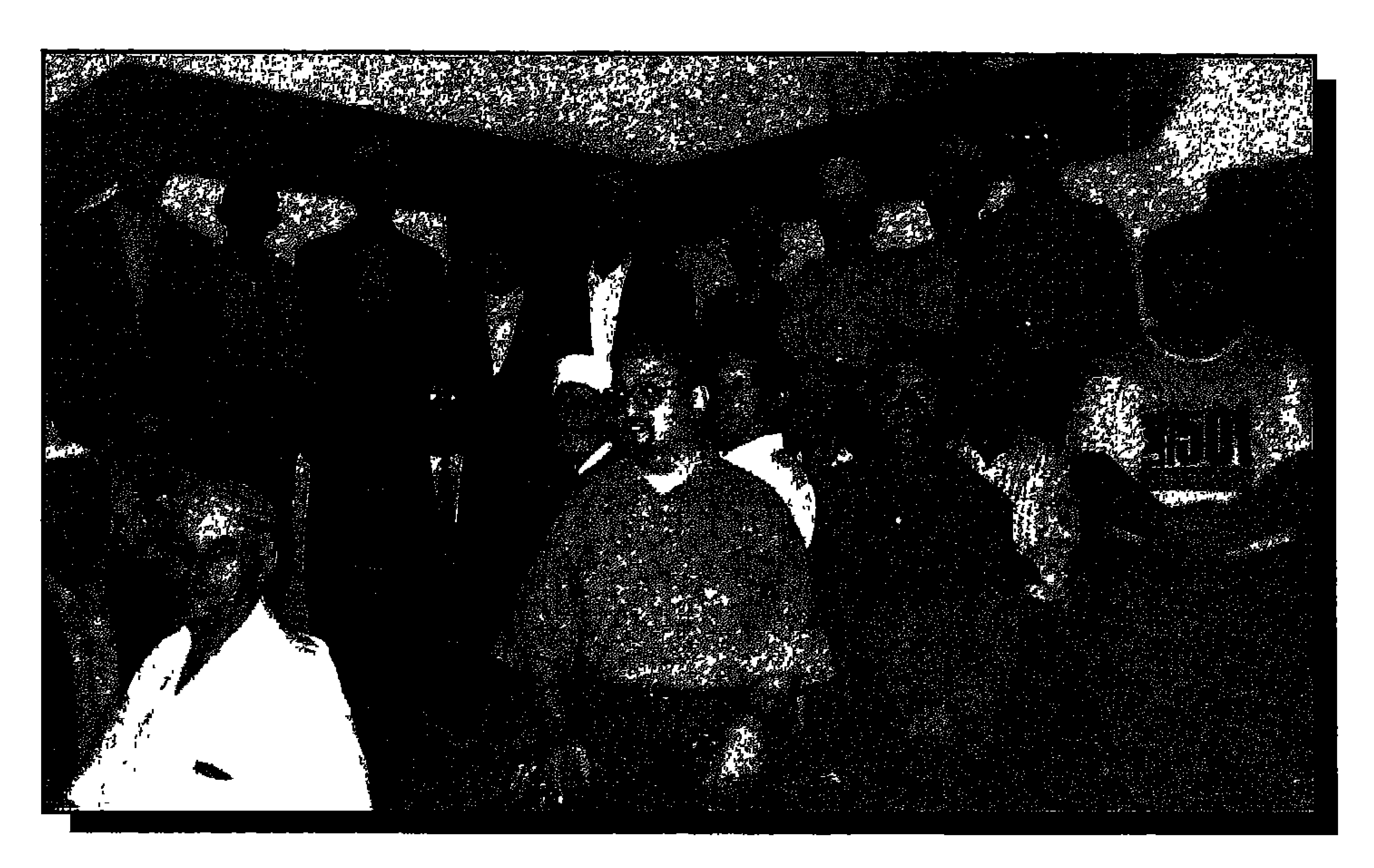
بعد أن هدم الشيوعيون (مسجد القبة) وهو المسجد الرئيسي وغيره من المساجد لم يبق للمسلمين مكان يصلون فيه وهذا أمر معتاد للشيوعيين هنا إذْ كانوا حرموا الصلاة على الشعب حتى داخل البيت وكل من نقل عنه أنه صلى في بيته عوقب عقابًا صارمًا غير أنه عندما سقط الشيوعيون وسقط معهم نفوذهم السياسي طالب المسلمون بمكان يصلون فيه بديلا من المسجد التي هدمته الحكومة الشيوعية فاعطوهم مكانًا صغيراً هو نموذج لبيت شعبي الباني قديم.

ذهبنا إليه من مكان مسجد القبة فسلكنا شوارع بعضها مكسر الزفت وبعضها ليس فيه زفت أصلاً، بل هو حفر ونقر تهبط معها السيارة وترتفع وتضطر إلى أن تسير رويداً رويداً مما ذكرني بشوارع مدينة إفريقية مسلمة هي

(باماكو) عاصمة جمهورية مالي فشوارعها الداخلية مثل شوارع هذه البلدة المسلمة بجامع السؤ في رصفها.

وليس هذا بالمستغرب الوحيد وإنما كان هناك رتل من الحمير تمشي وتتبختر أو تتعثر في مشيها أمام سيارتينا وحاول السائق ابعادها عن الطريق بإطلاق بوق السيارة فلم تكترث الحمير لذلك وكأنما تجاهلته، أو جهلته، مما حمل امرأة كانت ترتدي زيا أوروبيا عصريًا أنيقًا على أن تحاول إبعاد الحمير عن طريق السيارتين بنهرها وبزجرها ولكنها لم تبتعد ويظهر أنها أيضًا لم تتعود على زجر الحمير ولكن منظرها وهي تحاول ذلك قد صار جزءًا من منظر طريف.

وصلنا المسجد المؤقت الذي يقع في حي (قوريا) من البلدة فوجدنا المصلين ينصرفون من صلاة الظهر وكلهم شيخ كبير السن على رأسه (طاقيته) ولم يكن معهم ممن هم في متوسط العمر فضلاً عن الشبان أحد.



صورة تذكارية مع المصلين في مسجد كوايا المؤقت

واستقبلنا إمام المسجد الشيخ الحاج جعفر بن أحمد سودرا وهو أكثر من عرفناه من أئمة المساجد هنا نشاطًا وحيوية وقد أدى فريضة الحج هذا العام ضمن أول فوج من حجاج ألبانيا الذين أدوا الفريضة على ضيافة خادم الحرمين

الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ولولا هذه الضيافة لم يستطع أن يحج منهم أحد لأنه لا أحد يستطيع دفع أجرة الطائرة والحصول على عملات بالعملة الصعبة لنفقات الحج.

قلت للشيخ الإمام جعفر: لقد لاحظت أن جميع المصلين على قلتهم هم من كبار السن فلم لاتدعون الشبان إلى الصلاة في المسجد؟.

فقال: نحن نفعل ذلك ولكن الشبان يفضلون الذهاب إلى (السينما) على الذهاب إلى المسجد، فقلت له: قد تكون هذه حال بعضهم، ولكن هناك كثيرون من الشبان يواظبون على الصلاة في المسجد في البلدان الأخرى.

فقال كما قال غيره: إن الشبان عندنا قد رباهم الشيوعيون تربية إلحادية بعيدة عن الدين، وتحتاج إعادتهم إلى الدين إلى جهود كبيرة ووقت طويل.

قلت: إذاً تستطيعون أن تبدؤا بتربية الأطفال الصغار تربية دينية إلى جانب إرشاد الكبار.

لقد قلت لهم ذلك وأنا أعلم أنه يصعب عليهم في هذه المرحلة إيجاد المرشد الديني المناسب من بلادهم وإنما يمكن أن يستقدموا مرشدين من المتخرجين من الجامعات والمدارس الإسلامية في المملكة العربية السعودية وغيرها من إخوانهم الألبانيين الذين يعيشون في يوغسلافيا وهم كثير ولله الحمد فهم يفهمون لغتهم ومجاورون لهم.

وقد جلسنا معهم في هذا المسجد الصغير الذي لايتسع المصلى الداخلي فيه لأكثر من عشرين شخصاً وإن كان يسبقه رواق قد يستخدم للصلاة.

وحدثونا عن بلدتهم (كوايا) هذه بأنها صغيرة لايزيد سكانها على ثلاثين ألف نسمة، ثلاثة ارباعهم من المسلمين ولكن لها أرياف وقرى عديدة تتبعها ذكروا أن عدد قراها يبلغ ستين قرية ليس فيها قرى فيها مساجد إلا عشرون منها في كل واحدة مسجد. وأكثر مساجدها أماكن للصلاة وتحتاج بقيتها إلى مساجد أو أماكن مؤقتة للصلاة.

وذكر الإمام أنه كان في (كوايا) قبل الشيوعية سبعة مساجد كسرها الشيوعيون بالدبابات ولعله يريد الجرافات أو هي الدبابات بالفعل فهو قال بالعربية الدبابة وهو يحسن قدراً لابأس به من العربية سألته في أي مكان

تعلمه؟ فقال: تعلمته في بلدة (كوايا) هذه لأنه كان فيها إمام واحد أدركته وتعلمت عليه قبل أن يموت وتخلو البلدة من العلم.

والآن لايوجد فيها أي عالم أو حافظ ما عدا هذا الرجل كما قيل لنا كما أنه لايوجد فيها أي مسجد إلا هذا المصلى الصغير المؤقت.

ويذكر أن هذا المسجد المؤقت هو عارية من الحكومة لهم فهي لم تمنحهم إياه بحيث يحولونه إلى مصلى بعد عمارة المسجد الجامع، وبحيث تصلى فيه الصلوات الخمس غير الجمعة، وإنما ذكرت الحكومة أنها ستستعيده منهم عندما تتم عمارة الجامع.



تذكارية في حديقة المسجد المؤقت في كوابا
على يساري إمامه الشيخ جعفر أحمد سدرا

وتتقدم هذا المسجد المؤقت حديقة صغيرة فيها خضرات قليلة وأشجار فاكهة غير نضرة التقطنا صورة تذكارية مع الإمام فيها.

وعندما ودعنا الإمام وأهل المسجد وتحركت السيارات كانت قافلة من راكبي الحمير الذين يثير منظرهم الغرابة لأنهم من الأوروبيين ذوي البشرات البيض والشعور الشقر، ومنظر أخوات مسلمات مسنات يضعن على رؤسهن مناديل بيضًا كبيرة شبيهة بالغتر البيض التي نلبسها على رؤسنا.



يركبون الحمير في شوارع كوايـــا

وبدأنا العودة إلى تيرانا في الساعة الثانية .

مأدبة الجمعية الإسلامية :

أقامت الجمعية الإسلامية ممثلة في رئيسها الشيخ الحافظ صبري كوتشي مفتي البانيا حفلة غداء دعت إليها بعض أئمة المساجد والاستاذ عثمان كابلي ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية.

وذلك في فندق تيرانا الذي هو أحد فندقين اثنين لا ثالث لهما من الفنادق المسموح بنزول الأجانب فيهما.

وكان عماد الأكل من اللحم الذي قدموه مطبوخًا ومشويًا من لحم البقر وخضار من البامية ويسمونها (باميا) مثلما نسميها مما يدل على أنها وصلت إليهم من البلدان العربية في الأصل وربما كان ذلك بوساطة اللغة التركية التي تسمى فيها (بامية) أيضًا.

أجرة الفندق تجهز خمس عرائس:

وافقت بعد لأي على الاستجابة لدعوة المفتي على الغداء وذلك خوفًا من تحميلهم نفقات المأدبة ظنًا مني أنها ستكون بالنسبة لهم مثلما هي لنا ، غير أن

المفتي قال لأحد إخواننا إنهم يأخذون منا - نحن الالبانيين - أقل مما يأخذونه من الأجانب لأن للأجانب في الفندقين الموجودين في العاصمة وهما دايشي الذي ننزل فيه وتيرانا وهو الذي نتغدى فيه اسعاراً باهظة لايمكن أن يتحملها المواطنون إضافة إلى كون كل شيء مسعر فيهما بالدولار ولايقبل غيره من العملات إلاّ عملات قابلة للتحويل مثله وبسعر للصرف أقل من المعتاد.

وضربوا مثلاً على ذلك بصاحب الفضيلة المفتي الشيخ/ حافظ صبري كوتشي فهو يقيم في (اشكودرا) وليس في تيرانا العاصمة رغم كونه مفتيًا عامًا لألبانيا وكونه رئيس الجمعية الإسلامية في كافة ألبانيا وذلك لكونه لايملك منزلاً أو مكتبًا في تيرانا، ولاتوجد منازل للإيجار أو البيع فيما لو أراد هو الشراء وقدر على ذلك، وإنما الوسيلة الوحيدة للحصول على مقر لمثله أن تعطيه الحكومة منزلاً إذْ لديها بعض المنازل الحكومية وكل شيء كان مملوكًا للحكومة الشيوعية ماعدا المنازل الشخصية المحدودة التي ورثها الأشخاص عن أهلهم وبشرط أن لا تزيد عن حاجة الوارث التي تقررها الدولة والا صادرت الزائد.

وقد نزل الشيخ المفتي الآن في فندق تيرانا بأجرة عشرين ليكًا للغرفة في الليلة الواحدة، وهذا المبلغ يساوي بالصرف الرسمي دولارين أمريكيين اثنين وبالسوق الحرة التي يقال لها السوداء ثلثي دولار.

وهذه أجرة متدنية جداً لأن مستوى هذا الفندق مثل فندقنا يعادل في البلدان الحرة في اقتصادها ثلاثين دولاراً أمريكيًا ولكن بالنسبة إلى دخول الناس هنا فإن الأجرة المتدنية هذه لاتعتبر كذلك لأن عشرين ليكًا تساوي أجرة العامل ليومين اثنين. وهي للموظف المتوسط تعادل أجرة يوم واحد فعلى سبيل المثال مرافقنا ومترجمنا الاستاذ (سليم ستافا) عمل في الدولة أكثر من ٢٥ سنة حتى تقاعد قبل أشهر وكان راتبه عند تقاعده (٦١٠) ليكات وصار الآن يتقاضى راتب تقاعد يزيد قليلاً على اربعمائة ليك.

أما أجرة الغرفة في فندقنا فقد جعلوها لنا تسعين دولاراً أمريكية لليلة الواحدة عدا ونقداً، وكذلك جميع مايقدم فيه مسعر بالدولار.

وقد دهش الأخوة الألبانيون لارتفاع هذه الأجرة، وذكروا لي أن أجرة ليلة

واحدة تكفي لتجهيز خمس عرائس فهي تعادل (٢٧٠٠) ليك بالسعر الحر وذلك يساوي الراتب التقاعدي للأخ سليم ستافا مدة ستة أشهر. كما ذكروا أن تجهيز العروس عندهم يبلغ في المتوسط خمسمائة ليك لأنهم لايأخذون مهراً نقديًا في العادة وإنما تكون هناك تكاليف لتجهيز الزوجة للزواج تبلغ خمسمائة ليك في المتوسط وإذاً تكون أجرة غرفتي في دايشي تعادل تجهيز خمس عرائس عندهم.

مصلى العيد السليب :

استرحنا قليلاً في الفندق ثم واصلنا جولتنا في الساعة الخامسة والنصف وقد سمعت الدكتور شوكت اندورجي رئيس الجمعية الإسلامية في تيرانا يقول بالألبانية لبعضهم إلى (نمازيا) وقال المترجم الاستاذ سليم إنه يريد مصلى العيد (فنمازيا) تعني المصلى بالألبانية اخذاً من اسم الصلاة فيها (نماز) التي أخذتها من التركية التي أخذتها من الفارسية فهي كلمة فارسية.

فانطلقت سياراتانا إلي ضاحية قريبة جميلة ووقفنا عند حديقة قد غطتها الحشائش غير المهذبة وإنما هي حشائش خضر واعشاب قد نمت طبيعيًا وليس عليها أثر تهذيب.

ومن الطريف أنني رأيت رجلاً كهلاً معه شاتان قد ربطهما بحبل وهو يرعاهما في أعشاب هذه الحديقة الخضر النامية فكأن الشياه تقوم بعمل آلة قص الحشائش وتهذيبها، واتضح أن هذه الحديقة التي ترعى فيها الشاة هي موضع مصلى العيد السليب.

وكان مصلى العيد لمدينة تيرانا منذ عهد قريب وقد جعلوه في الخلاء طبقًا للسنة وكان مسوراً فجاء الشيوعيون وصادروه وازالوا معالمه فنبتت الأعشاب فيه، ونمت الأشجار حتى صار حديقة أو اشبه بالحديقة.

قال الاستاذ سليم ستافا: لقد صليت صلاة العيد في هذا المكان في حياتي مرتين قبل أن يزيله الشيوعيون.

وكانت آخر مرة أدى المسلمون صلاة العيد فيه عام ١٩٤١م، وبعد ذلك صاروا يؤدون صلاة العيد في المساجد حتى هدم الشيوعيون المساجد وصادروا

مابقي منها ولم يبقوا منها مسجداً واحداً وذلك في عام ١٩٦٦م حيث لم تصل صلاة العيد مطلقًا منذ ذلك التاريخ حتى هذا العام ١٩٩١م الذي نال المسلمون فيه حريتهم بهزيمة الشيوعيين.

وقال الدكتور شوكت اندورجي وهو رئيس الجمعية الإسلامية في تيرانا كما سبق: إننا نطمع في أن نستعيد كل هذه الأرض أوبعضها من الحكومة فنقيم عليها مركزاً إسلاميًا.

يقول هذا وهو يعرف كما أعرف أنا أنه من الصعب عليهم إن لم يكن من المستحيل إقامة مركز إسلامي بأنفسهم إذا لم يتيسر لهم تبرع من خارج بلادهم لإقامة ذلك المركز والمتبرعون كثر ولله الحمد وقد أبدا بعضهم لهيئة الإغاثة الإسلامية استعدادهم للتبرع لعدد من المشروعات الإسلامية في البانيا ومن ذلك مبلغ مليون دولار أوصى به ثرى الباني يعيش في أمريكا لكي يقام به مركز إسلامي في مسقط رأسه في البانيا.

ولما كان يعرف كما يعرف غيره أن حكومة البانيا الشيوعية لا يوثق بها لأنها معادية للإسلام وأن الإخوة الألبانيين يصعب عليهم في الوقت الحاضر إقامة المشروعات الإسلامية بأنفسهم لما ذكرناه من نقص المعدات والمواد والخبرة الفنية اللازمة لذلك فقد أوصى بأن يوضع المبلغ تحت تصرف هيئة الإغاثة الإسلامية في جدة وأن تتولى الهيئة الإشراف على إقامة ذلك المركز الإسلامي بالصفة التي تراها.

وقد قلت لهم : إن الأمر المهم الآن هو المبادرة بتسلم هذه الأرض وإثبات تسلمها بتسويرها مثلاً وإقامة مبنى صغير فيها بالمواد المحلية المتوفرة كالحجارة والطين ثم السعي لبناء مركز إسلامي أو أية منشأة إسلامية عليها، ونحن مستعدون للمساعدة على ذلك.

حتى الدراجات لاتوجد:

لاحظت كثرة المشاة في هذه الناحية من المدينة التي هي ضاحية في جهة الشمال منها فذكرت بذلك مدن الصين الشعبية وازدحامها بالدراجات بل بفيضان الدراجات كما أسميت ذلك وذكرته في كتبي التي كتبتها عن رحلاتي في الصن وهي خمسة كتب: (داخل أسوار الصين) و(في جنوب الصين)

و(العودة إلى الصين) و(مهد الترك) و «في مهد المغول».

والجامع بين البلدين على الفرق الشاسع بينهما في المساحة وكثرة السكان هو الحكم الشيوعي المتعصب واحتكار الشيوعيين العمل الوطني والاقتصادي بحيث لم يعد بإمكان أفراد الشعب أن يستطيعوا الحصول على أكثر من سد الرمق فلم يمكن لأحد منهم أن يملك سيارة خاصة.

وإنما كان الناس في الصين يحلون مشكلة التنقلات بالحصول على الدراجات الهوائية المعتادة وقد وفرتها الدولة لهم بأسعار رخيصة.

أما في هذه البلاد الألبانية فإن الدراجات نفسها غير موجودة لأن الحكومة لاتستورد دراجات من الخارج لعجزها عن تملك العملة الصعبة وكان فيها مصنع وحيد لانتاج الدراجات تعطل منذ زمن ولم يمكن إصلاحه.

لذلك بقيت عامة الناس دون أية وسيلة من وسائل الانتقال الخاصة.

قالوا : ولهذا السبب انتشرت سرقة الدراجات بشكل واسع الآن وآخر مثال اشتهر عندهم هو سرقة دراجة مدير المستشفى الذي ناشد السارقين أن يعيدوا إليه دراجته لأنها وسيلته الوحيدة التي يملكها للوصول إلى المستشفى ومعالجة المرضى وقد خصص مكافأة مالية للسارقين إذا أعادوها إليه وقد أعادوها إليه بالفعل وتسلموا منه المكافأة.

مسلم جيد ولكن ..:

انطلقت السيارة صوب الشمال في اتجاه جبل دايشي المطل على العاصمة الألبانية من تلك الجهة فكثرت أشجار الزيتون في ضواحي تيرانا وقال أحدهم كان الزيتون كثيراً هنا ولكن الشيوعيين قطعوا أكثره والذي بقي منه صار لاينتج ما كان ينتجه من قبل.

فذكرت هنا قول بعض العلماء القدماء من أئمتنا : إن الظلم ينزع البركة من الثمار.

وسواء أكان المراد بنزع البركة نزع البركة المادية وهو مالا يراه الناس أم كان قلة الانتفاع بها لأسباب مادية ظاهرة منها مثلاً أن الشيوعيين انتزعوا أموال الناس وأملاكهم منهم بالقوة ومنها أشجار الزيتون وسلموها لأناس لايحسنون

إدارتها ولا يهمهم إصلاحها بخلاف مالكيها فساءت حالها وقل انتاجها، وقلت لسائق سيارتنا وهو ألباني أصيل: أأنت مسلم؟

فأجاب باهتمام: أنا مسلم جيد، وحتى اسمى هو مسلم بن إبراهيم.

فقلت له: هل تصلي يامسلم؟ وأنا أريد بذلك تسميته بمسلم لا وصفه بذلك لأنني لم أكن أدري بحقيقته.

فأجاب: لا، إنه لايصلي، قال: وإنما والدي يصلي وعلق سليم على ذلك بقوله: هذا من تأثير الشيوعيين.

حطموا المساجد فتحطم المسلمون:

فأخبرته بوساطة المترجم الأستاذ/ سليم بأهمية الصلاة في الدين الإسلامي وأنها الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين وأنه لايكون المسلم مسلمًا حقيقة إذا لم يصل.

وهنا ذكرت كلمة كنت سمعتها في شبابي عن هندي سئل عما إذا كان مسلمًا فأجاب بجملة فارسية دخلت إلى لغته الهندية (مسلمان خوب، نماز ني) أي إنه مسلم جيد ولكن بدون صلاة بمعنى أنه لايصلي: فخوب: جيد، ونماز: صلاة، وني معناها: لا.

وكيف يكون مسلمًا جيداً وهو لايصلي؟

الصعود للجبل:

بدأنا الصعود إلى أعتاب الجبل وبدأ معه تكاثر الزيتون المعمر مما يدل على ما عرفناه من أن منطقة تيرانا معتدلة الجو لأن الزيتون لايعيش في البلدان الشديدة البرد التي ينزل الثلج فيها في كل شتاء.

وقد أخبرنا الإخوة هنا أنهم قلما يرون الثلج في الشتاء في تيرانا.

وقد مررنا بمحجرة تيرانا وهي مقلع لأحجار البناء يسمى محجرة تيرانا.

ثم وقفنا في قرية (لينزا) وهي في مكان مرتفع بشرف على واد ضيق فيه بيوت ريفية قليلة وتكسو الجبال المشرفة عليه أشجار برية قصيرة وأعشاب من أعشاب المراعي الجيدة، وعندما نزلنا من السيارات كان الجو يعبق رائحة

عطرية من أعشاب برية مزدهرة وكأنما الجو هنا جو الربيع مع أننا في فصل الصيف، بل في آخر فصل الصيف.

وترعى في هذا الجو الربيعي المزدهر أعداد قليلة من الأغنام والحمير، وأغنامهم صغيرة الحجم، كثيرة الصوف، صغيرة الأليات (الأذناب) وللصوف في البلدان الباردة أهمية كبيرة للحاجة إليه في الملابس.

وقرية سورل :

التقطنا بعض الصور التذكارية في مكان مرتفع يطل على الوادي العميق ثم واصلنا السير نرتفع مع ارتفاع الجبل فوصلنا بسرعة إلى قرية (سورل) وهي جميلة تحيط بها أشجار الزيتون الملتفة وطائفة من أهلها من رجال ونساء وأطفال كثر في الطريق وألوانهم هي الألوان البيض السائدة في هذه البلاد الأوروبية.



منزل ريفي قرب قرية سورل

ثم انحدر الطريق قليلاً وهو لايزال في الجبل فكانت أشجار الزيتون تكثر كلها زاد انحدارنا وذلك أن الجو في الأماكن المنخفضة يكون أكثر دفئًا في الشتاء، مع أن المنطقة كلها تستظل بظل جبل دايشي الذي يقف حائلاً بينها وبين رياح الشمال الباردة.



اسفل شجرة زيتون ضخمة تغطي منزلين في قرية سورل

ومررنا بمنجم للفحم الحجري الذي يستعملونه للتدفئة في الشتاء، كما أن بعض السكان يستعملونه للطبخ، وإن كان أكثرهم يفضلون عليه الحطب.

وأهل هذه المناطق كلها من المسلمين الخلص أي ليس بينهم سكان مسيحيون أصلاء فيها.

قرية بوسكا :

وقفنا عند هذه القرية التي ستكون آخر نقطة نصل إليها من الجبل هذا اليوم وذلك لرؤية بقايا مسجد قديم فيها هدمه الشيوعيون فبقيت دون مسجد وقد عرضت الحكومة على الأخ الأستاذ عثمان كابلي ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية في البانيا أن تعطيه أرضًا تقيم عليها الهيئة مسجداً للمنطقة لأن هذه القرية التي يقطنها مسلمون ليس فيها مسجد واحد، وكذلك ما حولها من المزارع والأرياف.

أهم معالم هذه القرية الريفية الجبلية أن بيوتها متفرقة لأنها في الأصل

بيوت مزارعين يقيمون في مزارعهم وفيها أشجار كثيفة من أشجار الزيتون المعمرة.



المؤلف يحمل أحد أطفال المسلمين في قرية برسكا

وكما هو المعتاد في هذه البلاد التف عليها طائفة من القرويين وبخاصة الأطفال والفتيان منهم وهم بيض الألوان إلا أن الإشراق على وجوههم قليل إذ أكثرهم يعاني من نقص التغذية فيما يظهر لنا من مظهرهم، وبيوتها من الحجارة والطين ذات سقوف رديئة من الآجر المهمل لأنها كلها قديمة، إذْ لم يعد بعد تسلط الشيوعيين بإمكان أحد من المواطنين أن يبني له بيتًا خاصًا جديداً.

أشلاء المسجد :

ذهبنا نتجول في أرض القرية غير المستوية حتى وصلنا أساس المسجد الذي دمره الشيوعيون تدميراً كاملاً في حملتهم لتدمير المساجد التي شملت كل أنحاء البانيا عام ١٩٦٦م وقد سموها (حملة الشبيبة) وأعلنوا أنها دمرت بالإرادة الحرة للشبيبة وهي إرادة طاغيتهم الهالك (أنور خوجا) وأعوانه الأشرار. وبقايا المسجد أساس من الحجارة والطين.

ورأينا بقرب المسجد أشلاء مقبرة أيضًا رغم كون المقبرة لاتبقى من اجساد

المقبورين إلا أشلاء لاتكاد تذكر وقد ركبها الطين وتساقطت شواهدها وتباعدت عن أماكنها الأصلية، فرأينا شاهداً عليه تاريخه في عام ١٣٠٨هـ وذلك باللغة الألبانية ولكن بحروف عربية.

وعلى ذكر المقبرة ذكر لنا الإخوة الألبانيون أن الحكومة الشيوعية كان تمنع الصلاة على الميت فيصلى بعض الناس على موتاهم في بيوتهم وأما الذين تتولى الحكومة دفنهم فإنها لاتصلى على أحد منهم وإنما تضع الميت في تابوت وتدفن النصارى والمسلمين معًا.

وحتى البيوت التي كانت قرب المسجد قد تهدمت حتى زالت فبقيت منطقته خلاء قد اشتبكت اعشابها البرية التي كانت منها أعشاب ذات نفحات فوّاحة.

وقال لنا الإخوة يحذروننا : احترسوا من الثعابين في هذه المنطقة لأنها تكون في الأشجار البرية القصيرة وهذا الفصل الصيفي الحار هو إبان تجولها.

ولاحظت من الأشجار القصيرة الوحشية أي التي نمت دون أن تزرع أشجاراً من التوت البري قد أثمرت فذقنا ثمرها وهو متوسط الجودة صلب الملمس بالنسبة إلى التوت المعتاد الذي يكون ثمره رقيقًا جداً حتى يكاد يذوب بين أصابع من يمسه.

أمثلة من الظلم الشيوعي :

أخبرنا الإخوة أن هذه المنطقة من مناطق سكن المسلمين، فسألت أحد الذين جاؤا الينا ووقفوا بدافع حب الاستطلاع وهو رجل في حدود الخامسة والخمسين من عمره عن اسمه؟ فقال، (حقي بن كاظم) - وسأله الأخ سليم ستافا عما كان يملكه من الماشية قبل التعاونيات وهي المزارع الجماعية التي نظمها الشيوعيون فقال الأخ (حقي كاظم) إنه كان يملك قبل التحرير يريد الثورة الشيوعية وهذا تعبير صار يطلق على الثورة الشيوعية في البلدان الشيوعية، ونقله الناس عنهم من باب التقليد.

قال: كان يملك ١٥٠ ماعزاً وثماني بقرات. والآن ليس عنده غير عنزين اثنتين وبقرة واحدة، فالتقطنا معه صورة تذكارية.

ثم جاء فلاح مسلم آخر اسمه (ارسلان بن يوسف) فذكر أنه كان يملك قبل

التعاونيات ٤ ثيران و٨ غنم من الضأن و١٢٠ عنزاً وحصانًا واحداً، والآن لايملك إلا خمسًا من الماعز وبقرة واحدة وعنده خمسة أولاد لم يكونوا موجودين عندما كانت له تلك الماشية الكثيرة قبل التعاونيات التي بدأت في عام ١٩٥٨م، وقد ارتسمت على وجهه علائم الشقاء والألم مما عاناه من الشيوعيين، قالوا: وحتى الزيتون صادره الشيوعيون من ملاكه واعطوه التعاونيات.

وعلى ذكر اللحم ذكروا أن البانيا كانت قبل التحرير تصدر اللحم الآن لايوجد في بعض الأحيان مع أن الدولة قد حددت نصيب الأسرة من اللحم بكيلو جرام واحد في الأسبوع من اللحم أو الدجاج، لاتستطيع أن تشتري أكثر منها لأنها لاتباع هذه الأشياء إلا بالبطاقة، ومثل ذلك الأرز حيث لاتستطيع الأسرة أن تحصل إلا على كيلوين اثنين من السكر كل اسبوعين وكذلك من الذرة والدقيق أو (المكرونة) وقد فقدت المكرونة منذ شهرين، قالوا: ومثل ذلك الصابون حيث يسمح للأسرة بالحصول على ثلاث قطع من الصابون كل أسبوعين.

وهذا كله بالنسبة إلى سكان تيرانا وغيرها من المدن وأما هؤلاء الفلاحون فإن الأمر يتعلق بعلاقتهم بالتعاونيات التي يعملون فيها حيث يحاسبون على مايحصلون عليه مما تنتجه من منتجات زراعية.

وذكر الإخوة المرافقون من أهل تيرانا أن الخبز فقد فيها قبل أيام، وتبين أن السبب في ذلك أن الشاحنات التي تحمل الخبز قد خربت لأنها قديمة ولم تستطع الحكومة إستبدالها كما أن الفرن الكبير الذي يزود مدينة تيرانا بالخبز قد بني قبل ٣٥ سنة ولم يجر تحديثه.

يوم الاثنين ١٤١٢/٢/٩هـ

إلى مدينة شكودرا :

مدينة (اشكودرا) هي المدينة الثانية في البانيا وهي مدينة قديمة كانت معروفة أيام الرومان وكانت عاصمة لألبانيا في وقت من الأوقات.

وتبلغ المسافة إليها من تيرانا (١٣٥) كيلو متراً فألبانيا دولة ضيقة

المساحة لاتزيد مساحتها على ٢٨٢٠٠ كيلو متر مربع أي مايقل قليلاً عن ضعف مساحة لبنان ثلاث مرات.

غادرنا تيرانا في التاسعة والربع من الصباح على سيارتينا المعهودتين وهما سيارة فولفو التي أعدتها الحكومة الألبانية لتنقلاتي وسيارة مرسيدس التي مع الأستاذ عثمان بن أحمد كامل ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية في تيرانا، وكان يصحبنا في جميع جولاتنا في البانيا.

كان الجو صاحيًا مثل الأيام التي سبقته منذ وصولنا إلى البانيا، وتقع مدينة اشكودرا جهة الشمال الشرقي من تيرانا.

كان المشاة يملأون شوارع تيرانا رغم كون الوقت وقت عمل، وكانت السيارات موجودة في الشوارع رغم قلة سيارات الركوب الصغيرة في البلاد.

فكان أول ما أشار إليه المرافقون مدرسة ذات مظهر جيد جداً ذكروا أنها (مدرسة الحزب) يريدون به الحزب الشيوعي الذي إذا أطلق اسم الحزب في البانيا لم ينصرف إلا اليه، لأنه كان الحزب الطاغي فيها وذكروا أنها أسست ليدرس فيها أعضاء الحزب والعاملون النشطون فيه، حتى يتخرجوا في هذه المدرسة قياديين ومديرين قد تشبعوا بالمبادئ الشيوعية التي من أهمها عندهم



في إنتظار الحافلة خارج تيرانا

الإلحاد وانكار وجود الخالق، وقسر الخلق على الانصياع لأوامر الحزب وتوجيهاته.

ولا يلتحق بهذه المدرسة إلا أشخاص ينتقونهم انتقاء من المخلصين لمبادئ الحزب المعروفين بالتزامهم لعقيدته.

ثم مر الطريق فوق جسر على نهر تيرانا وهو شحيح المياه ضيق المجرى في مثل نصف نهر بردى كما نراه الآن، ذكر الأخ سليم ستافا أن سبب قلة المياه فيه أنها تستهلك في الري قبل وصوله إلى هذا المكان.

ويمر بقرب قرية أو محلة كما اسموها لأنها لاتبعد عن العاصمة كثيراً وإن كانت منفصلة عنها بينهما فراغ من الأرض الريفية الزراعية وتسمى (كامزا) فيها معهد زراعي مشهور وفيها مزرعة حكومية رأينا فيها حقولاً واسعة من الذرة ومن أعلاف الحيوان التي تربى فيها من أجل إنتاج الحليب، ومع ذلك ذكروا لنا أن الحليب لايكاد يوجد للبيع في تيرانا.

كما رأينا في هذه المزرعة الحكومية مساحة مزروعة بالبامية وهي غالية يباع الكيلو الواحد منها بعشر ليكات وذلك يساوي دولاراً واحداً بالصرف الرسمي أو ثلث دولار بالصرف الحر.

نهر تركوز :

وكدت اكتبه (نهير تركوز) بالتصغير وذلك لقلة المياه فيه وقال الإخوة المرافقون أيضًا: إن مياه هذا النهر تؤخذ منه من عند منبعه حتى وصوله إلى هنا ومن ذلك أن تيرانا تشرب من مياهه في اعلاه.

ويلتقي بنهري تيرانا وزيزا فتؤلف الثلاثة نهر (ايشمي) الذي يصب في البحر الإدرياتيكي.

وحسن منظر المزارع هنا فصارت خضرة مزدهرة فأخبرونا أنها تشرب من النهر أو من بحيرة هناك، وأن هذه المناطق فيها مياه جوفية لكنها لاتستخرج لعدم وجود الآت رفع المياه.

سهل كرويًا:

كرويا بلدة مشهورة واقعة في أحضان جبل مشهور سوف نتكلم عليها عندما

نمر بها إن شاء الله، وهي مرتفعة عن هذا الطريق ولكن المنطقة التي اسفل منها وهي تضم عدة محلات سكنية تسمى (خوش كرويا) اي سهل كرويا.

رأينا في إحداها محطة للحافلات قد اجتمع عليها الناس ومع ذلك رأينا المشاة بكثرة ملفتة للنظر في هذه المنطقة وطوال الطريق قبلها وبعدها.

والسبب في ذلك هو كون المنطقة مسكونة بكثافة لخصوبتها، ولقلة السيارات الخاصة ووسائل الركوب الأخرى.

فعلى سبيل المثال رأيت قرب محطة الحافلات سيارة شحن كبيرة (لوري) قد أمتلأت بالركاب من الجنسين من رجال ونساء حتى لايكاد يبقى فيها موضع قدم وكلهم وقوف مما يدل على أنهم جاؤا من مناطق غير بعيدة.

ولاشك في أن الحامل لهؤلاء على ركوب سيارات الشحن هو عدم وجود غيرها وهم معتبرون من القرويين إلا أنهم من رجال ونساء وأطفال نظيفو الثياب لايظهر عليهم قشف الريف، ولاتبين خشونته في أجسامهم.



ريفيتـــان في المنطقـــة الكاثوليكيـــة

والسبب في ذلك هو بعد بلادهم عن خط الإستواء ونظافة طبيعية فيهم.

وقد رأيت عمالاً عدة من رجال ونساء يعملون في مزرعة تعاونية وكلهم نظيف الثياب كأنما يعملون في مكاتب، ومع ذلك قد اجتمعوا على تحريك

أرض المزرعة ولكنهم لايكادون يبذلون جهداً مؤثراً في زراعتها فمساحتها صغيرة وهم كثره.

والمنطقة منطقة ريفية ندية تنمو فيها أشجار الفاكهة وأكثرها توت وعنب كما توجد في التلال أشجار من أشجار الصنوبر.

وقد غرسوا أشجار التوت على الطريق فصارت له كأشجار الظل، أو هي ظل وثمر، وقد ذكرني هذا ببلاد التركستان وبخاصة خوارزم حيث يغرسون أشجار التوت وحدها على الطرق المزفلتة فيهذبونها بقطع أعاليها حتى لاترتفع في السماء، وذلك لكونهم ينتفعون بأوراقها في تربية دود القز الذي ينتج الحرير الطبيعي المشهور.

قرية بوريزانا :

وهي قرية صغيرة ولكننا رأينا طوائف كبيرة من الناس في شارعها الرئيسي الذي يمر به الطريق ربما كانوا قد تجمعوا من الأماكن الريفية حولها من أجل الانتقال بالحافلات وهم بيض الألوان، شقر الشعور.

وفي هذه القرية الصغيرة عدة أبنية حكومية صغيرة ولكنها ذات شقق بنتها الحكومة وأجرتها على الناس للسكنى.

ثم صار الطريق يخترق ريفًا أخضر خضرة غير كثيفة ولكنها الخضرة المنتجة إذا أحسن استغلالها وأهم مافيه من المزارع تلال عليها عرائش الكروم المهذبة ذكروا أن العنب الذي تنتجه كروم المزارع الحكومية لايباع للشعب في أسواق البلاد، وإنما تعصره الدولة نبيذاً تصدره للأسواق الخارجية حتى تحصل منه على عملة صعبة.

قالوا وهو معروف بل مشهور في أوروبا باسم (النبيذ الألباني).

لم يذق العنب طيلة حياته.

على ذكر العنب الذي تعصره الدولة نبيذاً وتصدره للخارج أذكر أنني حال وصولنا إلى تيرانا طلبت أن اشتري بعض الفاكهة فيها فذكروا أنه لايوجد للبيع إلا البطيخ الأخضر (الحبحب) فسألت عن العنب الذي كنت مررت ببعض أشجاره فذكروا أنه لايوجد للبيع.

وقد حدثني الأخ الدكتور رجب بويا شيخ الإسلام في إقليم قوصوف وصربيا وكرواتيا في يوغسلافيا وهو الباني من الألبانيين الذين يعيشون في يوغسلافيا، وقد حضر إلى البانيا من يوغسلافيا المجاورة لأن الإستاذ المهندس عصمت كاظم وهو سعودي أصله من البانيا كان قد هتف به يخبره بقدومنا إلى البانيا.

قال : دخلت إلى البانيا من الحدود اليونانية أمس يريد قبل يومين وكانت بقيت معي بقية من عنب اشتريته من اليونان ومعي سيارتي فأعطيت الرجل العامل في الحدود الألبانية ذلك العنب فأكله وأقسم لي بالله وكلاهما الباني يعرف لغة الآخر أن هذه هي المرة الأولى التي يذوق فيها العنب في حياته.

قال: وكنت أعرف أن كثيراً من الخيرات التي تنتجها ألبانيا كانت الحكومة الشيوعية تحرم منها شعب البانيا وتصدرها للخارج تبتغي من ذلك الحصول على النقد الأجنبي ولكنني لم أكن أتصور أن ذلك يصل إلى هذا الحد، فكررت القول لذلك الرجل وكرر الجواب حتى اقتنعت من صدق قوله في أنه لم يذق العنب في حياته قبل هذه المرة التي أعطيته فيها منه.

أقول : قد تكررت رؤية كروم العنب الكثيرة المنتشرة في أنحاء ألبانيا التي زرتها واخبرني أهل المناطق التي زرتها أن ذلك كله مملوك للدولة وأنها تصدره للخارج.

قرية صوماما :

مر الطريق بقرية زراعية صغيرة اسمها (صوماما) بيوتها من طابق واحد ذات سقوف مسنمة وكانت على حافة مستنقع جففت الحكومة أرضه فصارت أرضًا زراعية منتجة.

لم نقف عند قرية (صوماما) وإنما استرعى انتباهنا كثرة أشجار العنب وأطفال من أهلها أو ممن حولها شقر الشعور ولكنهم في منظر بائس وبداية مزارع التبغ الذي تنتجه البانيا وتصدره إلى خارج البلاد إلى جانب مايباع منه محليا فيكثر القوم من شربه.

بلدة مامورات :

وهذه قرية كبيرة إلا أنها لصغر القرى عندهم نوهوا بها على أنها بلدة وليست قرية.

أهم معالمها على الطريق أبنية سكنية من عدة طوابق مبنية بلبن الآجر الأحمر ومسكونة من دون طلاء أو بياض.

وهذه الأبنية قد كررت القول بأنها الأبنية الوحيدة للإسكان الشعبي في المدن والقرى الكبيرة لأن العامة من الشعب لايستطيعون بناء مساكن لهم بأنفسهم وإنما تبنى الحكومة المساكن للناس على هيئة شقق تؤجرها لهم بأجر رخيص كما تفعل الحكومات الشيوعية الأخرى.

وتكررت رؤية الناس في شارعها العام الذي هو الطريق الذي سلكناه مابين جالسين وواقفين وكأنهم ينتظرون شيئًا لأنني لا أراهم يعملون شيئًا.

ورؤية بعض النسوة من المسلمات على رؤسهن مناديل بيض ولباسهن قمص طويلة تضرب إلى الركبتين تحتها سروال يصل إلى الكعبين على نحو من لباس الريفيات السوريات وإن لم يشبهه تمامًا.

وحالة الطريق جيدة منذ أن غادرنا العاصمة فزفلتته لابأس بها وسعته كذلك إذ يسمح لمرور سيارتين متقابلتين، دون أن تقف إحداهما أو تتمهل في سيرها حذراً من الضيق، وعدد السيارات في الطريق قليل أكثرها من الحافلات وأقلها من سيارات الشحن التي يحمل بعضها طوائف من الركاب على ظهرها.

وأكثر المشاة على الطريق وبخاصة من الشبان قد خلعوا قمصهم عن صدورهم وظهورهم من أجل الحر ولتعريضها للشمس وصاروا يسيرون وعليهم السراويل وحدها.

منطقة الكاثوليك :

لابد من تعريف النصراني في البانيا بأنه كاثولوليكي أو ارثوذكسي لأن النصارى هنا على كونهم أقلية بالنسبة إلى الأكثرية المسلمة هم فريقان.

وقد دخلنا منطقة من الريف الزراعي المعمور مثل ماسبقها فنوه الإخوة المرافقون في السيارة وهم المفتي الشيخ حافظ صبري كوتشى والأستاذ سليم

ستافا وكلاهما يعرف العربية، والدكتور (البروفيسور) كما يسمونه شوكت ندروجي رئيس الجمعية الإسلامية في تيرانا.

نوهوا جميعًا بأن هذه المنطقة هي منطقة للكاثوليكين من النصارى.

ولم ألاحظ أي فرق في القرى والقرويين بين مظاهر المسيحيين هؤلاء، ومظاهر المسلمين من الطريق أي والسيارة تسير في الطريق وإنما مررنا بشيء ليست له علاقة بالمذاهب والأديان، وإنما هو أمر طبيعي وهو نبع كبريتي ظاهر على وجه الأرض سبقت رائحته الكريهة إلى أنوفنا رؤيته بعيوننا فذكرتني تلك الرائحة برائحة المياه الكبريتية التي كانت تنبعث من الآبار الارتوازية التي كنا تحفرها في منطقة القصيم من بلادنا.

وشيء آخر ألا وهو مجموعات من الحمير التي تستعمل للركوب وحمل الأشياء التي يعجز عن حملها الإنسان مثل هذه المنطقة المسيحية في ذلك مثل المناطق الأخرى المسلمة التي لاتزال تستعمل الحمير في ألبانيا لعدم وجود سيارات النقل الصغيرة والدراجات النارية والهوائية التي تغني عن اقتناء الحمير لذلك الغرض، ورأيت عربة يجرها حصان عليها ركاب من الفلاحين.

والشيء البارز هنا من الفروق هو لباس المسنات من الكاثوليكيات التقليدي فهو لباس مميز ساتر يتألف من منديل على الرأس يكون أبيض في أكثر الحالات ويكون أسود في حالات أخرى تحته قميص طويل ينزل إلى أسفل من الركبتين وفي الوسط حزام عريض ولابد من رقعة في الأمام تغطي أسفل الصدر وأعلى البطن تكون مربعة يخالف لونها لون الثوب، فإذا كان الثوب أبيض كانت سوداء وإذا كان أسود كانت بيضاء وهو لباس مميز لهن لايلبسه غيرهن من نساء أهل الديانات الأخرى في البانيا.

بلدة لانتش :

وهي بلدة نصرانية كاثوليكية ليس فيها سكان من المسلمين أهم مافي أطرافها مداخن لمصانع السماد الكيمائي، وهذه المناطق التي بين القرى والبلدات كلها مسكونة وإن لم تكن ظاهرة على الطريق وليس فيها من المسلمين أحد من السكان وإنما أهلها من الكاثوليكيين.

وامتد الطريق يسير في سهل زراعي تطل عليه الجبال.

نهر ماط :

مر الطريق فوق جسر على نهر عريض المجرى بالنسبة إلى بقية الأنهار في هذه البلاد وهو نهر (ماط) الذي نوهوا بأنه أكبر أنهار ألبانيا فهو أكبر من نهر بردى في دمشق مرتين أو ثلاث مرات إلا أنه مثل سائر أنهار ألبانيا غير صالح للملاحة بسبب شح المياه فيها وعدم عمقها.

وهذه الجبال الذي تطل على السهل الخصب المزروع توشحها خضرة طبيعية غير شاملة وإنما بعض حجارتها تبدو بيضاء شديدة البياض للون فيها طبيعي وقلة الأشجار عليها ورأينا من الطريق لأول مرة خنزيراً يرعى في حاشيته أي حاشية الطريق لأن هذه المنطقة ليس فيها مسلمون.

ورأينا لأول مرة في هذا الطريق أيضًا أشجاراً من أشجار التين ذكروا أنها كثيرة هنا ولكنها قلت الآن مع أن التين فاكهة وغذاء إذا جفف، وعزوا قلتها بعد كثرتها إلى سيطرة الشيوعيين على الزراعة مما جعل الفلاحين لا يبالون بما تنتجه الأرض لأنهم بمثابة الموظفين عند الحكومة الذين يذهب ربح ما عملوه إليها سواء أكان كثيراً منتجًا أم قليلاً غير منتج.

من الجيل القديم :

كل الذين معي في السيارة هم من الجيل القديم الذي عرف البلاد قبل تسلط الشيوعيين وعرفها في أثناء حكمهم، ولذلك يستطيع أن يقارن بين العهدين وهم المفتي الشيخ حافظ صبري وعمره ٧٠ سنة والدكتور البروفسور شوكت ندروجي وعمره ٧٩ سنة وسليم ستافا وعمره ٥٦ سنة وقد ذكروا ذلك وسألوني بهذه المناسبة عن سني فقلت للدكتور وهو طبيب شهير: إنك بحكم المهنة تستطيع أن تقدر سني فتفحصني بنظره ثم قال: عمرك ٥٥ فقلت له: شكراً وهذه هدية طيبة وقلت في نفسي: ولو كانت مزيفة، فعمري ٦٧ ولله الحمد.

هذا وقد صارت قناة من المياه بنيت على الطريقة القديمة أولنقل الطريقة الرومانية لأنها في حوض من الماء يرفع على عمد إذا صادف منخفضًا من الأرض ويحفر له عند المكان المرتفع والظاهر أنها بنيت قبل أن تتوفر أنابيب المياه التي يسيل فيها الماء فيرتفع بعد انخفاضه حتى يساوي مستوى ارتفاعه طبقًا لنظرية المياه المستطرقة المعروفة.

مدينة ليتزا :

والزاي فيها تنطبق مشبعة بلفظ فيه شيء من لفظ الشين وهي مدينة كبيرة نسبيًا، اهلها كلهم من الكاثوليك أول ما لمحنا منها أبنية حكومية متعددة الطوابق معظمها مطلي بطلاء ناصع أكثره أبيض أو رمادي وأشجار الفاكهة الظاهرة فيها هي العنب والتين وتحف بها أشجار الزيتون لأنها في لحف جبل مشهور في اعلاه قلعة تركية قديمة.

وهذا الجبل ليس أخضر كثيف الخضرة وإنما هو مثل جبال الشام.



إمرأتـان من المسيحيـات باللبـاس التقليـدي القديـم

وفي ضاحيتها امرأة عليها اللباس المميز للكاثوليكيات في هذه المنطقة معها بقرتان لا ثالثة لهما وهي ترعاهما في حواشي الطريق وفي الأماكن التي ليست فيها حقول مزروعة أو أشجار مغروسة وأول منظر في شارعها العام الذي يسير فيه طريقنا منظر عدة خنازير تتشمم الأرض وربما تأكل من الفضلات والأوساخ ورجل يبول في الشارع وهو واقف مستقبلاً الجدار، ومستدبراً الشارع.

وعندما وقفت السيارات لالتقاط صورة في شارعها التف علينا بسرعة

شباب من أهلها كعادة أهل البانيا جميعهم، وقال أحدهم وهو أكبرهم وربما يكون اكثرهم ذكاءً متساءلاً: (جابانيز) أي أأنتم يابانيون؟ وعجبت من ذكائه الذي لايفرق في المظهر بين اليابانيين والعرب، ولاحظنا كثرة المشاة في شوارعها من جميع الأعمار كما هو الشائع في الأماكن الألبانية الأخرى.

قبر الكافر بدلاً من المسجد :

وقف موكب السيارات عند فرع لابأس بمياهه من نهر (درينو) وهو الفرع الذي عليه المدينة ولكننا وقفنا خارجها وذلك لرؤية عمل مخزٍ من أعمال الشيوعيين وهو قبر (اسكندر بيك) وهو رجل مسيحي حارب الأتراك وقامت على إثر حربه الدولة الألبانية الأولى كما يقولون، وهو من أهل هذه المنطقة، ولو كانوا أقاموا له قبراً هنا كما كانوا أقاموا له تمثالاً في أهم ميادين العاصمة تيرانا لكان ذلك أمراً مفهوم السبب، ولكنهم اختاروا لقبره هنا مكان مسجد جامع عريق في هذه الضاحية الريفية من المدينة فهدموا المسجد بالكلية حتى ساووه بالأرض ثم أقاموا فوقه ضريحًا مرتفعًا لهذا الرجل، بل إنه ضريح ضخم لأنهم بنوا القبر وأقاموا حوله بناء أخر محيطًا به على هيئة أعمدة كالأعمدة الرومانية بحيث صار معلمًا من معالم المنطقة، يزوره من يزور المنطقة ويراه كل



الطريق إلى شكودرا قبيل الوصول إليها

من يمر بهذه الطريق المهمة بين المدينتين الرئيستين في البانيا وهما تيرانا وشكودرا.

وقد ذكر الإخوة المرافقون في تهوين هذا الأمر أن مكان قبر اسكندر بيك كان في الأصل كنيسة حولها الأتراك إلى مسجد ثم جاء الشيوعيون فهدموا المسجد وجعلوا مكانه مقبرة المذكور.

ولكن الشيوعيين هدموا المساجد كلها أو أكثرها والذي لم يهدموه كسروا منارته حتى يزيلوا الشعار الإسلامي عنه كما سبق في المشاهدات.

وقبر اسكندر بيك في سفح الجبل الذي يطل على المدينة ولكن من الجهة الغربية، وتطل فوقه القلعة التركية العثمانية لم تصب بأذى لأنها في قمة هذا الجبل الشاهق لايستطيع الوصول إليها إلاً من قصدها وصبر على تحمل مشقة الصعود إليها.

واسم القلعة بلغتهم هو العربي قلعة إلا أنهم ينطقون به كلاه، أوقلاه - بجيم مصرية - تركنا مدينة (ليتزا) وهذا الأمر المؤسف فيها وسرنا مع الطريق المعتاد الذي لم نفارق فيه الخضرة والزراعة منذ أن فارقنا تيرانا فمررنا بقرية للكاثوليكين اسمها (أوفرن) أكثر الحقول التي حولها من الذرة.

وتقع بيوتها فوق تلة على الطريق ما أن حاذيناها حتى رموا سيارتنا بحجر كان له وقع مزعج على السيارة ومن حسن حظنا أنه أصاب ظهر السيارة ولو أصاب زجاجها لحطمه وأصابنا بضرر.

ووقف السائق الذي هو موظف حكومي وسيارته حكومية يبحث عن الذي رمى الحجر وهو لايمكن أن يراه لأن الطريق منخفض عن التلة وفيه بيوت يمكن أن يختفي الذي رمى بالحجر بينها.

وعلق الإخوة المرافقون على ذلك بقولهم: إنهم من المتشردين الذين يطلبون التسلية في إيذاء الآخرين وكرروا ما قالوه من قبل من أن هذه المنطقة خالية من السكان المسلمين.

وذكرني هذا حادثة صغيرة وهو أني أردت ن اصور أطفالاً في مدينة (ليتزا) فنفروا منائم صاروا يشاغبون فتركناهم.

كنيسة جديدة :

هذه المنطقة كما قدمت من المناطق المسيحية المأهولة بالمسيحيين، وقد أوغل الطريق في الريف الذي يقع في سهل بين جبلين فرأيناهم يبنون كنيسة جديدة في مكان ليس فيه بيوت وإنما يراد من وضعها هنا أن تكون ظاهرة لمن يسلك هذا الطريق، أما كيفية وصول المتعبدين إليها فإنه سهل لأن المنطقة منطقة زراعية مأهولة تتفرق فيها المنازل والقرى.

وبحثت في ذهني عن مسجد جديد رأيته يقام أو حتى سمعت بخبره يقام في ألبانيا فلم أجد، بل إن المسلمين الآن على حالة من الضعف المادي جعلتهم لايستطيعون حتى ترميم المساجد القديمة التي استعادوها من الدولة.

وهذه الكنيسة الجديدة تبني من لبن الاسمنت فقط أي دون دعائم أو أعمدة من الاسمنت المسلح ويحف بها صليبان من الخشب مرفوعان على خشبتين أيضًا.

قرية ارنزا :

وصل بنا الطريق إلى قرية كاثوليكية أيضًا اسمها (ارنزا) أكثر ما استرعى الانتباه فيها خنازير تتشمم الأرض على الطريق الاسفلتي العام حتى كاد السائق يطأ بسيارته أحدها، وبطّ يتبختر على حواشي الطريق.

وعشرات من الغرف الدفاعية المسلحة التي سبق الكلام عليها وأسميناها هنا (قبعات انور خوجا) لأنه الذي انشأها وابلغ الشعب أنها أنشئت للدفاع عن المكاسب الشيوعية التي حصل عليها الشعب الألباني حتى صار (الامبرياليون) يحسدونه على ذلك ويريدون نزع تلك المكاسب منه.

يقول ذلك يضلل الشعب به وإلا فإنه لا مكاسب انفرد بها الشعب تحت الحكم الشيوعي وقد تكشف ذلك حينما شهد الشيوعيون بأنفسهم على إفلاس الشيوعية وبالتالي حكموا على أن ما كانوا قالوه وكرروه من تفوق الشيوعية على غيرها من المذاهب بالكذب والتدجيل.

وقد استقبلنا مفتي اشكودرا الذي كان قد استقبلنا في المطار وهو الشيخ فائق خوجه، فوقفنا للسلام عليه، والتف علينا أطفال ونساء ورجال من أهل

القرية فلم أ فيهم فرقًا في ألوان البشرة أو الشعر عن المسلمين الألبانيين في نضارة الوجوه التي تكون سببها في الغالب غضارة العيش ونعومته وذلك أن مستوى معيشتهم تحت ظل الشيوعية هو واحد.

بلدة بوشات :

وقفنا في بلدة بوشات ونحن نقترب من مدينة اشكودرا نبتعد عن المنطقة الخالصة للسكان الكاثوليكين فهذه البلدة مختلطة السكان مابين المسلمين والمسيحيين.



مسجد بوشات قرب اشكودرا

أخبرونا أن هذه البلدة كانت فيها مساجد هدمت كغيرها وعندما زال الحكم الشيوعي المتسلط طالب أهلها المسلمون بأن تعطيهم الحكومة مكانًا يصلون فيه بديلاً مما هدموه من المساجد فأعطتهم مكانا جيداً كان مكتبًا للتعاونيات في السابق فكتبوا عليه أنه المسجد الجامع في (بوشات) وتتقدمه حديقة صغيرة صورناه.

وقد وقف علينا فيمن وقف ونحن نستجلي مظهر جامع بوشات ونصوره أمرأتان إحداهما على رأسها منديل أبيض والأخرى ليس على رأسها شيء، أما

لباسهما فإنه القميص الأوروبي الحديث (الفستان).

فسألت لابسة المنديل بواسطة المترجم: أأنت مسلمة؟ فاجابت : لا، أنا كاثوليكية وإنما المسلمة هذه وأشارت إلى التي لاتضع على رأسها ستراً.

فقلنا: إن المسلمة أولى بستر الرأس من المسيحية ولكن المسلمين خارجون لتوهم من الحكم الشيوعي الملحد وهم بحاجة إلى من يعلمهم أصول دينهم وأركانه أكثر من حاجتهم إلى من يعلمهم فروعه أو آدابه.

هذا وتبعد بلدة (بوشات) ٢٣ كيلو متراً عن اشكودرا.

تركنا (بوشات) وسرنا مع الطريق فاعترضتنا حيوانات كانت فيه من البقر والأغنام والحمير فكانت كلها تبتعد عن طريق السيارة إلا الحمار الذي هو هنا أزرق اللون بمعنى رمادي اللون مع أنه أوروبي أصلاً وفصلاً.

هذه شكودرا :

قبل الوصول إليها بثلاثة كيلو مترات اعترضنا نهر (درين) وهو واسع المجرى جم المياه في هذه المنطقة وهو نهر من ثلاثة أنهار تمر بمدينة اشكودرا وقال الإخوة: إن مدينة اشكودرا تقع على ثلاثة أنهار هي نهر درين ونهر بونا ونهر كيري وليست بالأنهار الكبيرة ولكنها ذات مياه غزيرة.



أحد الأنهار عند مدخل شكودرا

وفي الساعة الثانية عشرة والنصف كنا ندخل شارعًا خارجًا منها تحف بجانبيه أشجار الظل ويمر به جسر على نهر (درين) على ضفته أناس يتشمسون وربما كانوا قبل ذلك يسبحون وكأنهم اتخذوا منه شاطئًا للسباحة والسياحة كما يفعل أهل البحار في شواطئ البحر.

جامع الرصاص :

عدلنا جهة اليمين قبل أن ندخل إلى قلب مدينة (اشكودرا) وذلك لزيارة مسجد قديم هناك مهيب المنظر رأيناه على البعد بقبته العربية ومظهره الإسلامي المفرح.

ويقع في محلة تعتبر الآن بمثابة الضاحية من مدينة (اشكودرا) ولكنه يقف منفرداً ليس حوله منازل ملاصقة، وإنما تحيط به قنوات وتجمعات للمياه، ذكروا أنها أثرت فيه بحيث وصلته الرطوبة رغم كونه يقع في مكان مرتفع حتى خيف عليه منها، وهذه القنوات المائية حفرت منذ عهد غير بعيد.

التقطنا صورة له واضحة على بعد مناسب لأن الجو صاحٍ والمنطقة خالية من العوائق كالأشجار والمنازل العالية التي قد تحول دون وضوح صورته.



جامع الرصاص بعد أن أخذته السلطات وكسرت منارته

ووجدنا على مقدمته كتابة حديثة نصها بالعربية (الحمد لله رب العالمين) وترجمتها بالألبانية.

كما رأينا تاريخ إنشاء المسجد في لوحة قديمة مكتوبة بالعربية وإن تخللتها لمات بالتركية المكتوبة بالعربية ونصها :

«صاحب الخيرات والحسنات محمد باشا بنى ملدري جامع شريف ١١٨٧هـ»

بعدها بالتركية ذات الحروف العربية :

«جامع شريف متولي سي حلبي محمود بربري تعميرات تاريخ ١٢٨٠هـ»

وسمي جامع الرصاص لأن قبابه سواء منها القبة الكبيرة الظاهرة أو القباب الصغيرة المبنية على أروقته كلها كانت مكسوة بالرصاص لحفظه من الرطوبة أو التأثر بالمطر، ولكن الشيوعيين نزعوا الرصاص منه وابقوه بدون وقاية كما نزع الدهر وربما يكون الشيوعيون قد ساعدوا على ذلك طلاءه الداخلي حتى برزت لبن الأجر وقطع الحجارة التي بني بها ومع ذلك لاتزال حالته جيدة.



المؤلف داخل جامع الرصاص

ويجري العمل على ترميمه الآن على نفقة الجمعية الإسلامية الألبانية من نقود كانت الحكومة الليبية قد قدمتها للجمعية من أجل ترميم مسجدين آخرين، إلا أن المفتي الشيخ حافظ صبري قال لنا: إننا اتفقنا مع الحكومة على

ترميمه لأنها الجهة الوحيدة القادرة على ذلك وقد أعطيناها أجرة الترميم أكثر من المعتاد ولكن ليست لدينا سبيل لترميمه وإعادته إلى ماكان عليه إلاَّ بذلك. وقال وقال غيره: إن الحكومة عادة تبطئ جداً في مثل هذه الأعمال لنقص الالآت لديها وربما استغرق ترميمه سنوات.

وقد سلم هذا المسجد من معاول الشيوعية التي اعملوها في هدم المساجد الأخرى وذلك لطابعه الفريد الذي جعلهم يعتبرونه معلمًا ثقافيًا صادروه فأغلقوه ومنعوا الصلاة فيه حتى استعاده المسلمون في شهر نوفمبر من عام ١٩٩٠م الماضي أي منذ أقل من سنة.

ومن أهم ما يتميز به هذا المسجد أن محرابه واسع بحيث يؤلف مسجداً صغيراً يتسع لصلاة عدد من الناس وسائره ليس فيه أعمدة وإنما هو مقام على هيئة المساجد التركية غير الواسعة التي تقوم حيطانه وفوقها قبته أو قبابه على دعائم في الحيطان وليس على أعمدة مرئية في المسجد.

وحول فنائه الخارجي اروقة محيطة به تركبها قباب صغيرة.

وكل مافي المسجد ينطق بالعوز ورقة الحال حتى فراشه هو من الخصف الرث، وليس فيه سجاد أو بسط.

قلعة روزافا :

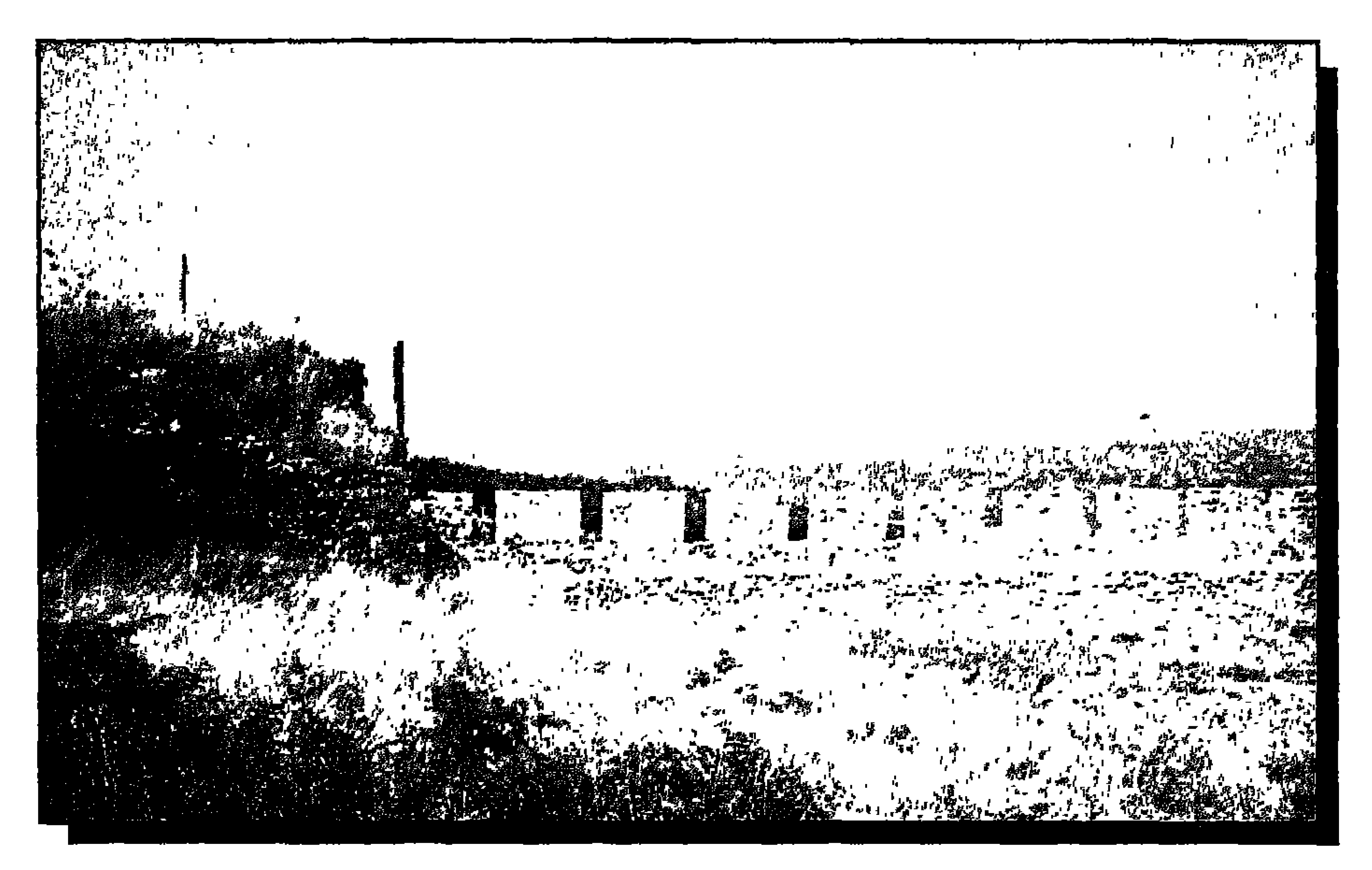
بعد الإطلاع على جامع الرصاص انطلقنا إلى قلعة فوق الجبل المطل على مدينة (اشكودرا) تسمى قلعة روزافا.

وهي قديمة جداً بنيت زمن الأليريين وهم أسلاف الألبانيين، أو لنقل : إنهم سكان هذه البلاد قبل الألبانيين، وزمنهم كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام، بل قبل حكم الرومان على هذه البلاد.

ويتضح قدم القلعة من منظر حيطانها الخارجية فهي داخلة في بنائها إلى الداخل وليست حوائطها مستقيمة.

وهذه كانت سمة الأبنية القديمة في القلاع والحصون.

وهي مبنية بالحجارة إذ هي فوق جبل يمكن أن تؤخذ الحجارة منها وتبني



من داخل قلعة روزافا وتبدو شرفات سورها الخارجي

الحيطان مباشرة إلا أن بناءها الخارجي رث، وأما الابنية الداخلية فيها فإن بعضها متقن.

وقد استفاد منها الرومان ثم استفاد منها الأتراك فزادوا في أبنيتها الداخلية وفق مايحتاجونه ومن ذلك بناء مسجد متوسط السعة قد بقيت منه آثاره ولكن ناله التهديم الذي نال بقية المساجد في البانيا على أيدي الشيوعيين.

صعدت السيارات إليها على طريق مبلط بالحجارة وبعضه حجارة أصلية حتى كادت تصل بابها الخارجي على علو موقعه فأوقفناها في موقف هناك واستجلينا منظر المنطقة التي منها منطقة مسجد الرصاص حيث تلتقي فيها فروع الأنهار الثلاثة التي تقع عليها مدينة اشكودرا ثم فتح لنا باب القلعة غلام من أبناء المسلمين في السادسة عشرة من عمره يظهر أن والده هو بواب القلعة وأنه جاء بالنيابة عنه.

وهو أبيض اللون أشقر الشعر إلا أن مظاهر الفقر المدقع على ثيابه حتى إن سرواله ممزق وقد رقع عدة رقع.

قال: اسمي كزيم بن بيته فسر لنا الإخوة المرافقون معنى بيته أي بيت الله

فكأن اسم والده اختصار لكلمة بيت الله مثلما يقول بعضهم في عبدالله عبده.

لم يعرف هذا الفتى الذي هو مسلم بالفطرة أي شيء عن الإسلام حتى كلمة الشهادة (لا إله إلا الله) لايعرفها.

وهذه حال كثير من أبناء المسلمين الذين ربتهم الشيوعية على الإلحاد ويحتاج أمرهم إلى علاج مدروس وعلى مراحل متعددة متكاملة.

عندما دخلنا القلعة مشيًا على الأقدام كان سيرنا كله صعوداً ومعنا الشيخان، بمعنى الهرمين: المفتي حافظ صبري كوتشي والدكتور شوكت ندروجي ولكنها لم يتأففا من التعب رغم حرارة الشمس التي استنكرناها في هذه البلاد الأوروبية الباردة فوجدنا داخل القلعة واسعًا فيه ميادين ولكنها غير مستوية الأرض بسبب طبيعتها الجبلية وبسبب عدم الصيانة وفيها عدة آبار رأينا بعضها فيه الماء لاشك في أنها مما تجمع من مياه الأمطار فوق القلعة، وإلا فإنها في رأس الجبل.

وكان منظر بحيرة اشكودرا التي تقع المدينة بجانبها رائعًا إلى جانب منظر أنهار شكودرا من الجهة المقابلة.

وبحيرة اشكودرا هذه تشكل الحدود بين دولتي ألبانيا ويوغسلافيا.

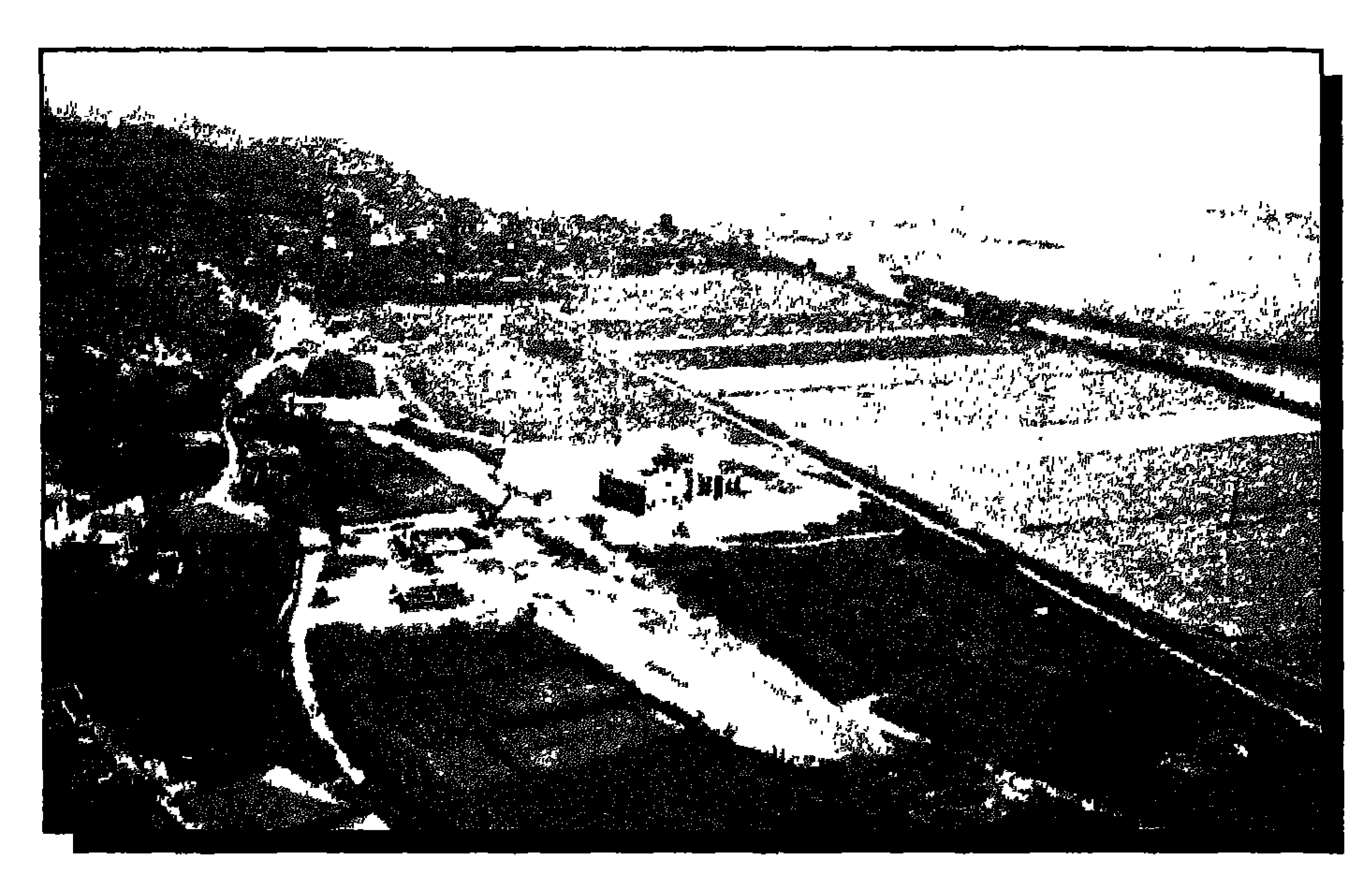
لبن روزافا :

أخبرنا الإخوة المرافقون عن سبب تسمية هذه القلعة (قلعة روزافا) بأن روزافا هذه بطلة إحدى القصص الشعبية الخرافية في البانيا، وتقول الخرافة: إن الذين بنوا جدران هذه القلعة لأول مرة هم ثلاثة إخوة كانوا يتعاونون على بنائها إلا أنهم كلما بنوا حائطها انهدم ولم يستطيعوا تعليل ذلك حتى رأى أحدهم هاتفًا في نومه يهتف به أن الجدار لايمكن أن يثبت إلا إذا بني فوق جسد امرأة قالوا: فأخبر إخوته بذلك، واجمعوا أمرهم على أن أول أمرأة من نسائهم تأتي لهم بالطعام في اليوم التالي سيضعونها تحت الجدار ويبنونه فوقها حية إلا أن الأخوين الكبيرين اخبرا زوجتيهما بذلك لكي تتجنبا إحضار الطعام لهم ذلك اليوم وأما الأخ الثالث وهو الأصغر فانه لم يفعل ذلك.

فأقبلت أمرأته (روزافا) معها الطعام، فأخبروها بالأمر وأنه لابد من أن

يدفنوها حية في الجدار قالوا: وكانت مرضعا ذات طفل فطلبت منهم أن يبقوا ثديها خارج الحائط الذي سيبنونه فوقها حتى يرضع منه طفلها.

قالوا: وماتزال بعض النسوة الساذجات والمصدقات بالخرافة تأتي إذا قل لبنها إلى ماء يخرج من حائط في هذه القلعة يزعمن أن لونه أبيض فيشربن منه بغية إدارار اللبن لاطفالهن يزعمن أنه من لبن روزافا!!



صورة التقطها المؤلف من قلعة روزافا للمنطقة الريفية الجميلة المحيطة بجامع الرصاص في شكودرا

في قلب اشكودرا :

انحدرنا من قلعة (روزافا) فمررنا بأحياء من المدينة منها حي ذكر المفتي الذي كان يرافقنا بالسيارة أنه كان فيه خمسة مساجد هدمها الشيوعيون وإلى أحياء أخرى كذلك ذكر أن الشيوعيين هدموا المساجد التي كانت فيها.

حتى مررنا بمكان خالٍ إلا من شجر وهو يشبه الحديقة قال المفتي: إنه كان هنا مسجد بمنارتين هدمه الشيوعيون تمامًا حتى سووه بالأرض وجعلوا بجانبه مقر الحزب الشيوعي في المدينة، حتى هُزم الشيوعيون فهدم الشباب المسلم مقرهم، وقد رأينا مقر الحزب الشيوعي وهو لم يهدم وإنما كسر، وأُهين.

كذلك أشار المفتي إلي مكان آخر وقال: هذا كان مكان مسجد هدمه

الشيوعيون وأقاموا في مكانه مسرحًا.

دار الإفتاء الألبانية :

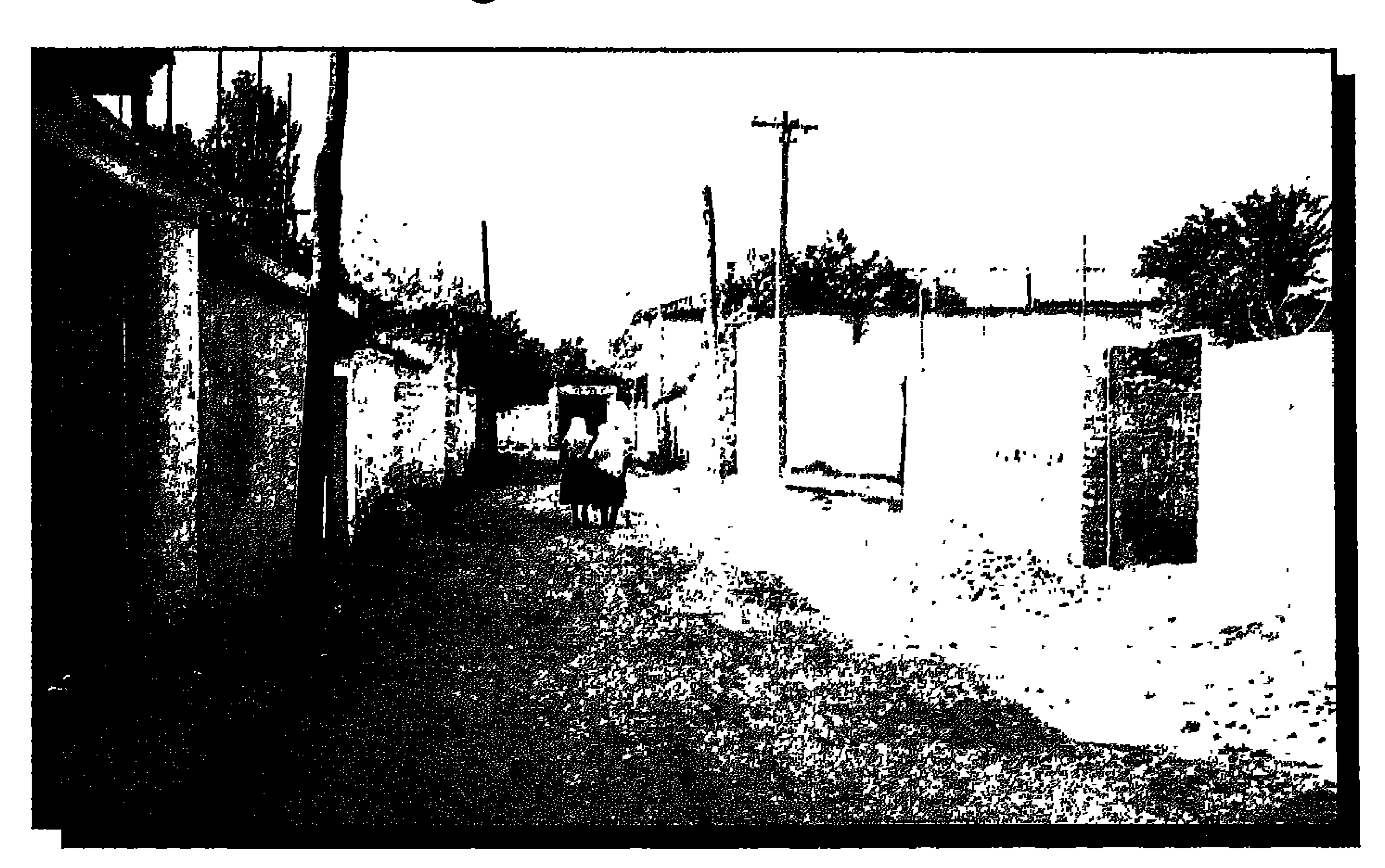
وقفنا عند بناء عليه لافتة بالألبانية تقول: إنه دار الإفتاء، نظر المفتي بفخر واعتزاز إليها وقال: انظروا إليها إنها دار الأفتاء نعلن عنها الآن لا نخاف إلا الله بعد أن كنا لانستطيع أن ننطق بالشهادتين الاخفية.

ومقر دار الإفتاء لايزال في شكودرا رغم كون المفهوم أن يكون في تيرانا العاصمة لأنهم لم يجدوا مكانًا لدار الإفتاء كما تقول الحكومة ولايمكن إيجاد ذلك المقر إلا بواسطة الحكومة لأنه لاتوجد عقارات مملوكة للأفراد كما أن وجود عقارات خالية هو أمر صعب الآن.

ومبنى دار الإفتاء في اشكودرا هو مبنى كبير كان ملكًا خاصًا فصادرته الشيوعية ثم سلمته للمفتي.

فقلت له : بأنني أرى أن تطلبوا من صاحب المحل أن يتنازل لكم مؤقتا عن المحل حتى تجدوا غيره أو أن تستأجروه ولو بأجرة اسمية ترضيه حتى لايكون مغصوبا لاتصح الصلاة فيه.

فقال: لقد فعلنا ذلك فطلبنا من مالكه أن يسمح لنا بسكناه مؤقتًا فرحب



مسلمتان تسيران في حي إسلامي شعبي في اشكودرا

بذلك وقـال : إنه من دواعي سـروره أن نشـغله نحن بدلاً من أن يشـغله الشيوعيون.

جلسنا في غرفة منه جيدة فيها مكتب جديد للمفتي وأثاث متوسط ثم اطلعنا على فصل دراسي لتعليم مبادئ الدين الإسلامي.

وذكر المفتي أنهم حصلوا على هذا المبنى من الدولة قبل سبعة أشهر فقط.

أكوام الكتب الدينية :

رأينا في غرفتين من دار الأفتاء هذه أكوامًا مكومة من الكتب الدينية القديمة التي أكثرها بالعربية ذكر لنا المفتي أنهم استعادوها من الشيوعيين الذين كانوا صادروها.

فقلت له : إن بقاءها هكذا فيه خطر عليها من العثة أو الأرضة، ولابد من رفعها إلى رفوف حديدية منظمة.

فقال : إنني أنوي ذلك غير أننا لانستطيع أن نشتري تلك الرفوف لعدم قدرتنا المالية على ذلك، فطلبت منه بحضور القوم كلهم أن يقدر قيمة هذه الرفوف وسوف نسلمها قبل سفرنا تبرعًا من رابطة العالم الإسلامي لصيانة هذه الكتب فشكر ذلك.



صورة تذكارية في أحد شوارع شكودرا

فندق روزافا :

وهو على اسم القلعة التي سميت باسم المرأة روزافا الخرافية.

فذهبنا إليه بعد استراحة قصيرة في دار الافتاء وذلك لتناول طعام الغداء الذي كان المفتي قد أمر الفندق بإعداده، فوجدناهم قد وضعوا لنا مائدة مستطيلة خاصة في غرفة منفردة عن الغرف الأخرى فكان عماد المائدة اللحم من مشوي ومطبوخ ومعه خضار من البامية والباذنجان ذكروا أنهم يسمونها بالاسم العربي.

وكان أظهر مافيه الحساء وهو الشربة التي لاغنى عنها في موائد البلدان الباردة حتى في الفصل غير البارد.

حديث مع عائد من الغربة:

اشترك معنا في تناول الغداء صديقي الشيخ وهبي سليمان الغاوجي وهو ألباني فر وهو صغير مع الفارين الألبانيين من الشيوعيين قبل حوالي (٥٠) سنة إلى سوريا فأقام فيها حتى حصل على الجنسية السورية مثل عدد من الاخوة الألبانيين من علماء الدين منهم على سبيل المثال الشيخ ناصر الدين الألباني والشيخ شعيب الارناووط والشيخ عبدالقادر الارناووط وهؤلاء كلهم من العلماء المعروفين لدى طلبة العلم في بلادنا عن طريق الكتب التي ألفوها أو حققوها وانتشرت في البلدان العربية.

أما الشيخ وهبي سليمان الغارجي فقد عرفته عندما كان مدرسًا في المعهد العلمي في المدينة المنورة وكنت وقتها أعمل في الجامعة الإسلامية في المدينة وذلك قبل حوالي ثلاثين سنة قلت للشيخ وهبي ماذا رأيته في البلاد أكثر مما استرعى انتباهك؟ فأجاب : استمرت غيبتي حوالي (٥٠) سنة كان أعظم ما صدمني تأثير الشيوعية على الناس وبخاصة الشبان منهم الذين أصبحوا لايفهمون شيئًا من أمور دينهم، كما أن العلماء، وحفاظ القرآن الكريم قد ماتوا ولم يخلفهم غيرهم.

ووافقنا على أن هذا الأمر يقتضي جهوداً متظافرة من الجميع لاعادة هذا الشعب المسلم إلى حظيرة الإسلام.

وقال: ومن جهة الأمور الأخرى فأول ما فوجئت به أن الجو حار هنا في الصيف وكنا احضرنا معنا ملابس صوفية والآن وجدناه مثل دمشق فقلت له: إنه اشد عندي حراً من دمشق في الليل.

وقلت له : واللغة؟ ألم تلاحظ عليها تغيراً خلال غربتك التي استمرت حوالي خمسين سنة؟ فأجاب: نعم، لقد تغيرت اللغة كثيراً وبخاصة لغة الكتاب والمثقفين إذْ أدخلت عليها الفاظ ومصطلحات لاتينية كثيرة، أما لغة الفلاحين وعامة الناس فإنها أقل تغيراً ولكنها على وجه العموم ليست كما كنا تركناها عندما هاجرنا من هذه البلاد.

استراحة في بيت المفتي :

كانت لنا بعد ذلك استراحة في بيت المفتي على إغفاءة مريحة في غرفة للنوم على سرر الأسرة وهي مريحة وإن لم تكن عصرية، أوحتى قريبة مما تستعمله عامة الناس عندنا ولكن المفتي كان عظيم السرور بوجودنا في بيته جزاه الله خيراً.

وبيته مبنى بلبن الاسمنت على هيئة متوسطة تتقدمه حديقة لابأس بسعتها يجاوره بيت ابنه.

واستمرت هذه الاستراحة حتى الرابعة حيث نهضنا للصلاة وللشاي والقهوة التي أحضرها والتقطنا صوراً تذكارية مع ابنيه واسرته في بيته.

ميدان فيقو :

وقفنا في ميدان مهم يسمونه (ميدان فيقو) تتوسطه تماثيل لخمسة أشخاص ذكروا أنهم من طلائع الشيوعيين وأنهم قتلوا لكونهم كذلك.

وهو من أهم الميادين الحديثة في مدينة اشكودرا الكبيرة هذه.



ميدان فيقو في اشكودره

كان هنا مرّةً مسجد:

من الأقوال التي كانت ترويها العامة عن كثرة يأجوج ومأجوج عندما يخرجون من السد أنهم يمرون بنهر من الأنهار، فيشربونه كله، حتى لا يبقى منه شيء، وحتى يقول من كان يعرفه من الناس: كان هنا مرة ماءٌ.

وفي هذه البلاد الألبانية فعل الشيوعيون بالعديد من المساجد بل بأكثر المساجد ما كان يفعله يأجوج ومأجوج ولكن بطريقة أخرى من التخريب الذي مبعثه الحقد فكانوا يهدمون المساجد كلها لايبقون لها أثراً وحتى يقول قائل من أهل البلاد : كان هنا مرة مسجد وقد أرونا أماكن مساجد من هذا النوع مما ذكرت قصته من قبل.



أطفال في أحد شوارع اشكودرا

واليوم ذهبوا بنا إلى مكان معتاد فيه أرض خالية إلا من بعض الأشجار النامية والحشائش اللاصقة بالأرض وقالوا وهم يشيرون اليها: كان هنا مسجد عظيم يسمى (مسجد فوشيلا) هدمه الشيوعيون وازالوا معالمه.

وذكروا أنهم يسعون الآن لاستعادة أرضه عسى أن يتمكنوا من إعادة بنائه.

لم يهدموا الكنائس :

زاد من مرارة الحديث في أفواه الإخوة المسلمين عن هذا المسجد وهم يقولون: إن هذه الكنيسة الموجودة كما ترونها كانت قائمة قبل مجيء الشيوعية إلى الحكم ولكنهم هدموا المسجد وأبقوا الكنيسة.

وذكروا أن في مدينة اشكودرا أربع كنائس لم تهدم على حين أن المساجد هدمت كلها إلا مسجد الرصاص الذي يقع بعيداً عن الأماكن السكنية وهو بهيئته يعتبر أثراً ثميناً من الآثار القديمة.

وذكروا أن الحال كذلك بالنسبة إلى أماكن أخرى من البانيا حيث هدموا المساجد ولم يتعرضوا للكنائس بالهدم أو التخريب إلا أن ذلك ليس بقاعدة عامة إذْ هدموا كثيراً من الكنائس مع المساجد في أماكن أخرى في البلاد.

وقال أحد المرافقين: إن الكنائس وراءها اناس يحسبون لهم حسابًا من حيث الرضا والغضب بخلاف المسلمين الذين لم يكن وراءهم في وقت الشيوعية أحد حتى لايسمع الشيوعيون لما يفعلونه بالمساجد منكراً لأنهم قد قضوا على زعماء المسلمين ورجال العلم بالدين وليست الدول الإسلامية مهتمة بالمساجد في البانيا في ذلك الحين.

واخبرناهم بهذه المناسبة كما أخبرناهم في مناسبات أخرى بأن رابطة العالم الإسلامي على استعداد للمساعدة في بناء هذا المسجد (مسجد فوشيلا) مثل غيره من المساجد في البانيا ولكن بشرط أن تتوافر القدرة على البدء في البناء لديهم.

الإشارة العكسية :

من المعتاد في العالم الذي نعرفه أن علامة الموافقة تكون بالإشارة بالرأس إلى أسفل وتكون بعدم الموافقة بالإشارة بالرأس يمينًا ويساراً ولكنني فطنت اليوم في هذه المدينة إلى ما لم أفطن له قبلها في البانيا وهم أنهم يتبعون العكس فالإيماء بالرأس يمينًا ويساراً تعني الموافقة والإيماء به إلى أسفل تعني عدم الموافقة.

وذلك أنه التف علينا ونحن في أرض مسجد فوشيلا جماعة من الأطفال مثلما عليه الحال في أنحاء البانيا التي رأيناها وهم طوائف من الصبيان والبنات وكذلك من الرجال بدافع الفضول في الاطلاع على حال الغرباء والاستماع إلى مايقولونه حتى وإن لم يكونوا يفهمونه فكنت أقابل فضولهم بفضول من عندي مرجعه الرغبة في المزيد من المعلومات عن هذا الشعب المسلم الشقيق.

وقد سألت صبيا وقف علينا مع الواقفين عما إذا كان مسلمًا بقولي: مسلمان؟ فهز رأسه يمينًا ويساراً هزة فهمت منها أنه ليس بمسلم، وذلك لوجود أقلية مسيحية في مدينة اشكودرا هذه وفي عديد من المدن الألبانية.

ولكن أحد المرافقين من أهل البلاد سأله بلغته عن شيء لم أتبينه فقال الصبي: لا إله إلا الله محمد رسول الله.



صبي غجري في أيسر الصورة مع آخر ألباني مسلم في اشكودرا

وقال الأخ الألباني لي : إنه يعرف الشهادتين هذا أهله فيهم خير قلت له : إنه يقول: إنه غير مسلم.

قال لا ، إنه يقول إنه مسلم واسمه واسم والده من اسماء المسلمين.

ثم تبينت الحقيقة بالاشارة المعكوسة.

ولمناسبة الحديث عن الأطفال أقول : إن صبياً آخر ذكر أن والده مسلم وأن أمه مسيحية ارثوذكسية وأنه لايفهم شيئًا عن الإسلام وأن اسمه مسيحي.

ثم حضر صبي غجري سألته: أأنت غجري فرد بعلامة الموافقة عندهم وهي الايماء بالرأس يمينًا ويساراً كما تقدم.

والغجر معروفون هنا من ألوانهم وأشكالهم التي لم تؤثر فيها الاقامة الطويلة في هذه البلاد الأوروبية فتراهم سمر الألوان كأنهم من أولاد الأعراب أو أكثر بياضًا ، كما أن تقاسيم وجوههم تختلف عن غيرهم بكونها أقرب إلى التقاسيم الهندية والعربية وإن لم تكن خالصة للعرب ولا للهنود.

مغادرة اشكودرا :

بدأنا العودة إلى تيرانا في الخامسة عصراً حيث غادرنا (اشكودرا) المدينة

المسلمة ذات الماضي الإسلامي العريق وفي النفس حسرة بل حسرات على مافات من أمرها تحت حكم الشيوعيين الذي خرب البلاد وأذل أرقاب العباد، ومحا حتى رسوم الإسلام، وإن كان يخفف من ذلك أن الأمل عظيم في المستقبل بأن ينهض إخوتنا المسلمون الكرام من أهل اشكودرا وغيرهم ببلادهم نهضة إسلامية جديدة تعوض مافات وتمحو آثار تلك السيئات حتى تحيلها لمجرد ذكريات الزمان الذي مات ففات.

وسوف يجدون إذا ما أرادوا ذلك - وهم يريدون - من إخوانهم المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة بل في بلادنا كلها من يشد أزرهم، ويرفع إصرهم كما سيجدون من إخوتهم المسلمين في بلدان المسلمين الأخرى من يسارع إلى أن يفعل مثل ذلك.

ومدينة (اشكودرا) كانت معروفة للناس في البانيا وخارجها بأنها مدينة الحفاظ حفاظ القرآن الكريم واليوم يقول أهلها بكل حسرة : إنه لايوجد ولا قارئ واحد يحفظ القرآن الكريم.

وليس المراد من ذلك أننا نحث على حفظ القرآن الكريم حفظًا مجرداً من الفهم، أو نقول: إن الأفضل أن يبدأ الإخوة المسلمون هنا بالحرص على حفظ القرآن الكريم فنحن نعرف أنهم فقدوا أصل الدين في نفوس اطفالهم وشبانهم وحتى بعض رجالهم فيجب عليهم أن يعيدوه إلى النفوس وأن يتعلموا مبادئ الدين واركانه تعلم فهم ومعرفة وأن يتمثلوا الإسلام قولاً وعملاً.

الأرناووط هم الألبان :

كنا ونحن على مائدة الغداء في فندق روزافا ظهر اليوم نتذاكر أسماء من نعرفهم من علماء الألبان الذي يقيمون في دمشق أو غيرها من البلدان العربية فكانوا كلهم أو أكثرهم يعرفون بأنهم الأرناووط.

وكان الإخوة هنا يسارعون بقولهم: إنهم الألبان لأن الأرناووط هم الألبان وهذا أمر نعرفه منذ سنين طويلة ولكنني لاأعرف معنى كلمة أرناووط وقد سألت عنها عدداً من الإخوة (الارناووط) الموجودين في سوريا قبل عشرات من السنين ومنهم صديقنا الشيخ ناصر الدين الألباني والشيخ عبدالقادر الارناووط من علماء سوريا فكانوا يجيبونني وهم يبتسمون - علامة على أنهم لايعتقدون

بصحة مايقولون - بأن أصلها جملة عربية هي (عار أن نعود) ويقولون إن طائفة من العرب المسلمين كانوا يقاتلون الكفار فلقوا مرة عدداً من المقاتلين أكثر من أن يكون في طاقتهم أن يقاتلوهم فأرادوا الهروب من ذلك وعدم قتالهم غير أنهم تشاوروا وقال بعضهم (عار أن نعود) عن القتال فاجتمعت كلمتهم على ذلك وصاروا يرددون هذه الجملة التي تحولت على الأيام إلى كلمة (ارناووط) بدافع الاختصار عند التكرار.

ولكن الذين حدثوني بذلك لم يكونوا يجزمون بصحته وإن كان فخراً من الفخر لهم، وإنما يقولون: هكذا يقول الناس، وبعضهم يضيف : والله أعلم.

وسألت الإخوة هنا عن معنى الكلمة فلم اجدهم يعرفون بما قيل عن أصلها وإنما كانوا يذكرون لنا أنها اسم للألبانيين سماهم الأتراك به وقد نقلوا هذا الاسم عن اسم قديم للالبان قريب من هذا اللفظ عرف عن اليونان والرومان انهم سموا الألبان به في عصر من العصور التاريخية.

عدنا مع الطريق الذي جئنا منه وإن لم يكن ذلك إلى نهايته بمعنى أننا سنعدل عنه قبل الوصول إلى تيرانا وفي هذا الطريق لاحظت مالا حظته عند القدوم من كثرة الأطفال الذين تخففوا من اللباس إلا مايستر العورة حتى



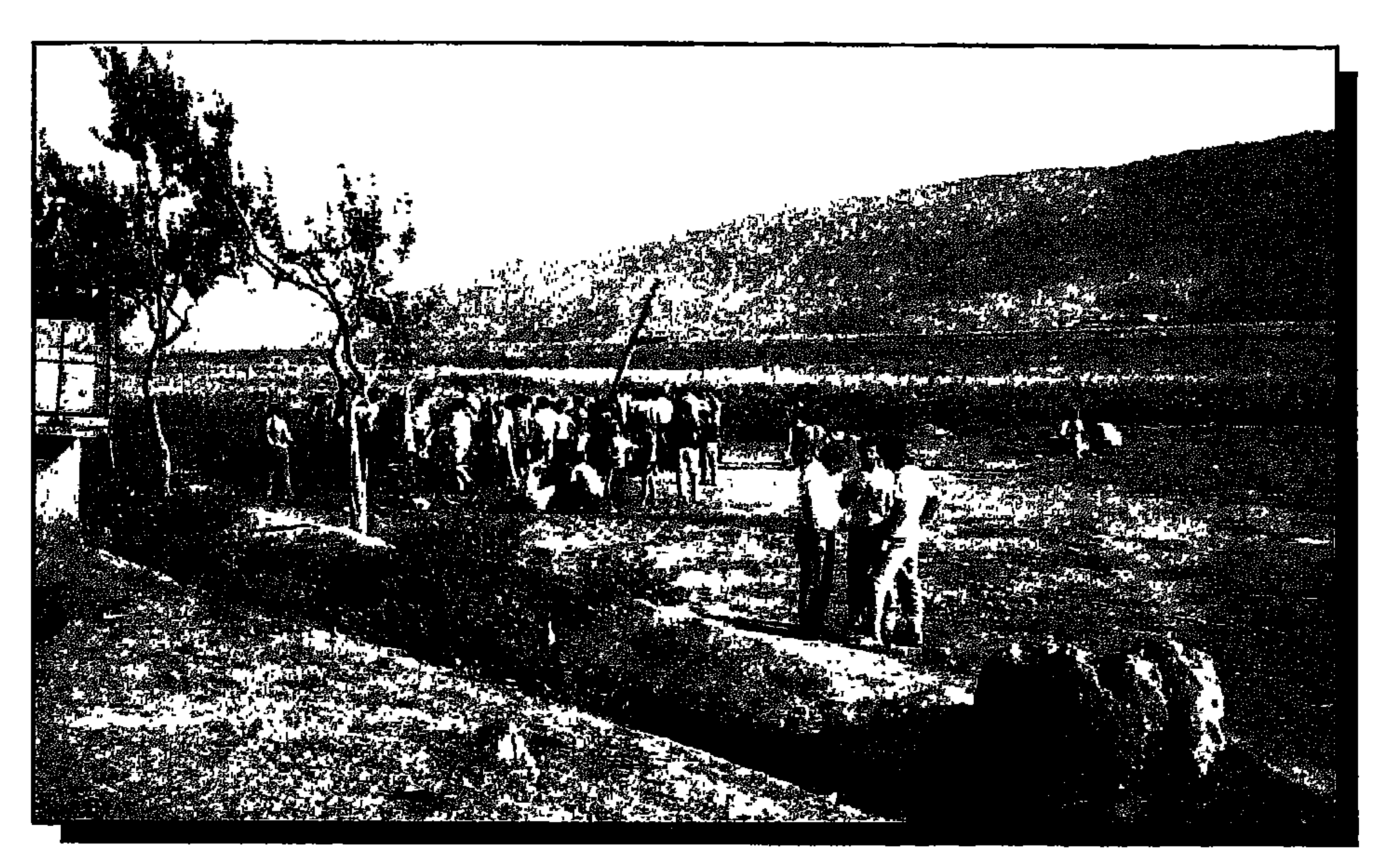
بائع البطيخ في ريف ألبانيا

البنات الصغيرات اللاتي هن دون العاشرة من العمر لاتجد على الريفيات منهن من الملابس الا ما يستر البطن وما تحته.

كما تكررت رؤية الناس على الطريق حتى في الريف حيث القرى والمزارع جالسين أو متسكعين وكأنما هم فارغون ليس لأكثرهم عمل إلا ذلك.

وحتى البيع والشراء لم نشاهد أي مظهر له في هذا الريف الندي إلا أمرأة واحدة شقراء الشعر كان ترفع يدها من الطريق بعدد من البيض تحمله تريد أن تبيعه على المسافرين والا البطيخ الأخضر المخطط بخطوط سوداء الذي هو الحبحب عندنا فهو كثير وقد وقف الرفاق لشراء شيء فيه لبيوتهم فانتهزت الفرصة والتقطت صوراً عديدة للمنطقة.

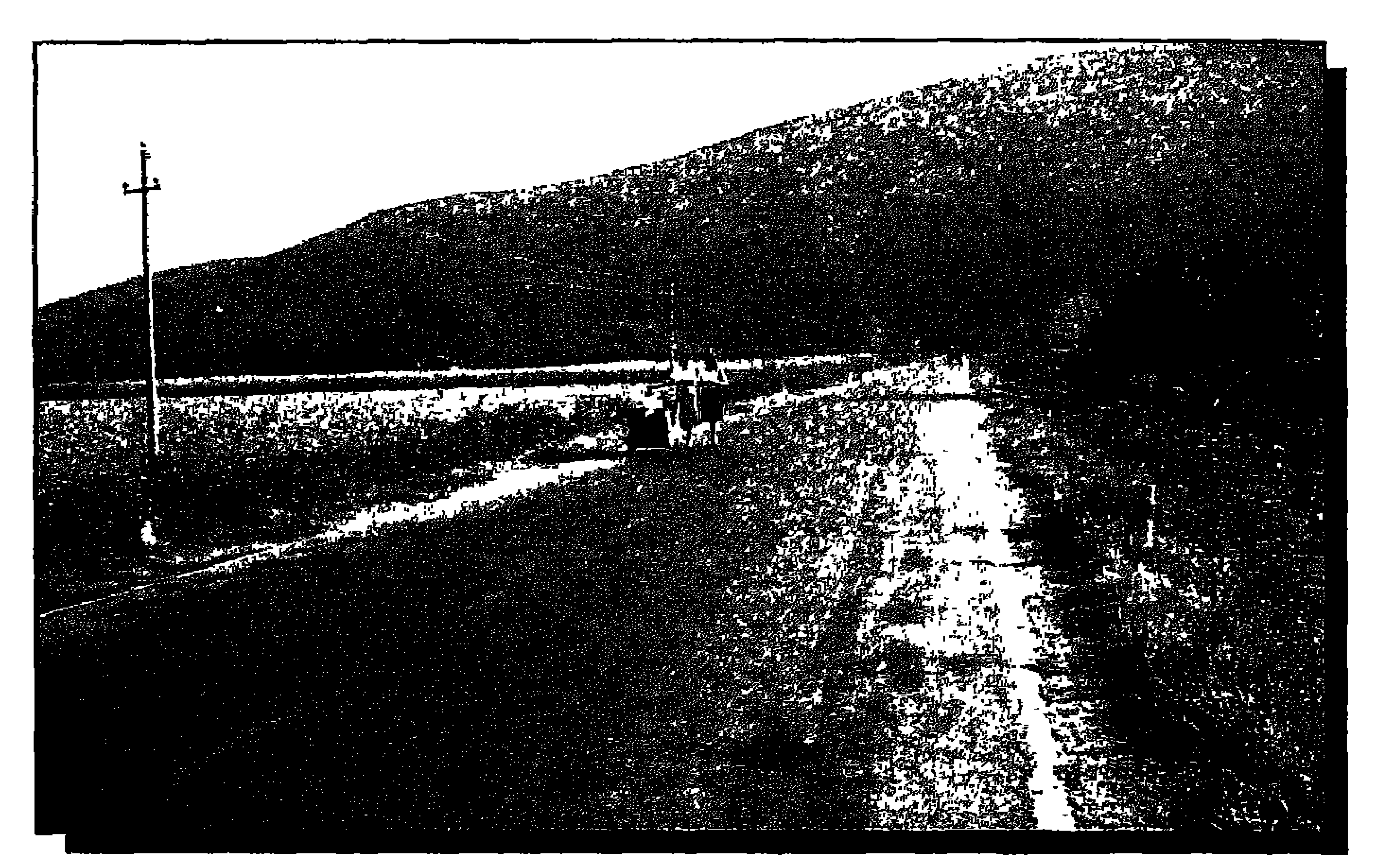
اليد مع اليد..



اجتمعوا على عمود مائل للهاتف يحاولون ان يقيموه بأيديهم

عندما وصلنا إلى المنطقة الكاثوليكية من الطريق التي ذكرت أمرها عند القدوم إلى اشكودرا رأيت منظراً عجيباً هو جماعة من الناس قد اجتمعوا بعدد كبر من أجل أن يقيموا عموداً عليه أسلاك من عمد ممتدة إما أن يكون للكهرباء أو الهاتف والأغلب أنه يحمل اسلاك الهاتف وقد مال العمود وكاد

يسقط لولا أن الأسلاك أمسكت به عن الوصول في سقوطه إلى الأرض، فما كان من الأهالي إلا أن اجتمعوا على رفعه إلى أعلى حتى يعيدوه إلى حالته التي كان عليها من الاستقامة وقد كان عددهم كبيراً، وكأنما كان لسان حالهم يقول: اليد مع اليد بركة، ولاشك في أن فعلهم هذا هو بسبب عدم وجود الآلات التي تقوم بذلك لديهم وبسبب عدم اهتمام الحكومة أو عدم استطاعتها ارسال الآت رافعة اليهم مع العلم بأن العمود هو من الخشب وليس شديد العلو.



فتاتان انيقتان تدفعان عربة يد في ريف ألبانيا

وكان من المناظر الريفية التي استرعت انتباهي في العودة منظر فتاتين كأنهما من طالبات المدارس لأن ثيابهما نظيفة ومظهرهما نظيف وهما تدفعان عربة يد على الإسفلت فوقها شيء لا أعرفه تتعاونان على دفعها وحمار يأكل من مخلاة معلقة في أسفل عنقه ونساء مسيحيات في المنطقة الكاثوليكية على رؤسهن مناديل بيض تغطي الشعور وماء كأنه الترعة في منطقة المسيحيين فيها طفل يسبح مع أن ماءها ليس بالكثير ولا بالنظيف وأمرأة تغسل ثوبها في هذا الماء بضربه بشيء في يدها وقد وضعت الثوب على حجر.

الشارع يتحول إلى منتزه :

وصلنا إلى (ليتزا) فسلكنا الشارع الذي كنا قد اخترقناه ضحى هذا اليوم عند الذهاب إلى شكودرا فاسترعى انتباهي وجود ضابط شرطة أوقفنا وتكلم مع السائق إلا أن القوم أفهموه بأن هذه سيارة حكومية وأننا ضيوف على الحكومة فتركنا وكانت سيارتنا الثانية خلفنا فأوقفها.

ثم مررنا بشرطي آخر أوقفنا أيضًا وتكلموا معه فتركنا نمر، وقبل أن نغادر الشارع اوقفنا شرطي ثالث وكل واحد منهم بعيد عن الآخر ولا يدري عما فعله مع السيارة التي تمر فتكلموا مع هذا الثالث الذي هو الأخير ولكنه لم يقتنع بكلامهم، وطلب الإطلاع على أوراق السائق ثم أخذها معه وبعد مناقشة ولأي اعطاه اياها بعد أن حرر له مخالفة بعشرة لكات وتساوي راتب يوم واحد للسائق على قلتها بالنسبة الينا.

وقد أخبرونا بعد ذلك أنهم يقولون إن هذا الشارع يتحول بعد الساعة الخامسة إلى منتزه لأهل البلدة لايجوز أن تدخله السيارات أو تسير فيه وأن السائقين يعرفون ذلك ولكنهم تساهلوا بسبب وجودنا معهم غير أن ذلك لم يعفهم من دفع الغرامة مع أنها يسيرة بالنسبة الينا.

والجدير بالذكر أن الضابط من ضباط الشرطة هؤلاء يكون معه أو يكون قريبًا منه جنديان ربما لكي يساعداه على ضبط السائقين الذين لايمتثلون لأمره مع أنه يحمل هاتفًا لاسلكيًا.

وعرفنا أيضًا أن سائق السيارة الثانية التي معنا التي هي سيارة حكومية أيضًا تخاصم مع الضابط فحرر له المخالفة ولم يدعه يمر حتى دفعها.

وبعد أن تركنا الشارع الرئيسي الذي دفعنا فيه الغرامة وقفنا ننتظر سيارتنا الثانية وخرجت معي المصورة أتأمل المنطقة، وأصور ما أراه جديراً بالتصوير منها فالتف علينا طائفة من الفضوليين وكلهم مثل سائر سكان هذه المنطقة من المسيحيين الكاثوليكيين، فخشى اصحابنا علينا منهم وحذروني قائلين: إن هؤلاء لايؤتمنون فادخل السيارة بسرعة وأغلق الباب.

ثم سرنا حتى تجاوزنا المدينة في موقف ريفي ليس عنده أحد من أهلها.



أطفال حفاة في ريف ألبانيا

وقريبًا من هذه المنطقة قذفت سيارتنا بحجر كاد يكسر زجاجها ، ولم أر المرافقين ولا غيرهم يخشون شيئًا من الوقوف في المناطق التي يسكنها مسلمون لكونهم يعتقدون أنها مناطق مسالمة وأن اهلها المسلمين لايؤذون أحداً.

ورأيت وأنا واقف سيارة نقل كبيرة مملؤة بالركاب في ظهرها وهم بملابسهم النظيفة يتمايلون بتمايلها يستخدمونها كما يستخدم غيرهم حافلات الركوب.

والواقع أن الحافلات موجودة ولكنها غير كافية فيما يقولون، وتبطئ في الحضور.

صعود الجبال :

استمر الطريق فترة وهو الذي مررنا به فلم أر فيه ما يستحق التنويه إلى أن تركناه مع طريق اسفلتي آخر جيد بدأ بصعود الجبال في طريقنا إلى مدينة (كرويا) التي هي مدينة جبلية مشهورة بأنها من المدن الإسلامية.

فكان أول ما قابلنا عند بدء الصعود غابات من الأشجار الملتفة التي أكثرها أشجار من أشجار الأخشاب وفيها أشجار مغروسة من أشجار الصنوبر التي ذكروا أنها تثمر هنا ثمراً جيداً.

واستمر الطريق الجبلي الجيد لاعيب فيه إلا عدم سعته السعة التي تعودنا عليها في طرقنا وإلا فإنه معتني به فجوانبه مصبوبة من الإسمنت القوي وطياته مليئة بالإشارات حتى وصلنا:

مدينة كرويا:



مدخل مدينة كرويا

فكانت الإطلالة الأولى منها أبنية سكنية عالية وهي بالفعل تطل من موقعها في أحضان الجبل على الوادي السحيق وعلى الطريق الذي ينساب زاحفًا إلى أعلى إلاّ أنها تكاد تكون هي في قرار سحيق بالنسبة إلي الجبل الذي يطوقها من جهاتها ما عدا جهة الغرب ويرتفع عاليًا فوقها.

وهي كبيرة متفرقة في أحضان هذا الجبل ترتفع بارتفاعه وإن لم تستطع أن تصل إلى أكتافه العالية.

ولاحظنا أن على أهلها نضارة خاصة رغم النضارة في الوجوه التي هي السائدة على أهل هذه البلاد الأوروبية ذات الإدارة الإفريقية إن صحت نسبة الإدارة إلى قارة من القارات وأكثر ما يميزهم وجود ذوي الشعور الشقر فيهم.

قلعة كرويا :

لم تكن البقية من النهار تسعفنا بالإطلاع على كل ما نريد الإطلاع عليه من أمر هذه المدينة التي يؤلف المسلمون كل سكانها كما قالوا لنا ومع ذلك مررنا بمتحفها فذكروا أنه مغلق الآن لأن موعد إغلاقه اليومي كان قد حان قبل فترة.

ولم نقف في داخل البلدة لكون ذلك قد يحرمنا من الإطلاع من القلعة عليها إذ تشرف القلعة على جميع أنحاء المدينة وما كان عنها جهة الغرب.

فاستمر سيرنا صعداً في المدينة التي هي صاعدة مع الجبل قاصدين القلعة ولم نقف إلا في أعلى القمة بجانب القلعة إذْ كانوا هيأوا الطريق ورصفوه فصار يمكن للسيارات أن تصعد فيه بسهولة رغم ضيقه وارتفاعها وقد رصفوه بحجارة صغيرة حتى لاتتزلق السيارات إبان سقوط الثلج أو وجود الزلق أثناء الشتاء فيما لو كان رصفه بالإسفلت.

إلى جانب أمر اقتصادي مهم وهو أن الحصا عندهم من جوار الطريق لأن المنطقة جبلية.



المؤلف في أحد المرتفعات في كرويـــا

وقفنا عند قلعة مهمة تطل على مدينة كرويا والسهل الواقع جهة الغرب منها ولكن كان يغلفه الضباب بسبب قرب غروب الشمس والقتر في الجو الذي لايصل إلى أن يكون غيمًا.

المسجد المجني عليه :

معظم أبنية القلعة باقية على ما كانت عليه، بل إنهم اخذوا يرممون بعضها ماعدا مسجدها فإنهم قد هدموه حتى ساووه بالأرض وإن كانت لاتزال بقايا حيطانه الصخرية واضحة، وكله مبني بالحجارة إلا أن منارته لاتزال منها بقايا لم تهدم يصل ارتفاعها إلى نحو المتر.

وهذا خلاف عادة الشيوعيين هنا عندما قاموا بحملة شاملة لهدم المساجد في البانيا في عام ١٩٦٦م فإنهم كانوا يبدأون بهدم المنارة حتى إن عدداً من المساجد هدموا مناراتها وابقوها من أجل الانتفاع بها إذْ جعلوها مخازن أو معامل أو مساكن لبعض العمال أو الشبيبة الشيوعية.

لم نجد دليلاً ولا من يقص علينا قصة هذه القلعة، ولم يكن معنا من أهل المدينة من نسأله عن ذلك، لأننا ابدينا رغبتنا بزيارتها ونحن في اشكودرا لكوننا نعرف أنها تقع في طريق العودة من اشكودرا إلى تيرانا.

فقضينا وقتًا ممتعًا في هذا المكان المرتفع بجانب القلعة التي تطل على المدينة وعلى أماكن منخفضة قريبة وبعيدة ولكن الجبل العالي الذي خلا جبينه من النبات يطل عليها وكأنما هو يثأر منها أو لكي يشعرها بألا تتكبر لعلوها وارتفاعها فهناك ما هو أعلى منها وأرفع مقامًا.

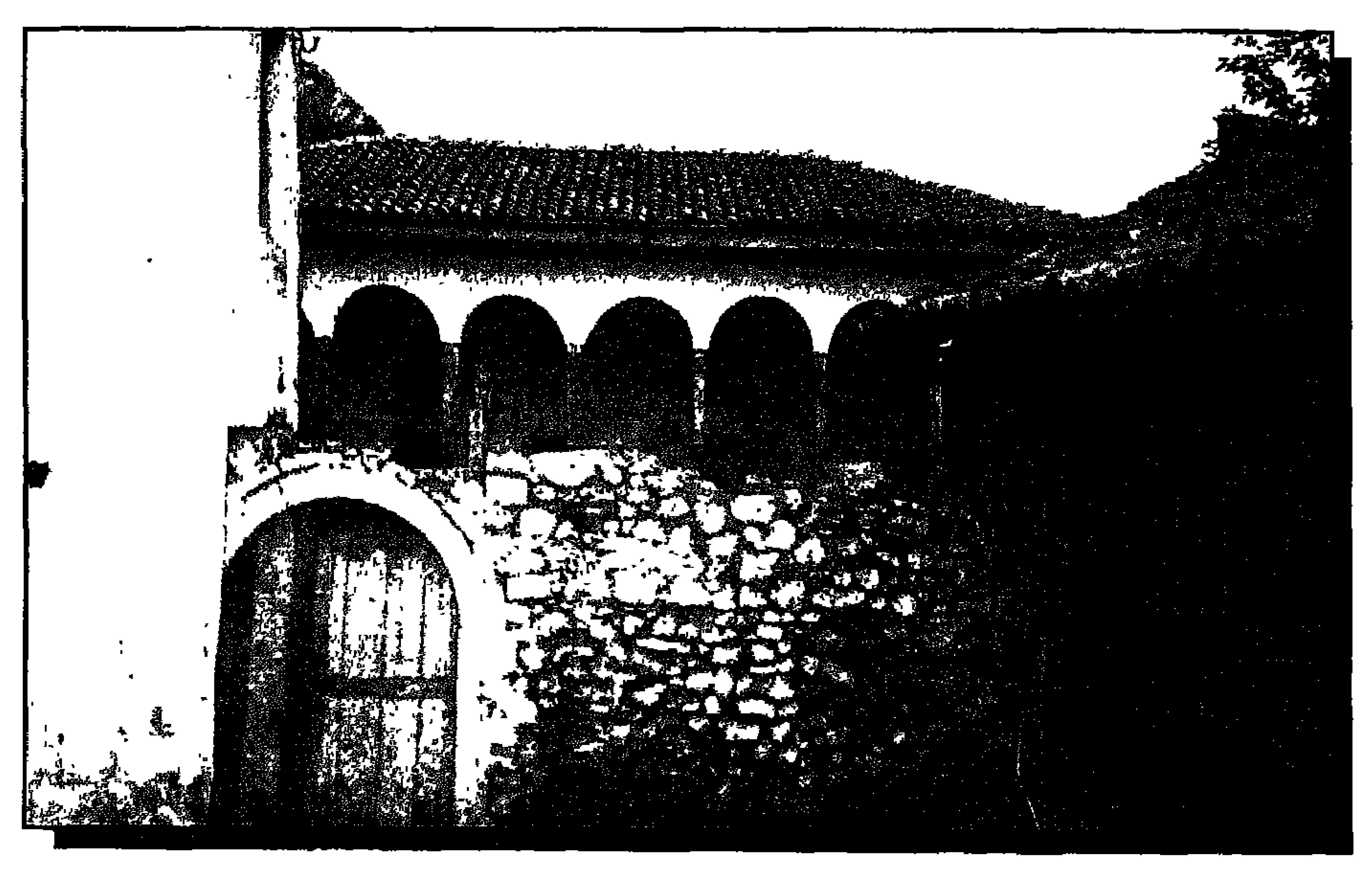
وقد استفاد الاتراك العثمانيون أثناء حكمهم لألبانيا من هذه القلعة الحصينة وحصنوها أيضًا كما فعلوا في كثير من البلاد التي فيها أماكن مرتفعة إذْ بنوا عليها القلاع، ورتبوا فيها وسائل الدفاع في وقت كان فيه الموقع أهم من المقاتل أو هو السلاح الأهم في بعض الأحيان.

وكانت بنا حاجة إلى ماء وشراب فجاء أحد الإخوة الذين اشتروا من البطيخ الأخضر وهو الحبحب عندنا بعدد منها ساروا يفلقونها ويعطون كل واحد نصيبه دفعة واحدة قطعة كبيرة فكان مذاقها حلواً كما كان الهواء هنا جبليًا منعشًا خاليًا من الرطوبة والحر.

والتقطت صورة لغروب الشمس في كرويا.

في حي دارش :

انحدرنا من القلعة إلى حي أسفل منها متصل بمنطقتها اسمه (حي دارش) ذكروا أن فيه المسجد الوحيد الباقي بعد أن حطم الشيوعيون مساجد البلدة كلها وقد حطموا منارته وتقوم الدولة الآن بترميمه على اعتبار أنه من الأماكن الأثرية المهمة ومن أجل إرضاء المسلمين واسمه مسجد دارش على اسم الحي الذي يقع فيه فلم نجد عنده أحداً يفتحه لنا واكتفينا بالتقاط صورة له لا أثق بأن تكون واضحة ثم جلسنا في مقصف هناك هو المقصف الوحيد الذي جلسنا فيه طول رحلتنا هذه لقلة المقاصف والمقاهي في البلاد حتى إن العاصمة تيرانا لاتوجد فيها مطاعم كما يكون في البلدان الأخرى وإنما فتحت فيها منذ وقت قريب أماكن لبيع الشطائر (الساندوتيشات) والاطعمة الخفيفة.



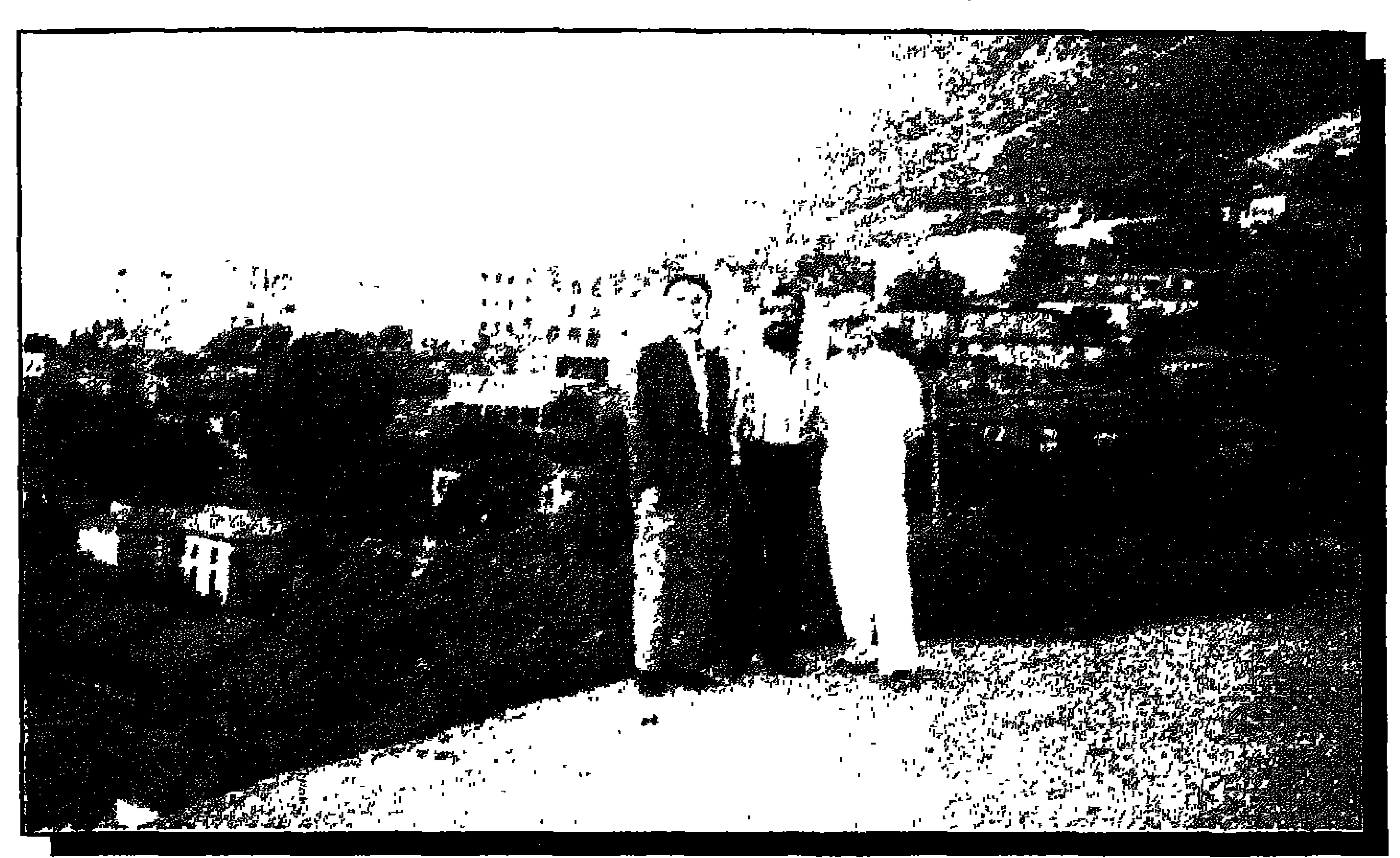
مدخل مسجد دارش في كرويـــا

وفي المقصف تناولنا القهوة ولم نجد عندهم شايًا وإنما أكثر ما عندهم المشروبات الغازية والجعة (البيرة) على قلة في مقادير ذلك كله.

المسلمون في كرويا :

كرويا - كما قدمت معروفة بأنها من المدن الإسلامية إلا أنه تبين أن معظم أهلها من البكتاشية أو كانوا كذلك.

واصل البكتاشية طريقة صوفية إلا أنها تنحو منحى من الباطنية إن لم يخرج بأهلها عن الإسلام فإنه يخرج بهم عن أهل السنة والجماعة.



صورة تذكارية في مدينة كرويا (من اليمين)
الدكتور شوكت اندروجي فالمؤلف فالشيخ فائق خوجة

والذي يخفف من أمرها على ثقله أن عامة الناس الذي يعتنقونها لايعرفون حقيقة أمرها، ولا حقيقة الإسلام الصحيح وإنما يقولون كما يقول أسلافهم (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وحتى العارفون منهم ببعض امور البكتاشية لايعرفون أنها مخالفة للإسلام لكونهم لايعرفون من الإسلام الصحيح شيئًا.

ولذلك أخبرني الإخوة المرافقون وفيهم المفتي وغيرهم من العارفين بهذه الأمور أن البكتاشيين أخذوا يصلون مع أهل السنة، عندما ابيحت الصلاة واتيحت الفرصة للجميع أن يصلوا.

ولذلك يقولون : إن هذه فرصة سانحة لتصحيح عقائد البكتاشيين لأن

مشايخهم الذين كانت لهم صولة وجولة قد ماتوا أو حددت الحكومة نشاطهم كما حددت نشاط أهل الأديان والمذاهب كلها.

والدليل على بعد الناس عن الدين أنني قابلت طائفة منهم وهم يسيرون في الشارع قرب المقصف فسلمت عليهم فلم يردوا عليَّ السلام وإنما صاروا يضحكون ويفعلون أفعال الذين يتنادرون مما أثار عجبي حتى اعتذر عنهم الإخوة المرافقون بأن هذه هي عادتهم في عدم السلام وأنهم لا يتبادلون السلام هذا مع غيرهم كما يفعل أهل السنة.

وكنت قد اعتدت على تعريف الذين ألتقى بهم في شارع و نحوه من الإخوة المسلمين الالبانيين بتحية الإسلام (السلام عليكم ورحمة الله) فيسرعون بالرد الشرعي عليها ويعرفون بذلك أننا من إخوانهم المسلمين.

العودة إلى تيرانا :

غادرنا مدينة (كرويا) في الثامنة وكانت الشمس قد غربت في السابعة والنصف.

وعندما قاربنا المدينة وحتى قبل أن نصل اليها استرعى انتباهي ما رأيته فيها وفي باقي أنحاء البانيا من كثرة المشاة في شوارع القرى وفي ضواحي المدينة حتى في الطرق بين القرى الريفية وذلك رغم حلول الظلام مما قد يدل على أن بيوتهم غير مريحة ولو كانت مريحة أو كانت لديهم أعمال يمكن أن يستفيدوا منها في قضاء أوقاتهم بها لما كانوا بهذه الكثرة في الشوارع.

مما جعلني أستذكر في نفسي ما كنت قد سمعته من أن شعب البانيا تحت الحكم الشيوعي هو شعب كله من المشاة وربما لايوجد شعب آخر في العالم يمشي - مضطراً - مثلما يمشي الألبانيون مضطرين.

يوم الثلاثاء ١٠/٢/١٤١٢هـ

إلى مدينة البسان :

تقع مدينة البسان على بعد ٥٥ كيلو متراً جهة الجنوب الشرقي من العاصمة وهي جهة لم تسبق لنا زيارتها.

بدأنا الرحلة مع الإخوة المرافقين لنا أمس وهم الشيخ المفتي الحافظ صبري كوتشي والأخ الدكتور (شوكت أندروجي) رئيس الجمعية الإسلامية في تيرانا وهو طبيب مشهور يسمونه البروفيسور والأخ الأستاذ (سليم ستافا) الذي يترجم لنا ويفيدنا من معلوماته العامة وفي السيارة الأخرى الأخ عثمان أحمد كابلي ورفيقي في الرحلة الاستاذ رحمة الله بن عناية الله وأحد الإخوة الألبانيين.

فاخترقنا الحي (الدبلوماسي) وهو حي جيد لاسيما في تشجير شوارعه وكثرة الخضرة فيه ويسمونه حي رقم ٢ فمررنا بسفارتي الجزائر وإيطاليا وبالقنصلية الفرنسية.

وبهذه المناسبة نقول: إنه لاتوجد عندهم ممثليات للدول العربية ماعدا سفارتي مصر والجزائر وممثلية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقد أخبرنا الإخوة الألبانيون هنا أن سفير مصر رجل نشط في التعاون مع الجمعيات الإسلامية بقدر ما تسمح له ظروفه وأما السفارة الجزائرية فإنه ليس لها نشاط مع المسلمين الذي يراد بهم أهل الجمعية الإسلامية التي تألفت بعد سقوط الحكم الشيوعي المتعصب والسماح بممارسة النشاط الديني في البلاد.



شارع في تيرانــــا

والغريب في الأمر أنه عندما جرى الانفتاح في البانيا واقتضى الأمر من حكومتها الجديدة أن تكون لها علاقات واسعة في العالم سارع المسئولون في دولة اليهود في فلسطين إلى الاتصال بالحكومة الألبانية من واقع مصالحهم الخاصة يريدون منها العلاقات السياسية ويعرضون عليها المساعدات الاقتصادية والفنية فاستنكر بعض المسئولين العرب على البانيا أن تقابل خطوة اليهود بالإيجاب واستنكروا أن تتبادل التمثيل (الدبلوماسي) معها قبل الدول العربية على حين أنهم لم يخطوا خطوة واحدة باتجاه ألبانيا.

فألبانيا تحتاج في الوقت الحاضر إلى المعونات الاقتصادية الفنية وإلى القروض الميسرة التي تيسر لها تحديث مصانعها وتيسير استيراد الالآت والعدد اللازمة لتنميتها بل إنها تحتاج حتى لاستيراد بعض الأغذية لشعبها.

وتحتاج في هذه المرحلة إلى العلاقات مع الدول العربية التي تفيدها في هذا المجال كالدول الخليجية القادرة على الإعانة بالعملات الصعبة.

ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث مع الأسف.

ونحن على يقين من أن الدول الخليجية تريد أن تقدم إلى ألبانيا ما تحتاجه أوبعض ما تحتاجه في هذا المرحلة المهمة من تاريخها غير أن تلك الدول الخليجية تنقصها المبادرة وسرعة البت في مثل هذه الأمور التي تنشغل عنها عادة بقضاياها المحلية والدولية الخاصة بها.

ثم مررنا في مكان مرتفع من الحي بقصر الملك السابق تظلله الأشجار الضخمة وقد غيروا اسمه من القصر الملكي إلى قصر الألوية.

قرية صعوك :

حالما تركنا هذا الحي الراقي وصلنا إلى حي آخر في مرتفع جيد يطل على سهول خضر بعيدة كان أصله قرية اسمها (صعوك) فسموا الحي بهذا الاسم.

وكانت الوقفة فيها من أجل الاطلاع على آثار مسجد قديم فيها دمره الشيوعيون.

وقد أقيم في مكان المسجد بناء أصغر حديث لاحاجة إلى القول بأنه تملكه الدولة لأن جميع الأبنية هنا تملكها الدولة الإما كان منزلاً خاصًا لايزيد عن

الحاجة يكون صاحبه ورثه عن والده أو يكون بقية مما كان يملكه من أملاك صادرتها الدولة وتركت له هذا الذي لايتسع إلاً لسكناه حسب المقاييس التي وضعها الشيوعيون.

العنب والزيتون :

وقفنا في الريف فجأة بعد قرية صعوك فكان أكثر مافيه أشجار الكروم، والعنب يجود في البانيا لكونها دفيئة في الشتاء بسبب وجود جبال تمنع عنها الرياح الشمالية الباردة، ومع ذلك فإننا سألنا عن العنب الذي هذا موسمه لنشتري منه شيئًا فذكروا أنه لايباع في السوق مطلقًا وإنما تستغله الدولة في عصره للنبيذ وتصديره ابتغاء العملة الصعبة.

قالوا : ولذلك صار النبيذ الألباني الذي يكون من عنب البانيا مشهوراً في أسواق أوروبا أما الزيتون فإنه يبدأ في الأماكن المرتفعة قليلاً ثم يرتفع مع ارتفاع التلال ثم الجبال حوله.

وكل هذه المزارع هي ملك للحكومة وللجمعيات التعاونية التي تقيم المزارع الجماعية بتشجيع من الحكومة الشيوعية حيث تزرعها وتديرها على الطريقة الشيوعية.

وقد صادروا هذه الأراضي والممتلكات من أهلها إذ كان معظمها أملاكًا خاصة للناس قبل ذلك.

إلا أنه يلاحظ هنا أن الحقول غير نضرة وغير معتنى بها، وأكثرها قد ترك دون زرع فنمت فيه الحشائش والأعشاب التي تأكلها المواشي.

أما سكان المنطقة فإنهم من المسلمين الذين وصفهم المرافقون بأنهم مسلمون صالحون.

ولاحظنا قلة السكان هنا أو إن شئنا الدقة قلنا: عدم ازدحام السكان مثلما كان عليه الحال أمس إذْ جميع المناطق التي زرناها أمس كانت فيها كثافة سكانية ظاهرة.

وحتى السيارات التي تسير مع الطريق هذا اليوم أكثرها من سيارات النقل الحكومية ومن الحافلات العامة التي هي مملوكة للدولة.

أما سيارات الركوب سواء اكانت خاصة وهي الأقل أم حكومية وهي الأكثر فإنها هي قليلة بالنسبة إلى ما رأيناه منها في طرق أمس.

وقد مر الطريق فوق نهر صغير اسمه (قبس) ونهر آخر صغير مثله.

واستدعى انتباهي منظر عنز واحدة في حلقها جرس ربما كانوا علقوه في رقبتها من أجل أن يعثروا عليها إذا دخلت الغابة أو أن يستدلوا به عليها إذا ضاعت في الليل لأنها سوداء، والجرس يتحرك بحركتها ويحدث صوتا يدل على وجودها.



حمار يعترض الطريق

قرية كوندرا :

وأهلها كلهم مسلمون إلا أنه لايوجد فيها مسجد فقد هدم الشيوعيون ما كان فيها من المساجد ولم يبن أهلها مسجداً في مكانه وذلك لكون الشيوعيين كانوا يمنعون منعًا باتًا بناء المساجد.

أما الأن وبعد أن أديلت دولتهم وزال ظغيانهم فإن إمكان الأهالي لبناء المساجد محدود.

بل إن قدرة البلد كلها على البناء والتشييد هي محدودة لعدم وجود الآت البناء وأدواته عندهم ولاتوجد منها إلا أشياء قليلة غير كافية تملكها الحكومة وحدها.

قرية ملت :

والقول فيها كالقول في التي قبلها من كون أهلها مسلمين ولكن لايوجد فيها مسجد.

أما اسمها فإنه من العربية التي دخلت إلى لغتهم عبر التركية وهي (ملة) بمعنى نحلة أو ديانة في العربية وبمعنى أمة أو طائفة في التركية.

والحقول في هذه المنطقة أكثرها ذرة ولكن زراعتها ليست شاملة.

ومررنا بقرية أخرى اسمها (كرافا) بعد أن بدأنا بعلو جبال اعترضت الطريق وتبين أن المنطقة كلها جبلية وهي كسابقاتها سكانها من المسلمين ولكن ليس فيها مسجد.

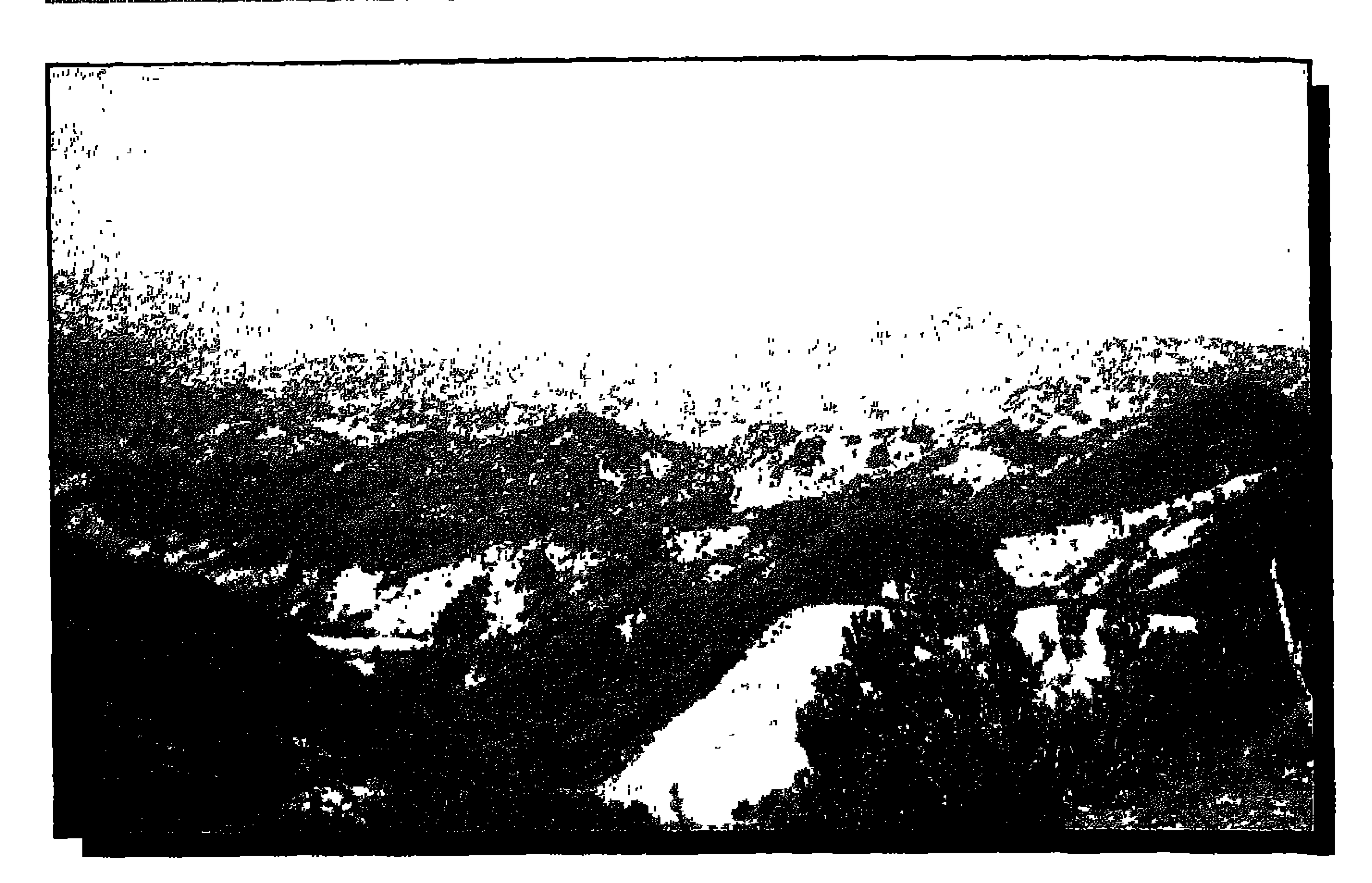
وقال لنا الإخوة المرافقون: إن كل القرى في هذه المنطقة كانت فيها مساجد ولكن الشيوعيين هدموها وقرب هذا القرية منجم للفحم الحجري.

الجبال الخضر :

أمعن الطريق صاعداً في جبال خضر وهو أي الطريق جيد ذكر أن أول من شقه هم الايطاليون إبان احتلالهم لألبانيا قبل الحرب العالمية الأولى وأن الملك (زوغو) ملك البانيا السابق أكمل ما لم يكمل منه.

وخضرة هذه الجبال أكثرها وحشية كخضرة الغابات الطبيعية ولا أشجار من أشجار الفاكهة فيها وإنما توجد أشجار الزيتون في سفوحها بكثرة.

وقد أوقفنا السيارات في مكان مرتفع واستجلينا منه مناظر المنطقة والتقطنا صوراً تذكارية ثم واصلنا مع الطريق الارتفاع في مناظر خلابة ينتقل البصر فيها من وادٍ عميق أخضر إلى جبال خضر متراكمة.



صورة التقطتها للمنطقة الجبلية في طريق إلبسان

وقفة في القمة :

حتى وصلنا منطقة فيها لافتة تشير إلى قمة الجبل التي يمر بها الطريق وعادة السياح والمسافرين الذين لايتكرر سفرهم أن يقفوا في هذه القمة للفرجة والتقاط الصور التذكارية وفعلنا فعلهم واسم المكان (كوس) هكذا كتب عليه وقال المترجم الأستاذ سليم إنه (قوس) ويشرف على مناظر رائعة لهضاب خضر تنهض من وديان خضر حتى تكاد تعانق السحاب وحتى يعجز النبات أن يصل إلى قممها إذْ تراها عارية ربما كان ذلك لكونها عارية من التربة أو لكون المطر لايصل إليها عند نزوله، أما اكتاف الجبال فإنها غابات عذراء ملتفة.

وأكثر ما في هذه الأماكن العالية المراعي الصالحة لرعي الحيوان كالأبقار والأغنام وهي مثل سائر أراضي البانيا مما يصلح أن تربى فيها ماشية اللحم.

وليس في هذا المكان سكان ولكننا رأينا فجأة غلاما وقف عند سيارتنا كما هي العادة في سرعة التفاف الريفيين وغيرهم على السيارة الغريبة.

وتبين أن ذلك الغلام مسلم لأن أهل المنطقة من المسلمين فأعطاه الأخ عثمان كابلي ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية قميصاً جديداً فرح به ولبسه في الحال.

وتمثل هذه المنطقة المرتفعة الحدود بين منطقتي العاصمة تيرانا ومنطقة (إلبسان) من الناحية الإدارية.



في الجبال قبيل الوصول إلى إلبسان مع سليم ستافا

ثم بدأ الطريق بالإنحدار قليلاً وهو يعتصم باحضان الجبال ويشرف على الوديان المنخفضة أما السيارات هنا فإنها قليلة وأما الحقول في الوديان فإن أكثرها الأرز لأن المنطقة دفيئة تدفئها هذه الجبال الواقفة، حتى وصلنا:

قرية غرتاس :

وهي قرية مسلمة ولكن ليس فيها مسجد ولك أن تستغرب ذلك لأن ألزم الأشياء للقرية المسلمة أن يكون فيها مسجد ولكن من يعرف الظروف التي مرت بها هذه البلاد الألبانية لايستغرب ذلك وقد كررت ذكره مراراً.

راعية شقراء لعنز شتراء:

والعنز الشتراء في لغتنا العامية المأخوذة من العربية الفصحى هي القصيرة الأذنين التي تكون اذناها لقصرهما واقفتين، وهذا ليس من صفات المدح للعنز فالعنز عندنا تمدح بطول أذنها لابقصرها لأن قصرها يدل على أنها من نوع رديء من الماعز.

والموضوع كله يثير الاستغراب وذلك أنا رأينا فتاة شقراء الشعر معها عنز واحدة غير جيدة ترعاها وحدها. وفي أذهاننا مما عرفناه سابقًا عن الأوروبيين الشقر أنهم أغنياء وأنهم متطورون وأن الوقت عندهم ثمين بحيث لايضيع الواحد أو الواحدة منهم وقته في شيء تافه كرعي عنز تظل مدة من الوقت قبل أن تملأ بطنها من الرعي.

هذه إلبسان :

رأينا مدينة إلبسان واللافتة تشير إلى أنها تبعد عنا بمسافة ٢٠ كيلو متراً وذلك لكونها تقع في واد متسع منخفض بالنسبة إلى الجبال التي أقبل منها طريقنا.

وقد كثرت أشجار الزيتون عندما أمعن الطريق في الإنخفاض.

وأظهر ما يرى وأول مايسترعي الانتباه في وادي البسان مداخن المصانع التي تنفث الدخان بكثافة وهي مصانع للفولاذ وهو الذي جعل البسان تشتهر في البانيا بأنها بلدة الفولاذ.

كما رأينا أبراج الكهرباء الضخمة منطلقة من الوادي وهي تغذي المصانع ثم تمتد إلى مسافات بعيدة وحتى منظر خطوط القطارات التي تنقل الحديد هو منظر جيد.

وقد اوقفت السيارة لالتقاط صورة لوادي البسان فلم نكد نفعل ذلك حتى التف علينا طائفة من الأطفال لاندري كيف وصلوا الينا لأن المكان ليس في قرية ولكن هكذا طبيعتهم في سرعة الإلتفاف على السيارة والتفرج برؤية الغريب، وبخاصة في هذه الأيام التي هي أيام العطلة الصيفية.

وتبين أن بعضهم يرعى حميراً زرقا وهي الرمادية اللون وقد اعترض طريقنا بعض هذه الحمير ولم تتزحزح عن مكانها في الطريق وإنما أبعد عنها السائق بسيارته وهو سائق ماهر حقًا واسمه (مسلم بن إبراهيم) كما تقدم.

وادي البسان :

وصلنا أول وادي البسان الخصيب فبدا متسعًا مفعما بالخضرة الطبيعية والخضرة المزروعة عكس ما كان يرى عليه من رؤوس الجبال حيث كان يبدو أقل

اتساعًا.

ومر الطريق فوق نهر (زرانيكا) فلم نقف عنده.

وتزين هذه المنطقة أشجار الزيتون الموجودة بكثافة في سفوح الوادي وفي التلال المنخفضة وعرائس الكروم التي تغطي أجزاء كبيرة من الوادي نفسه وأعداد كبيرة من الأطفال مابين ذكور وإناث في حواشي الطريق وبعض الأزقة بين البيوت الريفية.

وكلهم بيض أو شقر وملابسهم ليست بذاك بل إن بعضهم قد تخففوا من الجزء الأعلى من اللباس في هذا الجو الصيفي الحار ومع ذلك فإن أبدانهم نظيفة أيضًا.

مدينة البسان :

قبيل الدخول إلى المدينة اعترض الطريق نهر آخر اسمه (تومبيني) ثم وقعنا في المدينة التي رأينا شوارعها مليئة بالناس أو لنقل إنهم المشاة وقصدنا :

جامع الملك :

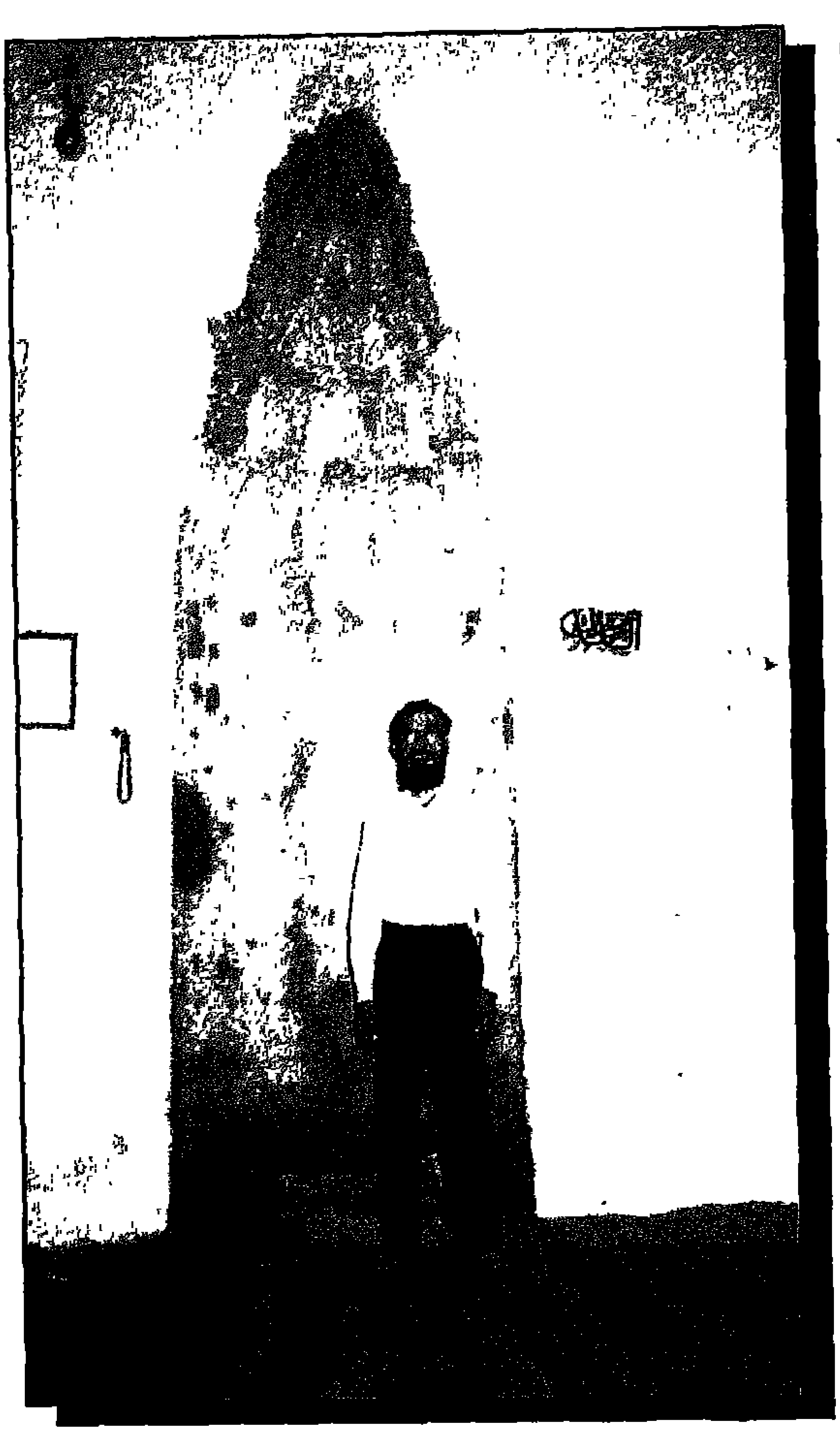
ويسمونه جامع مرسي أي الملك، ولم نجد عنده أحداً من المسئولين عنه أول ما وقفنا لأنهم قد أخبروا إمامه ولكننا وصلنا قبله.

وهو من المساجد التي صادرها الشيوعيون ولكنهم لم يهدموه وإنما هدموا منارته واستعملوه مستودعًا للتماثيل واستعاده المسلمون منهم قبل أربعة أشهر فقط.

حاولنا أن نجد من يحدثنا عن تاريخ هذا المسجد فلم نجد حتى المفتي لايعرف تاريخه لأنه من منطقة أخرى بعيدة عنه.

وفراشه من الحصير الملون وقد اصاب سقفه خلل من المطر.

وذكروا لنا أن الحكومة الليبية قدمت تبرعًا ماليًا لاصلاحه وفرشه ولكن لم يجدوا من يستطيع أن يصلحه إلا الحكومة فدفعوا إليها تلك النقود لكي تقوم بذلك إلا أنها لم تبدأ حتى الآن لأنها بطيئة بالعمل فالمعدات عندها قليلة والأعمال كثيرة ولكن لا وسيلة لديهم لاصلاحه إلا ذلك.



المؤلف في محراب جامع الملك في إلبسان

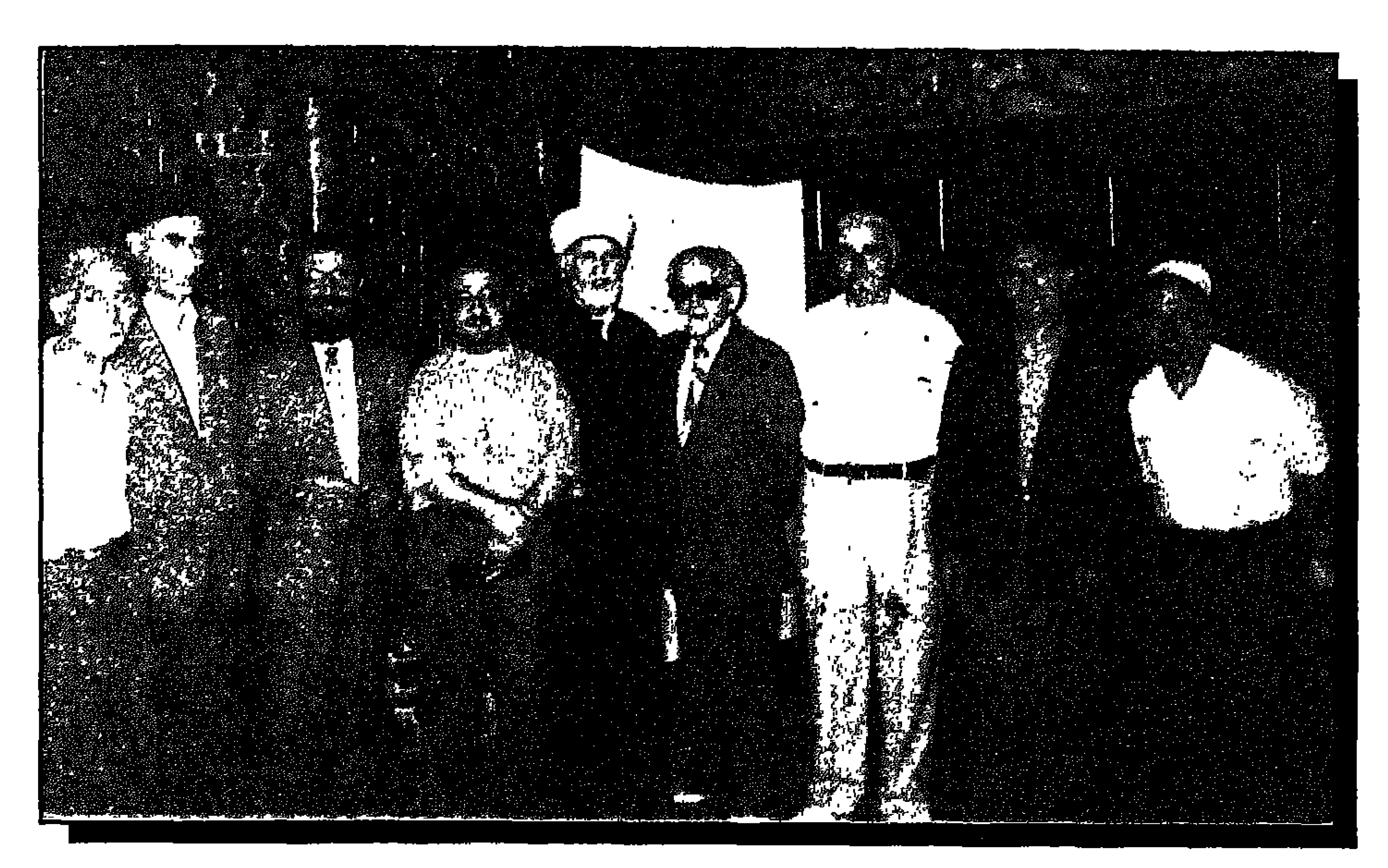
والمسجد مؤلف من قسمين وفناء خارجي مكشوف وهو جيد إلا أن استعمال الشيوعيين أثناء وجوده في أيديهم قد أضر به.

وقد جاء أحد الأشخاص الذين لانعرفهم واسمه محسن سليمان فذكر لنا أنه سمي (مسجد الملك) لأنه بني في زمن السلطان محمد الفاتح وذكروا أنه بني في ذلك الوقت لأن مدينة تيرانا لم تكن قد أصبحت مدينة مسكونة بخلاف (إلبسان) هذه فهي معمورة مسكونة من أيام الرومان، وإن لم يتخذها الأتراك عاصمة وإنما كانت العاصمة على عهدهم هي مدينة (اشكودرا).

ويقع المسجد في حي يسمى (حي قلعة) وينطقون بالقلعة كما هي بالعربية إلا أن نطق العين وهي حرف حلقي يصعب عليهم فيقولون كلاه لأن نطق القاف أيضًا ثقيل على ألسنتهم.

وقد سمي حي القلعة لأن فيه قلعة تركية قديمة رأينا بعض أسوارها المبنية بالآجر لاتزال باقية.

ولاتزال منازل الحي مبنية بالآجر والجص أو الطين وسقوفها بالقرميد غير



في داخل مسجد الملك في إلبسان

الجيد ولكنها قديمة لذلك تكون لها مقدمات صغيرة غاصة بالأشجار النضرة التي من أكثرها ظهوراً أشجار الفاكهة المتنوعة ومنها الكروم التي تتدلى من البيوت إلى الأزقة.



الشارع الرئيسي في إلبسان

وقد حضر إمام المسجد بعد ذلك فأعطيناه هدية للمسجد مسجلاً وأشرطة مسجلاً عليها المصحف كله وعدة مصاحف كريمة وتمراً من المدينة المنورة وسجادة للإمام ولم يصبر حتى يصل إلى بيته وإنما اعطى بعض الحاضرين من التمر.

جامع الباشا :

من مسجد الملك وربما كان اسمه (مسجد السلطان) ولكن الذين ترجموا لنا الاسم لم يحسنوا الترجمة، أو لم يدققوا فيها انتقلنا إلى جامع الباشا على اسم بانيه الأول وهو (درويش باشا) من أهل (البسان) ذكروا أن بناءه كان قبل ٣٠٠ سنة.

هدم الشيوعيون منارته حتى أزالوا عنه مايظهره بمظهر المسجد وصادروه فاستعملوه مستودعًا للمهملات أي الأشياء التي لا يحتاج إلى استعمالها.

وقد استعاده المسلمون في شهر ابريل الماضي ولكنه كالمسجد الأول وأسوأ حالة منه من حيث الحاجة للترميم فكل مافيه محطم وأبوابه وشبابيكه قد استهلكت وهو في حالة تعطي مثالاً واقعيًا على مايفعله الشيوعيون بالمساجد في هذه البلاد.

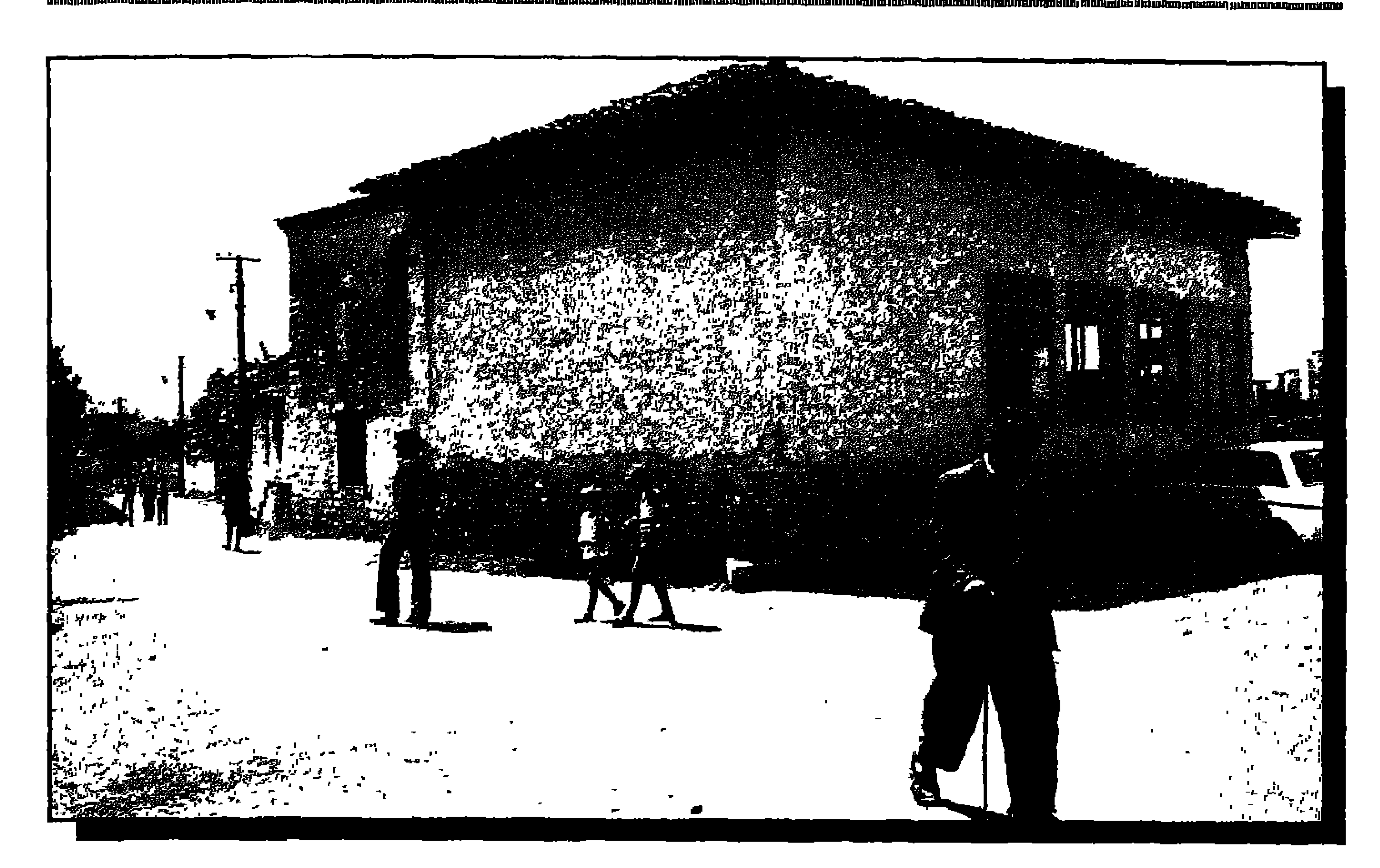
ولذلك لايصلى فيه إلا الجمعة والعيدين لأنهم يخافون من سقوطه على المصلين.

ومن الأشياء المؤلمة أن هذا المسجد يقع في حي اسمه (حي يريمي) بمعنى التحرير فهو إذاً حيّ التحرير ولكن التحرير عند الشيوعين معناه: التحرير من الحرية ومن أهم ذلك تحرير الناس من أن يكونوا احراراً في دينهم.

شاهد حي :

والشاهد الحي على ذلك - إن كان يحتاج إلى شاهد - في شخص من الإخوة الكرام الذين التفوا علينا ونحن نشاهد المسجد، وكان جمعهم كثيراً وفيهم رجال كثير أي إنهم ليسوا من الأطفال والصبيان.

كان المفتي يلبس لباسه الرسمي الذي منه الجبة والعمامة فاسترعى انتباهه رجل من الحاضرين كان يتابع ما يجري باهتمام وعرف مثل غيره أننا من مكة المكرمة فقال لنا جميعًا أنا احفظ من القرآن ثم جعل يقرأ كلامًا زعم أنه سورة



منظر جانبي لمسجد الباشا في إلبسان

(قل هو الله أحد) وليس فيه منها إلا كلمة أوكلمتان من أولها، أما الباقي فلايفهم منه شيء ولاتتضح حروفه وقال المفتي مازحا مع أن المقام ليس مقام مزح: هذا لاعربي ولاألباني ولا سرياني.

وقلنا للأخ واسمه عيسى بن أحمد كوموريا من أين تعلمت هذا الكلام؟ فقال: من أبي رحمه الله ثم اندفع يذكر بتأثر أنه مسلم متحمس وذكر أنه يصوم سراً منذ خمس سنوات فقلت له: والصلاة؟ اتصلي؟ فأجاب: لا، إنني أود أن أصلي ولكنني لا أعرف كيف أؤدي الصلاة: ولم أجد من يعلمني ذلك.

وصدق الجميع من الإخوة الألبانيين مايقوله من أن هناك عدداً كبيراً من الناس يحبون أن يصلوا، ولكنهم لا يجدون من يعلمهم كيفية الصلاة إذ حارب الشيوعيون بالقوة كل مايمت للدين بصلة فمات أهل العلم والدين ولو فرض وجود من يحسن أن يعلم الناس هذه الأمور البدهية من الدين فإن الحكومة تلاحقه وتسجنه وتعذبه لمجرد أن تعرف أنه قد علم الناس شيئًا منها ومن أهمها كيفية الصلاة.

ولذلك قال هذا الرجل نفسه وهو الأخ (عيسى بن أحمد كوموريا) أمام الملأ:

كيف أصلي؟ إذا صليت ضربني (أنور خوجا) وقد هلك أنور خوجا وولى عهده وطغيانه معه ولله الحمد.



ميدان في مدينة إلبسان

ويقع مسجد الباشا على ميدان في جزء قديم من المدينة عليه بيوت قديمة لم تعرف التجديد، ويحتاج المسجد إلى الترميم العاجل ولم يجمع القائمون عليه أي شيء من المال، فأعلنا لهم أننا سنقدم تبرعًا رمزيا من رابطة العالم الإسلامي لاجراء الاصلاحات العاجلة فيه وسوف نسلمه للمفتي حتى يسلمه اليهم حسب مراحل الاصلاح.

المسلمون في البسان :

والبسان : مدينة قديمة كما أسلفت كانت موجودة إبان العهد الروماني الذي يقصد به زمن احتلال الرومان لهذه البلاد قبل البعثة المحمدية وكانوا يسمونها (سكامبا) أما تسميتها بالبسان فإنه من عهد الأتراك العثمانيين الذين استولوا عليها في وقت مبكر.

ويبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر مائة ألف نسمة ٥٥٪ منهم إلى ٦٠٪ مسلمون هكذا استقر رأي الإخوة الألبانيين الذين سألتهم وكررت السؤال



المسلم الذي يصوم ولا يعرف كيف يصلي على يسار المؤلف في إلبسان

ثم استقرأت أحوالهم وكانوا في مبدأ الأمر اختلفوا فقال قائل منهم: إن المسلمين هم أكثرية ساحقة في المدينة وبقية السكان من المسيحيين الأرثوذكس ثم قال غيره أكثر من واحد إن نصف السكان مسلمون ونصفهم الآخر من الأرثوذكس.

وفيها الآن ثلاثة مساجد اثنان منها مفتوحان واستعادهما المسلمون قريبًا بعد أن كان الشيوعيون قد صادروهما وكسروا المنارتين فيهما واستعملوهما مستودعين.

وهي مسجد الملك أو السلطان ومسجد الباشا والثالث مسجد غير مفتوح سوف نتكلم عليه عندما نمر به فيما بعد بإذن الله.

في بيت البساني :

وهو بيت البساني ألباني لأحد الإخوة الكرام وهو الأخ (محسن سليمان دوكا) إمام جامع الملك أو السلطان قالوا: إنه يريد منا أن نشرب القهوة في بيته، وكانت بنا اليها حاجة إلا أننا نخشى من ضياع الوقت فأكد الأخ (محسن) أننا لن نتأخر وأن بيته في الطريق إلى المدينة التي نقصدها بعد

(البسان) وهي مدينة (ليبراج).

والأخ (محسن سليمان) إمام نشط وقد حج هذا العام من ضمن الحجاج الألبان المائة والخمسين الذين حجوا بدعوة من المملكة على ضيافة خادم الحرمين الشريفين فلم ينفقوا شيئًا في الحج لأنهم لايملكون أي شيء ينفقونه في الحج.

خرجنا من البسان إلى ضاحية فيها اسمها (البنوت فرس) وهي ضاحية ريفية كل الأماكن فيها مظللة بالأشجار بل هي كلها اشبه بالبساتين الملتفة.

حتى وصلنا إلى بستان داخل قليلاً عن الطريق العام فأوقفنا السيارات ونزل الأخ الكريم يسعى وهو يهلي ويرحب واستقبله أهله وهم زوجته وأولاده وهم يفعلون مثله وكلهم في غاية البياض ، ذوو شعور شقر وأبدان نظيفة.

وقال : هذا بيتي وسط هذا البستان الصغير.



مدخل منزل إمام جامع السلطان في ضواحي إلبسان

أما البستان فإنه صغير ولكنه ملتف الأشجار تظله الكروم التي تتدلى منها عنا قيد العنب غير أنهم ذكروا أنهم قد رشوه بمبيد للحشرات لذلك لاينبغي أكله إلا بعد غسله.

فأدخلنا غرفة جلوس خاصة بالرجال منفردة وسط البستان ومنفصلة عن البيت قد علق في حائطها سجادة عليها صورة الحرم المكي الشريف احضرها معه من مكة وعلق بجانبها المظلة البيضاء التي حصل عليها من مكة المكرمة وتعطى للحجاج عادة بالمجان لتقيهم شر أشعة الشمس.

استرحنا في ظل ظليل وسط بستان جميل، فقلنا ما أحسن المقيل، لولا أن الوقت قليل ثم جاء الأخ الكريم بالعنب مغسولاً نظيفًا في صحون متعددة بسخاء عرفناه من الألبان رغم جور الزمان، وقلة الأعوان.

واحضر مع العنب فاكهة بل فواكه أخرى كان من أهمها التين الذين جاء به نوعين مختلفين ولكنه ناضج فحصلنا في بيته على فاكهة لم نحصل عليها في السوق رغم وجود المال في الجيوب.

وذكر هو كما ذكر غيره أن الحكومة لم تسمح حتى الآن للناس بتملك الأراضي والعقار ملكًا خاصًا.

وان هذا البستان الصغير قد ورثه عن آبائه أو قال اشتراه بنفسه وبنى فيه مسكنًا له. وذكر أنه يملك فيه بقرة واحدة.

ثم احضر القهوة والماء البارد الذي ذكروا أنه من نبع عندهم وليس من ماء الأنابيب الحكومية مع أننا عرفنا أن الماء الذي يصل إلى الفندق في تيرانا مثل ماء تيرانا نفسهاهو نظيف صالح للشرب وأن الدولة تقوم على تعقيمه ولذلك كنا نشرب منه في الفندق لأنه لاماء غيره حتى المياه المعدنية على كثرة وجودها في البانيا لاتوجد للبيع في الفندق ولاغيره.

إلى مدينة ليبراج :

غادرنا مدينة إلبسان في الواحدة ظهراً فاخترق الطريق سهل (إلبسان) الخصيب الذي يجري فيه نهر (سكو مبيني) وينتشر الزيتون على سفوح التلال المحيطة به وتمتد حقول الذرة في وسطه.

وقد تعطلت إحدى السيارتين عطلاً خفيفًا فوقفنا من أجلها وكانت هذه رغبة غير معلنة لي إذْ ذهبت أصور ما شئت من التصوير، وأسال الأهالي الذين التفوا علينا بسرعة مع أننا في سهل ريفي وإن كانت القرى فيه ليست ببعيدة.



في الطريق إلى مدينة ليبراج بعد الخروج من منزل الإمام محسن دوكا

وكانت وقفتنا بإزاء فلاح كان يتعاون مع زوجته على عزق ارضهما وربما كانت مستأجرة لهما وهي صغيرة المساحة فكان مع كل واحد منهما مجرفة صغيرة الحديدة طويلة النصاب وهو اليد الخشبية التي تمسك بها المجرفة.



مسلم فلاح مع زوجته وامراة أخرى يعملون في سهل إلبسان

فكانا يحرثان الأرض ولكن بجهد ضعيف بالنسبة لما نعرفه عن الفلاحين في بلادنا إذْ ما أن يعملا لمدة ٣ دقائق أو ٥ حتى يقفا للاستراحة ويمسحا العرق المتصبب من الوجه وقالا لأحد المرافقين : إننا نفعل ذلك لنأكل.

ثم حضر غيرهم من الريفيين قال أحدهم إنه يصوم ولا يصلي لأنه لايعرف كيف يصلي، ومن المعلوم لنا أن الصوم أشق من الصلاة فالذي يصوم احتسابًا وإيمانًا لاشك في أنه يسهل عليه أن يصلي ولكنه قال كما غيره إنه لم يجد من يحسن أن يعلمه كيف يصلي ولو استطاع ذلك لم يترك الصلاة فرضًا واحداً.

وذكر أنه يعرف الشهادتين وقد تلفظ بهما أمامنا بصعوبة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولم يعرف كيف يقرأ الفاتحة واسمه: علي وقال عندما رأى استنكارنا لحالته: سوف نتعلم.

وسألت أحد الأطفال الذي استنكر عندما قلت له: أأنت من أبناء المسلمين؟ وقالوا: أهل هذه المنطقة كلهم مسلمون فسألته عما إذا كان يعرف النطق بالشهادتين فعرف (لا إله إلا هو) ولم يعرف (محمد رسول الله).

ومن اللطيف أن أمرأة مسنة حضرت مع الحاضرين فأشاروا اليها باهتمام بأنها ليست مثلهم في هذا المجال مجال التلفظ بالعبارات والجمل الإسلامية



مسلمون تجمعوا عند سيارتنا في سهل إلبسان

وقالوا: إنها مدرسة فقالت بإعتزاز: إنني أعرف أن اقرأ الفاتحة وأنا أعلم الأطفال شهادة لا إله إلا الله وغيرها مما أستطيع معرفته.

وسارت سيارتنا التي وقفت بعد قليل وكأنما كانت وقفتها لنستفيد هذه الفوائد التي ذكرت بعضها وذكر السائق وهو موظف حكومي أنه لايوجد هنا مهندس ولامكان لإصلاح السيارات وأنه يجب عليه أن يهتف بالعاصمة (تيرانا) حتى يرسلوا إليه من يصلح السيارة لأنه لاتوجد إلا شركة واحدة متعهدة بإصلاح سيارات الحكومة.

قرية شارت :

استأنفنا السير في وادي إلبسان الخصيب وسط جو ندي وقد ضاق السهل قليلاً فصار الطريق يباري أقدام التلال.

ثم صار يباري نهر (سكومبيني) الذي تتدفق مياهه الصافية في هذا السهل الذي يضيق باستيعابه، لأنه ليس النهر الوحيد فيه، وإن لم يكن نهر (سكومبيني) هذا ضخمًا، فهكذا أنهار البانيا تكاد تكون كلها أنهاراً صغيرة.

مع أن هذا النهر يبدو في هذا المكان في ضعف نهر بردى الدمشقي من حيث الاتساع ومقدار المياه التي تتدفق فيه.

حتى وصلنا قرية (شات) وهي مسلمة تكاد تكون خالصة للمسلمين بمعنى أنه لايساكنهم فيها غيرهم من أهل الديانات الأخرى.

ولذلك كان فيها مسجد تزهو بوجوده على القرى المسلمة الأخرى الخالية من المساجد.

وكانت السيارات التي ترى في هذا الطريق هي سيارات النقل والحافلات وكلها حكومي أما السيارات الصغيرة فقليلة.

ثم اتسع الوادي قليلاً ولكن الطريق مازال يتلوى ملتجأ لأقدام التلال مبعداً عن مجرى النهر الذي اتسع وبدا أن مياهه لاتغطي إلا بعض مجراه.

ومررنا بمنجم للنحاس وبقطار يسير إليه.

والطريق جيد رغم ضيقه بالنسبة لما نعرفه من الطرق الإزفلتية في بلادنا.

هذه مدينة ليبراج :

وقفنا في قمة جبلية تنحدر إلى ليبراج من أجل أن نستجلي المنظر ونلتقط الصور فكان المنظر لها ولما يحيط بها جميلاً بل رائعًا إذْ تقع في مكان غير واسع بين مجموعة من الهضاب الجبلية الخضر التي تشرف على وديان مفعمة بالخضرة أينما نقل الناظر إليها بصره ابصر الجمال، وحتى الأطفال الذين وقفوا عند سياراتنا كالعادة كانوا يتحلون بنضارة ظاهرة ونظافة متميزة.



الطريق قبل الوصول إلى ليبراج

وصلنا (ليبراج) في الثانية وقصدنا فندقًا فيها أظنه الفندق الوحيد لتناول الغداء فيه الذي كان مرتبًا لنا منذ أمس.

ويقع على الميدان الرئيسي في المدينة الذي هو واسع تظلل الأشجار الباسقة حواشيه وهي أشجار كانت موجودة قبل أن يخطط هذا الميدان وتبنى عليه الأبنية.

ولم تكد السيارة تقف عند الفندق حتى تجمع حولها جيش من الفضوليين والمستطلعين للأمر لأن موقفها كان حافلاً بالناس قبل وصولنا لكونه الميدان الرئيسي في البلدة التي هي صغيرة حديثة النشأة.

وقلت في نفسي هنا ما قلته عندما وقفت السيارة المرافقة لنا في سهل إلبسان (زل الحمار وكان من شهوة المكاري) وهذا مثل قديم وليس لنا مثل السؤ ولكن المرء الفضولي بطبعه وصنعته مثلي يفرح بمثل هذه الأمور التي يطلع فيها على ما لايستطيع الإطلاع عليه بدونها إذْ أنى لنا بأن نجمع كل هؤلاء الإخوة المسلمين لو لم يجتمعوا بأنفسهم.

وكنا نقول للإخوة المرافقين من الألبانيين وغيرهم: إننا نحب أن تعلنوا لهم أننا إخوانهم قادمون من مكة المكرمة للسلام عليهم وتهنئتهم بالخلاص من الشيوعية واسترجاع الحرية الدينية لهم.

والهدف الأول من ذلك هو التعارف والمعرفة، والهدف الثاني هو الايشعر المسلمون هنا بأن النصارى سارع إخوانهم من ارباب ملتهم بالإتصال بهم ومساعدتهم في أمور دينهم على حين أن المسلمين لم يفعلوا ذلك مع إخوتهم المسلمين.

غداء الفندق :

قلت في موضوع هذا الأمر التافه: إن الإخوة كانوا قد اخبروا هذا الفندق امس بأننا سنصل اليه اليوم لأنه ينبغي أن يعد لنا غداء مناسبًا.

ومع ذلك أبطأوا علينا جداً بإحضار الطعام حتى لقد استغرق منا ذلك ساعة ونصفًا من الساعة الثانية حتى الثالثة والنصف، فكنا طيلة هذه المدة في غرفة خاصة في الفندق جيدة والطعام لذيذ ولكن فات من الوقت ما أضاع علينا بعض ما كنا جئنا إليه من طلب الفائدة.

كان الطعام منوعًا إذْ فيه نوعان من لحم الغنم المشوي والمطبوخ وصحن أسموه اللبن بالثوم والمراد به اللبن الرائب، و(المكرونة) والسلطة الخضراء والشوربة ولكن السلطة عندهم في العادة قليلة غير متنوعة، وربما كان بعضهم يعتبرها من نافلة الأكل.

ومع أن الحديث كان حديث طعام فإنه لم يخل من الحديث عن الإسلام بل إن الكلام في موضوع المسجد في هذه المدينة كان الكلام الرئيسي فقد وجدنا القائم على مطعم الفندق أحد الإخوة المسلمين المتحمسين لإنشاء المسجد إذْ

يقول كما يقول غيره إنه لايجوز لنا أن نتأخر لحظة واحدة عن إنشاء المسجد بعد أن هزم الله الشيوعيين الذين حرمونا منه طيلة أعمارنا.

دار الشيوعيين :

انتهينا من مطعم الفندق في الثالثة والنصف كما قلت فانتقلنا إلى تلة عالية تشرف على المدينة وتؤلف غابة واحدة ملتفة لاترى فيها بيوتًا حتى تصل إليها فتجد فيها بيوتًا متفرقة وذلك لكثرة الأشجار وارتفاعها والتفافها.

فاوقفنا السيارات إذ انضم إلينا رجل من الحكومة كانوا دعوه فسرنا على أقدامنا صاعدين إلى هذه التلة لرؤية مبنى هناك يسمونه (دار استقبال حزب العمل الألباني) وهو الحزب الشيوعي المعروف.

وهذه الدار من دور كثيرة في المدن والقرى الكبيرة في سائر أنحاء البانيا أقاموها هناك لتكون بمثابة دار الضيافة لكبار الشيوعيين من أعضاء الحزب الشيوعي حتى يجد فيها المسئولون الشيوعيون الذين يأتون إلى المدينة أو البلدة مقراً جيداً مناسبًا يسكنون فيه بالمجان مدة إقامتهم فيها.

وقد ألغت الحكومة الحاضرة هذا الامتياز لأعضاء الحزب وأمرت ببيع تلك الدور ومنها هذه الدار التي نذهب الآن لرؤيتها.

والهدف من رؤيتها هو النظر في شرائها وتغيير داخلها لتكون مسجداً في هذه المدينة، وتقع في مكان مهم من هذه التلة الخضراء بجانبها متحف البلدة.

أول ما استرعى انتباهنا مما حولها (خسف) وهو هبوط في الأرض بحيث صار كالبئر العميق قال لنا المرافقون من أهل البلدة: إنه ربما كان تحته نفق خسف سقفه فقلت لهم إن النفق لا يكون بمثل هذا العمق.

والغريب أن بعض الأشجار التي كانت في مكان الخسف قد خسف بها وظلت حية لاتكاد فروعها العالية تصل إلى مستوى الأرض بعدما كانت مرتفعة عنها مما يدل على أن الخسف أو ما يسمى بالانكسار أو الإنهيار الأرضي عميق إلا أنه غير واسع فهو بمثابة البئر الواسعة التي اندفن بعضها.

وصلنا إلى المكان المطلوب فحضر رجل مهم هنا من رجال الإدارة اسمه (دي لافيج كافا) سكرتير اللجنة التنفيذية للمجلس الشعبي في المدينة وهو المجلس



الجبال الخضر تطل على ليبراج

الذي كان ولايزال يسيطر عليه الشيوعيون ولكنهم غيروا سياستهم عندما رأوا أن التمسك بها سيكون سببًا للإطاحة بهم.

وهو الذي يمثل السلطة الرسمية التي تشرف على بيع هذا المبنى.

وجدنا داخله مؤثثًا بأثاث فاخر وتتصدر القاعة الرئيسية فيه صورة كبيرة لطاغية البانيا الهالك (انور خوجه).

وقال الرجل المسئول : هل موقعه مناسب للمسجد؟

فقلت : نعم، ولكن الشأن في ثمنه.

فقال: إنني لا استطيع أن أحدد ثمنه، ولكننا سنرى ذلك عند أرباب الخبرة فقلت له: إن ثمنه ينبغي أن يكون مناسبًا لكونه سيتخذ مرفقا عامًا وهو المسجد فهو ليس ملكًا شخصيًا تقتصر المنفعة منه على شخص بمفرده أو أفراد معدودين كما أن كونه مرفقًا عامًا يجعل الدولة ملزمة أدبيًا بتيسير الحصول عليه للمسلمين الذين يمثلون أكثرية الشعب في هذه المدينة بل في هذه المنطقة.

وقلت : إن المهم أن يقرر المهندسون أن إزالة هذه الحواجز التي تقسم غرفه سهلة بحيث لاتؤثر على المبنى لأن إزالتها ضرورية لايجاد مصلى واسع كافٍ

للمصلين.

فقال : وهذا أيضًا لا أدري عنه.

ثم ودعناه وغيره من المسئولين بعد التقاط صور تذكارية معهم.

ليبراج الجميلة :

غام الجو وطاب الهواء ورق النسيم الذي كان رقيقًا حنونًا في هذه المدينة الجميلة فاستمتعنا بذلك وجلنا جولة قصيرة فيما حولها.

وذكر الموظفون المسئولون أنها حديثة النشأة وأنها رغم خضرتها الشاملة وسهولة الزراعة فيها لخصوبة أرضها وكثرة أمطارها وصلاحية وديانها وتلالها لأشجار الفاكهة قد أنشئت لغرض التعدين إذْ هذه التلال الجبلية المحيطة بها غنية بالمعادن التي يمكن استخراجها تجاريًا من النحاس والكروم وغير ذلك.

وهي في منطقة مسلمة لذلك يؤلف المسلمون أغلب سكانها، بل يكادون يكونون كلهم مسلمين إلا من وفد عليهم من غير المسلمين من مناطق أخرى.

ولكن المؤسف أنه لايوجد فيها مسجد حتى الآن، إلا أن المساعي مبذولة الآن لبناء مسجد أو شراء مبنى جاهز لاتخاذه مسجداً كما تقدم.

والمدينة حديثة النشأة لم تصبح بلدة إلا منذ عام ١٩٦٩م وقبل ذلك كانت قرية بل كانت مجموعة من الأكواخ التي لاتصل إلى أن تكون قرية.

وقد نمت بسرعة حتى بلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة.

وهي مرشحة للنمو والإتساع للأمور التي ذكرتها ولذلك قلت مداعبًا للإخوة المرافقين الألبانيين وأنا أعلم أنهم لايملكون مالاً يشترون به أرضًا: إنني انصح من كان منكم لديه مال ولو قليلاً أن يشترى في هذه المدينة أو ضواحيها لأنه سوف يربح بها مالاً وفيراً وبخاصة إذا استمر ابتعاد البلاد عن الشيوعية وحل التملك الخاص محلها.

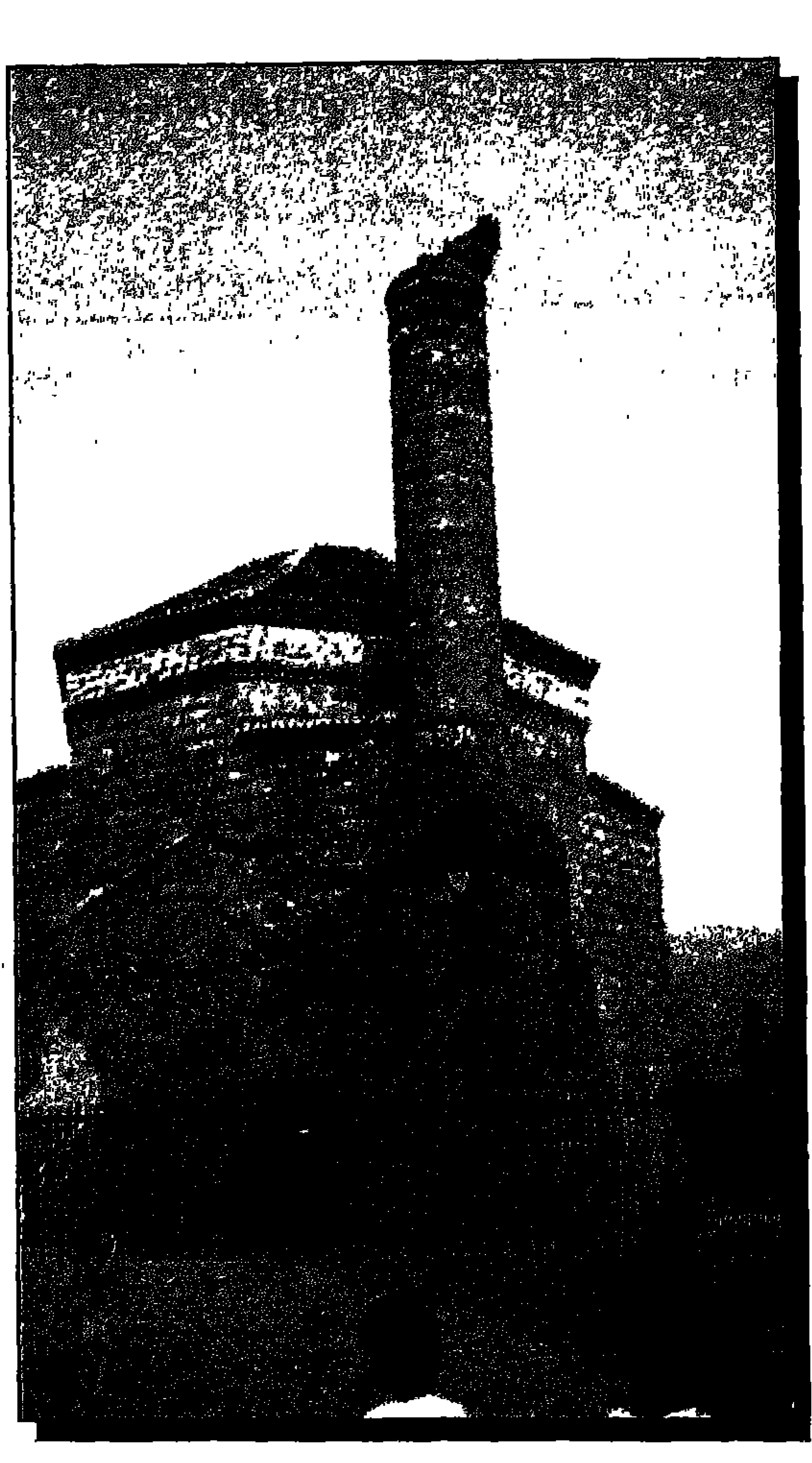
وليبراج إضافة إلى ماذكرته فإنها مقامة على ضفة نهر هو نهر (اسكومبيني) وتطل عليها الهضاب الخضر المجللة بأشجار الغابات التي تخفى في بطونها عدداً من المعادن الثمينة.

وللطف جوها وطيب هوائها يلاحظ المرء بسرعة نضارة في وجوه أهلها وبعداً عن قشف البرد أو الشمس الحارة.

ومن لطيف أسماء البنيات الصغيرات اللاتي وقفن عند سياراتنا كما وقف غيرهن من الرجال والصبيان بهية وسهيلة وفاطمة هكذا أجبن عندما سألتهن عن اسمائهن فهي أسماء عربية إسلامية.

العودة إلى إلبسان:

بدأنا العودة في الخامسة من ليبراج إلى (إلبسان) وذلك لكون الطريق إلى تيرانا يمر بإلبسان ولكوننا لابد من أن نرى مسجداً أثريًا مهمًا في إلبسان لم نره فقصدنا ذلك المسجد فوراً وهو:



جامع نزار تشيس في إلبسان

مسجد نازار تشيس :

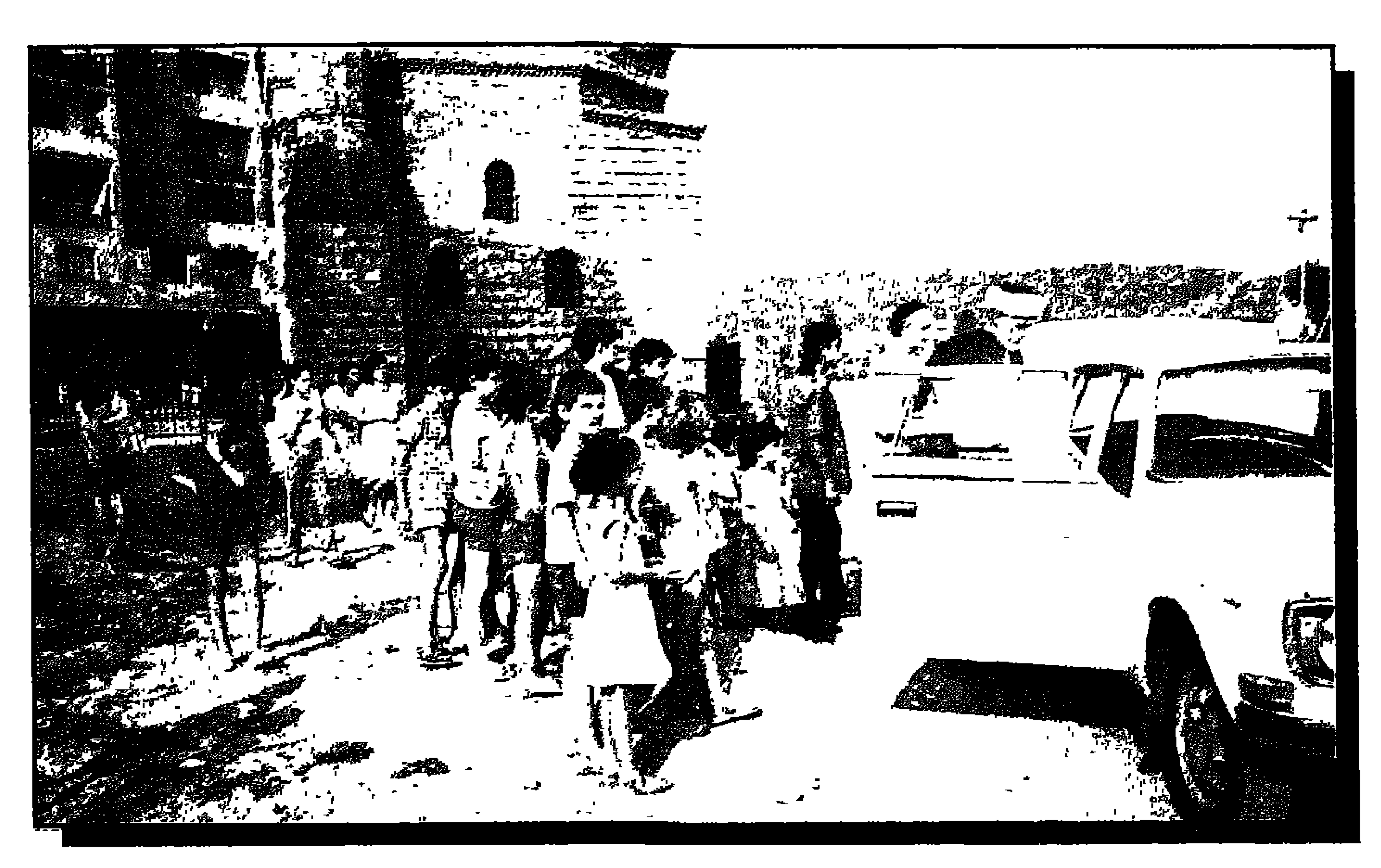
لم يهدمه الشيوعيون لأنه فيما زعموا - أثر من الآثار المهمة من الناحية التاريخية عندهم لقدمه، مع أنهم لم يبالوا ببعض المساجد التي تتصف بهذه الصفة، وإنما كسروا بعض منارته وشوهوا منظرها، ثم صادروا المسجد واستعملوه حتى كادوا يخربونه وعندما استعاده المسلمون كان خرابًا ومع ذلك لايزالون يصلون فيه الجمعة لعدم وجود مسجد في هذه المنطقة الجنوبية من المدينة إذ المسجدان اللذان رأيناهما في

المدينة من قبل بعيدان عن هذا المكان وقد بدأ الاهالي العمل في ترميمه ببطأ وقال بعضهم: إن الحكومة ترممه لأنه معلم ثقافي.

لم نكد نقف عند هذا المسجد حتى امتلأ المكان بالحاضرين من كبار وصغار وحتى النساء شاركن في الحضور ولكن على بعد قليل.

ولم أطق صبراً على السؤال عن الكيفية التي عرفوا فيها بوجودنا فأشاروا إلى أبنية سكنية متعددة الطوابق قريبة من المسجد وقالوا: هذه مساكن شعبية يرى من يكون فيها كل ما حوله لأنها ضيقة يتجمع سكانها عند شرفاتها في العادة وقد رأوكم وأنتم تقفون لأن مجيئ سيارتين صغيرتين فيهما قوم غرباء، أمر لافت للنظر، إضافة إلى الموجودين منهم في الشوارع أصلاً.

وجميع الذين رأيناهم هم نظيفو الأبدان والثياب إلا أن اللباس ليس في المستوى المطلوب من حيث جودته ووفرته وهذا أمر مفهوم السبب.



تجمعوا عند سيارتنا بجوار مسجد نزار تشيس في إلبسان

وقد قيدنا هذا المسجد ضمن المساجد التي سندفع معونة لترميمها لأهميته وقدمه.

وهو على طراز المساجد التركية المعتنى بها.

العودة إلى تيرانا:

عدنا إلى تيرانا مسرعين لأن لدينا عملاً نريد أن نقوم به قبل غروب الشمس إذا أمكن ذلك وهناك موعد مع بعض الإخوة من شباب المسلمين في الفندق بعد المغرب.

استرعى انتباهنا كثرة القرويين الموجودين عل الطرق ولكنه أقل مما كان عليه الحال أمس حيث كثافة السكان في المناطق الشمالية التي مررنا بها أمس أكثر من وجودهم في هذه المناطق الجنوبية الشرقية التي نراها الآن.

مسجد كوكو نوزه:

وصلنا إلى تيرانا مسرعين لأننا لم نقف في الطريق وقصدنا فوراً مسجداً فيها اسمه (مسجد كوكو نوزه) كان الشيوعيون قد صادروه وجعلوه مستودعًا للتبغ حتى قال أحد المرافقين جادا غير مازح: إنني لا أزال أشم في المسجد رائحة التبغ من كثرة ما خزن فيه، وهذا وهم بطبيعة الحال، لأنهم قد أخلوه من التبغ وسلموه للمسلمين في شهر رمضان الماضي أي منذ خمسة أشهر وفيه قبة جيدة على الطراز التركي الذي هو الطراز العربي المملوكي في الأصل أدخلت عليه بعض التعديلات الطفيفة.

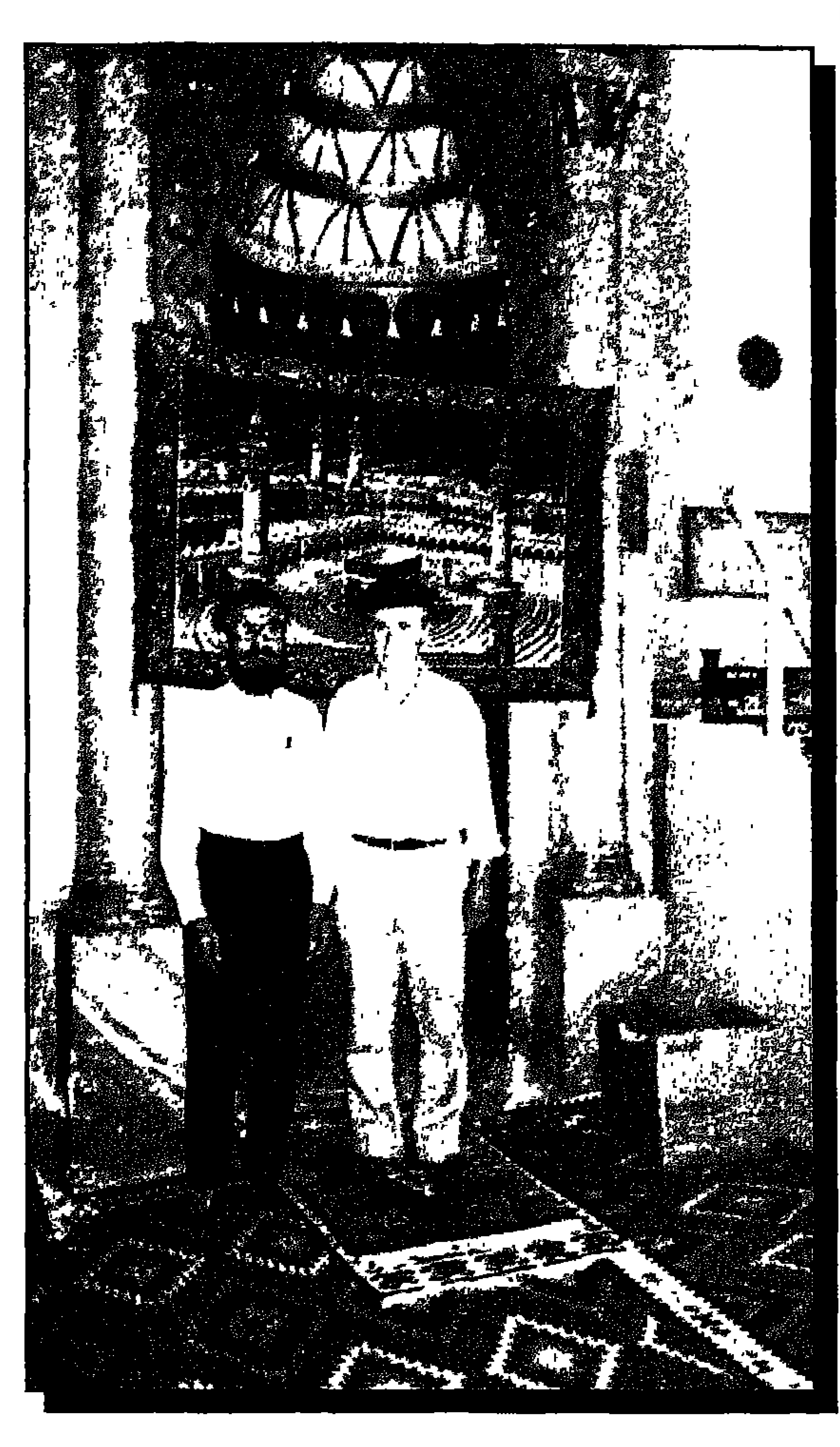
حاولنا أن نقرأ حجراً مكتوبًا عليه تاريخ تأسيسه باللغة التركية ذات الحروف العربية التي يصح أن تسمى باللغة العثمانية حتى تتميز بالاسم عن اللغة التركية الحاضرة ذات الحروف اللاتينية، ولكننا استطعنا أن نقرأ أرقام تاريخه في عام ١٢٦٩هـ.

وقد كسر الشيوعيون منارته وتظرف أحد الحاضرين مع أن المقام ليس مقام تظرف بقوله كسروا المنائر لأنها تشهد للسماء بالتوحيد، يريد أنها كالأصابع التي يرفعها من يشهد بالتوحيد.

وجدنا إمام المسجد الأخ شعيب صالح يقرأ القرآن فيه، وهو موظف في الدولة ذكر أنهم أخبروه أنه يمكنه أن يتفرغ للإمامة وأن يصرف له راتبه مع أنه قد بقيت له ثلاث سنوات قبل أن يصل إلى سن التقاعد قال: ولذلك لم يعطوني راتبي منذ شهرين.

ويقع المسجد في حي رقم (٢) ذكر الإمام أن عدد المصلين فيه يوم الجمعة يصل إلى ٣٠٠ مصلٍ وفي أوقات الصلاة اليومية يتراوح مابين ٣٠ إلى ٤٠ وهذا عدد لابأس به بالنسبة إلى مسلمي هذه البلاد الذي خرجوا من حرب ضروس استهدفت الإيمان في نفوسهم، واستهدفت تربية أولادهم تربية إلحادية بعيدة عن كل ما يذكرهم بالدين من الأفعال والأقوال.

أهدينا للمسجد ماكنا نهديه لغيره من تسجيلات القرآن الكريم مع جهاز التسجيل الذي لايوجد عندهم للبيع ولو وجد لما استطاعوا إلى شرائه سبيلاً بسبب ضيق ذات اليد عن ذلك.



المؤلف في محراب مسجد كوكونوزه
مع إمام المسجد الأخ شعيبي صالح

كما اهدينا للمسجد عدة مصاحف شريفة وسجادة للمحراب وللإمام تمراً من المدينة المنورة ولم يطق الإمام صبراً فأسرع يدير المسجل ليستمع إلى التلاوة الكريمة خاشعًا متعجبًا شاكراً هو ومن كان موجوداً معه من المسلمين هذه الهدية الثمينة.

جلسة المباحثات :

عقدنا جلسة مباحثات مهمة على ضوء ما شاهدناه في ألبانيا وحضر الاجتماع بعض الإخوة الالبانيين على رأسهم المفتي الحافظ صبري كوتشي كما حضرها الأخ الدكتور (رجب بويا) رئيس المشيخة

الإسلامية في جمهورية صربيا وكرواتيا وسلوفينيا والجبل الأسود من يوغسلافيا وهو من إقليم قوصوف (كسوفا) الألباني الملحق بجمهورية صربيا، وهو متخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وكان جاء من يوغسلافيا لمقابلتي لأنه يعتبر نفسه أحد ثلاميذي في الجامعة المذكورة. كما حضرها عدد من أئمة المساجد.

وقد تباحثنا أثناء ذلك بحثًا موسعًا في الشئون الإسلامية العامة وفي الحالة الحاضرة للإخوة المسلمين في هذه البلاد وما يمكن أن تسهم به الرابطة، بل ما يمكن أن تقوم به الرابطة في هذا الصدد.

كما دفعنا إلى المفتي بحضور الجميع المبالغ المالية العاجلة اللازمة لترميم بعض المساجد التي لم يتبرع أحد لإعادة ترميمها والمبالغ التي دفعنا مساعدة على فتح دار الإفتاء وتأسيسها في العاصمة (تيرانا) لأنها موجودة الآن في مدينة (اشكودرا)، بسبب عدم وجود مقر لها لا يقوى المفتي على الحصول عليه لامن ناحية المال ولامن ناحية النفوذ، لأنه أي المقر غير موجود أصلاً للبيع أو الإيجار، ولابد من الحصول عليه من أحد الأبنية التي تملكها الحكومة وهي قليلة ولكنها موجودة وبخاصة من المساكن التي كان كبار الشيوعيين يسكنون فيها في الماضي واخرجتهم الحكومة الحاضرة منها.

مائدة ألبانية :

كان الأخ عثمان أحمد كابلي ممثل هيئة الإغاثة الإسلامية في البانيا قد ألح عليَّ في أن يقيم مأدبة عشاء يضمن أن اللحم الذي يقدم فيها مذبوح ذبحًا إسلاميًا لأنه يشك في ذبح الذبائح التي تتولى الحكومة بيعها.

وذكر أن في مكان جبلي يبعد عن تيرانا ٢٨ كيلو متراً مطعمًا يديره أحد الإخوة المسلمين افتتحه منذ عهد قريب في بيته وأن الناس يخرجون إليه وكذلك أهل القرية التي يقع فيها واسمها (بريزا).

وكان المفروض ان نخرج إليه مبكرين حتى نراه في ضؤ النهار ونصلي المغرب هناك غير أن ازدحام البرنامج أخر وصولنا إليه إلى العاشرة ليلاً.

خرجنا في ظلام دامس من تيرانا وسألت المرافقين بهذه المناسبة وفي هذا

الوقت بالذات عندما مررنا ببعض المشاة الذين يسيرون في الظلام عن الوحوش أهي موجودة هنا؟ فقال المفتي إنها غير موجودة إنها ماتت من الجوع في عهد الشيوعيين.

وقال غيره : ربما هاجرت كما هاجر الألبانيون هربا من القهر والجوع.

وصلنا المطعم بعد الصعود في الجبل في طريق غير إزفلتي يلفه الظلام الشامل ولو كان مثل هذا الطريق في بلاد غير البلاد الشيوعية لرصفوه وأناروه فوجدنا المائدة قد أعدت عربية سخية لأن مضيفنا الأستاذ (عثمان كابلي) كان قد رتب أمرها مع صاحب المطعم حتى إنه ذبح خروفًا لهذه المناسبة.

والبيت الذي تناولنا فيه العشاء فيه أشجار من أشجار الفاكهة النضرة أكثرها محمل بالثمار ومن ذلك العنب الذي تتدلى عنا قيده، وبعضه حصرم ذكر أن هذا طلع ثانٍ لايصلح للأكل لأن الجو يبرد قبل أن يطيب.

وكان ممن حضر المأدبة الدكتور رجب بويا فذكرنا له مالاحظناه من كثرة الكروم وعرائش العنب في هذه البلاد مع عدم وجوده للبيع في الأسواق لأن الحكومة تعصره نبيذاً تبيعه في الخارج كما سبق فذكر لنا ما قدمناه عن الموظف الألباني الذي اقسم له أن هذه المرة الأولى التي يذوق فيها العنب في حياته.

قال الدكتور رجب بويا وقد صدقته رغم صعوبة ذلك لما أعرفه من ظروف حياته واستيلاء الدولة الشيوعية على خيرات البلاد، وحرمان أهلها من أكثرها.

وقد ذكرني الدكتور رجب بويا بالتحاقه بالجامعة الإسلامية في المدينة وذلك إبان كنت أعمل فيها وذكرني خاصة بما كنت أنسيته وهو أن المشيخة الإسلامية في يوغسلافيا ومقرها (سراييفو) لم تعترف بالشهادة التي أصدرتها الجامعة الإسلامية في المدينة أول الأمر وأنني قلت له عندما شكا إليَّ ذلك: إنهم سيعترفون بها، فسنتصل بهم ونعطيهم بعض المساعدات لمشروعاتهم الدينية وسوف يجعلهم ذلك يتصلون بنا، ويعترفون بشهادات الجامعة وأن ذلك قد وقع بالفعل.

ثم عدنا إلى فندق دايشيي تيرانا في الثانية عشرة.

يوم الأربعاء ١٣/١٢/١٤١٢هـ

مسجد أسير :

أزف الترحل من البانيا ولكن لابد قبل ذلك من المرور بمسجد أسير لم تفرج عنه الحكومة بعد، وهو إذا افرجت عنه محتاج إلى تعمير.

فقد بكرنا بالخروج إليه ويقع في شارع (كفايا) ووجدنا أول ما عمله الشيوعيون أن حطموا منارته حتى يبعدوا عنه مظهر المسجد ثم انشأوا سقفا في داخله لأنه مرتفع السقف فصار طابقين، وجعلوه مقراً للخطاطين الحكوميين الذين يخطون اللافتات الدعائية للحكومة والعناوين الكبيرة للصحف والمجلات وما تعلق بذلك ولم نجد فيه أحداً من المهتمين بالإسلام لأن كل الذين فيه موظفون للحكومة فيهم مسلمون ومسيحيون ومع ذلك سمحوا لنا بالتجول فيه، والتقاط الصور في داخله.



مدخل المسجد الذي اتخذوه مرسما في تيرانا

جولة في تيرانا :

ذهبنا إلى ساحة (اسكندر بيك) التي هي أهم ساحة في تيرانا فشاهدنا أفواج الشعب الماشي فيها مما ذكرني بما رأيته في الصين الشعبية من قلة السيارات وكثرة الدراجات حتى لاتكاد تجد فرداً من أفراد الشعب يملك سيارة خاصة وإنما عامة ما يملكه

الناس من وسائل الركوب هناك هي الدراجات فقلت للمرافقين هنا: لماذا لايركب الناس هنا الدراجات فهي رخيصة ولاتستهلك وقوداً ؟

فذكروا أنها لاتوجد للبيع لأن مصنع الدراجات الوحيد في البلاد كان معطلاً منذ ٣ سنوات ولاتستطيع الحكومة أن تستورد دراجات من الخارج لقلة النقود الصعبة لديها.

وأخبرونا بهذه المناسبة أن سرقة الدراجات شائعة جداً لشدة حاجة الناس إليها وعدم حصولهم عليها.

قالوا : ومن أشهر سرقات الدراجات التي كان لها صدى كبير في البلاد سرقة دراجة مدير المستشفى الحكومي التي مر ذكرها فقد سرقت دراجته فأعلن يرجو من سارقها أو سارقيها أن يعيدوها لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها الحضور إلى المستشفى لمعالجة المرضى، وذكروا أنه خصص مكافأة مالية لسارقها إذا أعادها إليه من باب الإنسانية والمرؤة التي تأبى أن يتعذب المرضى لعدم استطاعة طبيبهم الحصول على دراجته.

قالوا : فأثمر مسعاه، وعادت دراجته حيث تأثر سارقها بما ذكره الطبيب وإن كان أخذ مكافأة مالية على ذلك.

وقال بعضهم : لا يمكننا نعت سارق الدراجة بأنه لص، لأنه لم يقصد من ذلك بيعها والحصول على النقود من ذلك وأنما أراد أن يجد لنفسه وسيلة للركوب لم يستطع إليها سبيلا غير السرقة، وصورت عدداً من أبنية الوزارات وهي ذات لون أصفر مميز.

ثم تركنا (ساحة اسكندر بيك) وهو نصراني قاوم الأتراك كما سبق ذكر ذلك واتجهنا إلى منطقة حي جيد من أنحاء تيرانا فيها المجلس النيابي (البرلمان) ومتحف أنور خوجه وهو متحف أسرف القائمون عليه في تشييده واستوردوا كل مايلزم له من الخارج بالعملات الصعبة حتى قال لي أحد المرافقين إن نفقات إقامته وصلت إلى ٢٥ مليون دولار فحفظوا فيه مخلفاته من ثياب وكتب وأدوات.

ومع ذلك عندما دالت دولته وزالت شوكة أصحابه صارت الحكومة تفاوض

بعض الجهات الأجنبية في تأجيره لهم وربما يفوز الإيطاليون بذلك بعد أن تنفى عنه آثار الطاغية الهالك أنور خوجه.

طابور الخبز :

مررنا بمحل لبيع الخبز وجدنا عليه طائفة من الناس حسني المظهر نظيفي الثياب فأخبرونا أنه محل لبيع الخبز الذي تصنعه الحكومة وتبيعه على الشعب بثمن رخيص.

وقد ألفوا صفا أي طابوراً مجرد رؤيته تبعث على الملل فضلاً عما إذا تصور المرء أنه سيفرض عليه الوقوف فترة يضيع عليه فيها وقته وراحته من أجل الحصول على رغيف الخبز الرخيص.

وعلى الصحيفة الحكومية !

وفي مكان آخر رأينا صفا آخر أي طابوراً ممتداً أمام أحد المحلات فأخبرونا أن ذلك لشراء الصحيفة اليومية وأن من لم يحصل على نسخته منها بهذه الطريقة، فإنه ربما لايستطيع الحصول عليها لأن نسخها تنفذ قبل نهاية النهار وهي باللغة الألبانية.

وذكروا أنه لاتوجد صحيفة أخرى بأية لغة أخرى في البانيا سواء اكانت صادرة في البانيا أو مستوردة من غيرها.

الحي المُحرم :

وأرجو التأكيد على أن الحاء ليست تحتها نقطة بل هي الحاء المهملة.

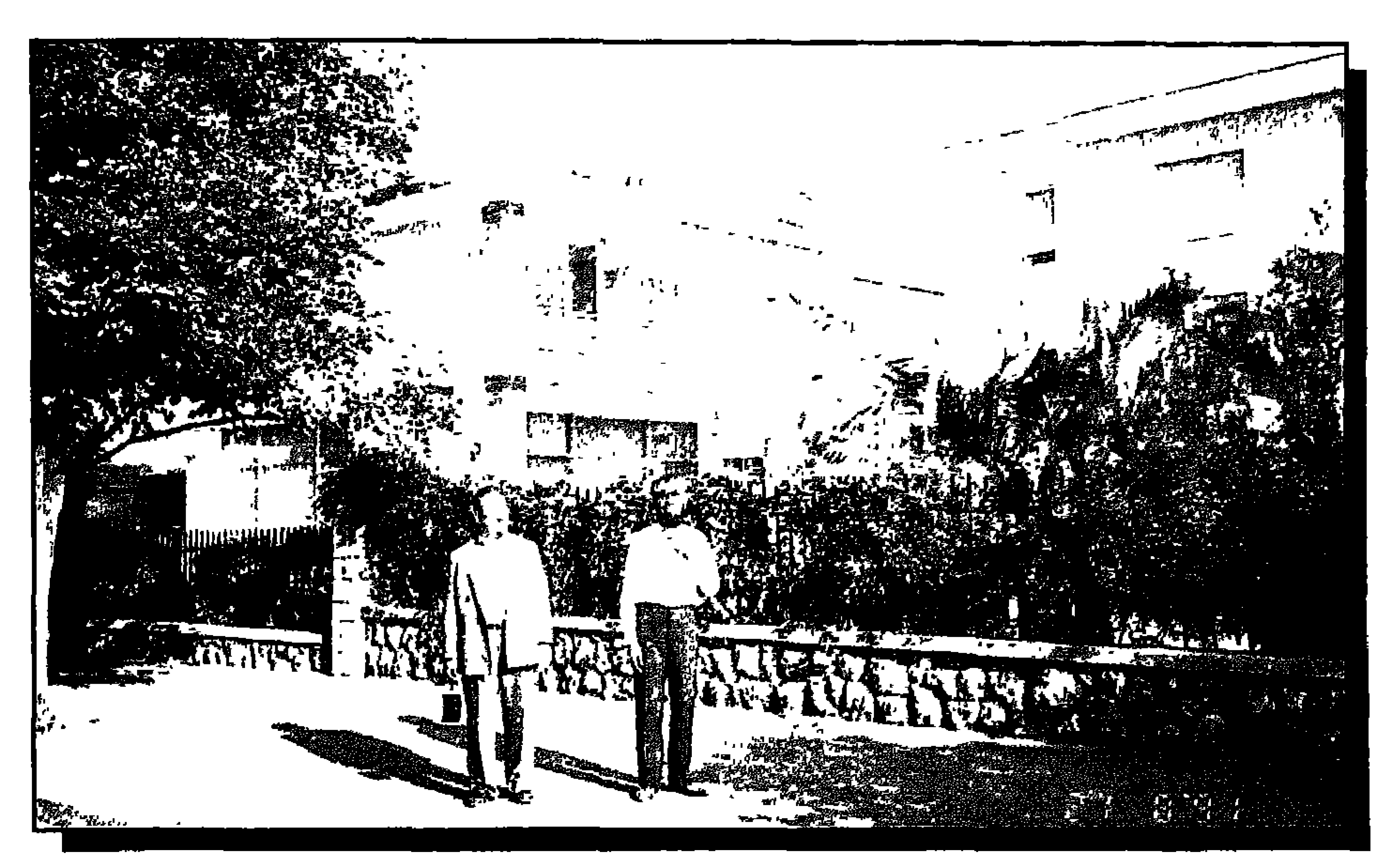
وهذا حي كان محرما على عامة الشعب أن يدخلوه، بل أن يقتربوا منه إسمه (حي بلك) ومن اقترب منه من عامة الناس أطلق الجنود عليه النار، وذلك لكونه كان مسكنًا للرئيس الشيوعي أنور خوجه وكبار اعوانه من المسئولين الشيوعيين.

ولم يفتح للناس إلا منذ ١٢ يومًا فقط، حدثني الأخ عثمان كابلي أن طبيبًا مشهوراً من أهل تيرانا ذكر أنه لم يدخل هذا الحي وأنه كان يتمنى دخوله منذ اربعين سنة، ولكنه لم يستطع ذلك وإنما مشى فيه لأول مرة منذ أيام.

وأنهم لم يكونوا يسمحون بدخوله إلا لأناس معروفين عددهم محدود

وصفاتهم معروفة وهم من المقربين من الشيوعيين المنتفعين من بقاء الحكم الشيوعي قال سائق السيارة الذي معنا: الذي يمشى قرب هذا الشارع يضعون في يديه القيود ويسجنونه والذي يدخله دون أذن يطلقون عليه رصاص الرشاشات.

رأيت المنازل فيه كالقصور وهي دارات (فيلات) غارقة في الجنات، والأرصفة فيه فاخرة والأشجار نضرة وتنتشر فيه الحدائق البهيجة.



في منطقة سكن كبار الشيوعيين في السابق في تيرانا
مع الأستاذ/ رحمة الله بن عناية الله

وإخبرونا أن السلطات أعلنت قبل فتحه منذ اثني عشر يومًا أنه سيفتح بعد العصر فأمتلأت المنطقة بأهل تيرانا الذي جاؤا لمشاهدة شارع في مدينتهم يشاهدونه لأول مرة وفيهم كهول وكبار السن.

وهذا شاهد من الشواهد الكثيرة التي تدل على أن عتاة الشيوعيين من رئيس الدولة وأعوانه كانوا يتمتعون بمثل ما كان يتمتع به الملوك، ولكن كان طغيانهم أعظم من طغيان الطغاة من الملوك والحكام السالفين.

تجولنا في عدة شوارع من هذا الحي الفاخر، ووجدنا عند بعض (الفيلات)

الفاخرة فيه حراسا يحرسون أثاثها الفاخر ولكنهم لايتعرضون لمن يدخلون شوارعه.

ورأينا بعده حانوتا كتب عليه (فروتا) أي فاكهة ولكن صاحبه قال: إنه لاتوجد لديه فاكهة وينبغي أن يفهم أن هذا محل حكومي، وأن عدم وجود الفاكهة فيه ليس معناه عدم وجودها في البلد وإنما معنى ذلك أن الحكومة لاتستطيع توفيرها للشعب بالأسعار الرخيصة التي حددتها لهامع العلم بأن أنواعًا من الفاكهة لاتوجد أصلاً في الأسواق حتى غير الحكومية مع أنه لاتوجد حوانيت غير حكومية وإنما يوجد فلاحون يبيعون بعض إنتاجهم إذا استطاعوا الوصول إلى المدينة.

مغادرة ألبانيا :

تركنا فندق (دايشي) بعد أن دفعنا له أجرته ٩٢ دولاراً أمريكية لليلة الواحدة لايبغي بها بدلاً من عملتهم المحلية إلا ما كان من العملات العالمية الأخرى كالمارك الألماني والفرنك السويسري والجنيه الإسترليني فإنه يقومها بالدولار ثم يقبلها.

وخرجنا من الفندق في التاسعة والنصف فمررنا بطائفة كبيرة من الناس قد تجمعوا فوق رصيف من الأرصفة أخبرنا الإخوة أنهم واقفون أمام سفارة استراليا يريدون الحصول على سمات الدخول إليها، وهي لا تعطي السمات إلا لمن لهم أقارب هناك.

وفي استراليا جالية ألبانية كثيرة العدد ذكرت بعض مساجدها في كتاب: (وراء العمل الإسلامي في القارة الأسترالية).

قالوا : وهذه طريقة استمرت عليها استراليا وهي منح سمات الدخول لمن لهم أقارب فيها.

قالوا : وأما اليونان فإن المرء يشاهد زحامًا أمام سفارتها للحصول على سمة الدخول ولكنها لا تعطيها إلا لبعض المسيحيين.

وهذه عادة معروفة في اليونان أن يتعصبوا ضد المسلمين بحجة أنهم كانوا قد عانوا من الإحتلال التركي لبلادهم ردحًا من الزمن، وليست هذه بالحجة

المقبولة - بالطبع - لأن زمن الاحتلال قد ولى وبقيت العلاقات الحسنة التي تتم بالإتفاق بين الحكومات والشعوب التي تحكمها العلاقات المفيدة.

وتبلغ المسافة من الفندق إلى المطار ٢٧ كيلو متراً.

فتح لنا القوم غرفة كبار الزوار التي كانوا ينتظروننا فيها عند القدوم ولم ندخلها لأنهم لم يعرفوا بقدومنا إلا بعد أن تمت اجراءات الوصول.

وهذه الغرفة مكيفة الهواء وملحق بها حمام نظيف وقدموا لنا فيها القهوة ولم يكن فيها أحد غيرنا ولم يدخلها أحد حتى غادرناها، وذلك لقلة اتصالاتهم بالخارج وقلة رحلات الطيران إلى بلادهم.

وكان معنا فيه مرافقونا الكرام على رأسهم المفتي والدكتور رجب بويا والدكتور شوكت اندروجي وعثمان كابلي وكانت جلسة مفيدة أيضًا.

وقد نادى الموظفون علينا قبل الركاب، ورأينا الركاب العابرين قد اوقفوهم في ساحة المطار المكشوفة الخالية من الكراسي فجلس بعضهم على الأرض وذلك أنه لاتوجد لديهم قاعة للعابرين فيها أية مقاعد.

فصعدنا للطائرة الرومانية المصنوعة في الإتحاد السوفيتي وهي نفاثة من طراز توبوليف ١٥٤ ولم يعطونا بطاقات صعود الطائرة.

وكانت الطائرة مليئة جداً حتى فهمنا أن بعض الركاب لم يجدوا مقاعد فيها.

ومع أن تذاكرنا مقطوعة على الدرجة الأولى فإن الطائرة ليس فيها إلا درجة سياحية ولم يختموا تذاكرنا بما يفيد ذلك.

وأكثر الركاب فيها هم من الرومانيين الذين تسمعهم يتحدثون بلغة لاتينية الأصل فتكاد تجزم بأنهم من أهل أمريكا الجنوبية إذا كنت مثلي قد تجولت في تلك القارة حتى تنظر اليهم فتعرف أنهم ليسوا لذلك لأنهم كلهم من الأوروبيين البيض.

ومع ذلك كان في الطائرة عدد من العرب منهم أسرة أظن أنها من العراقيين فكان الحديث بالعربية مسموعًا في هذه الطائرة.

ولذلك كان اعلان الطائرة باربع لغات هي الرومانية والفرنسية والإيطالية

والإنكليزية وهي آخر اللغات في الإعلان لأن هذه المنطقة ليست منطقة نفوذ ثقافي للغة الإنكليزية وإنما أعلنوا بها لأنها لغة عالمية يفهمها من لايفهمون اللغات السائدة في المنطقة مثلنا.

قامت في الساعة الحادية عشرة متأخرة ساعة وعشر دقائق عن موعدها المحدد في الأصل.

وأعلنوا أن الطيران إلى روما سوف يستغرق ساعة وعشر دقائق.

وسمعنا المضيفة تقول لأحد المسؤلين عن الشركة: إن هناك أربعة من الركاب لاطعام لهم بسبب كثرة الركاب، والعجيب أنهم اخبروا اثنين من الموجودين في الصف الأول أنهم سيكونون ذينك الإثنين وكذلك فعلوا باثنين في آخر صف من الطائرة.

وقامت تتهادى بحملها الثقيل وفارقت سماء ألبانيا المنكوبة بالشيوعيين بسرعة لأنها دخلت في أجواء البحر الادرياتيكي.

ثم بدأوا بتقديم الضيافة التي دخلها لحم الخنزير فاقتصرنا على أكل الخبز مع الزبد على صغر الخبزة التي قدموها.

ووصلنا روما فأمضينا فيها بقية هذا اليوم واليوم الذي بعده في الاتصال بالسفارة السعودية وبحث شئون تتعلق بالمركز الإسلامي الجديد الذي قامت المملكة العربية السعودية بالإنفاق عليه في آخر الأمر وطلب مجلس الإدارة فيه المكون من سفراء الدول الإسلامية أن تتولى رابطة العالم الإسلامي إدارته والإنفاق عليه فكتبت السفارة السعودية في روما لنا بذلك.

وبحثت مع السفير السعودي في روما كيفية إنفاذ ذلك ثم زرنا المركز نفسه وتفقدنا شئونه، واطلعنا على حاجته من النفقة، ثم غادرنا روما إلى جدة.

خاتمة تتضمن ملخص عملنا في ألبانيا والاقتراحات التي يتطلبها العمل الإسلامي هناك في هذه المرحلة :

أولاً : ملخص ماتم في الزيارة :

يوم السبت ١٤١٢/٢/٧هـ الموافق ١٩٩١/٨/١٧م

وصل وفد الرابطة عبر روما إلى مطار تيرانا في البانيا عصر يوم السبت ١٤١٢/٢/٧هـ، واستقل الوفد مع المستقبلين السيارات الخاصة بهم إلى فندق دايشي، وبعد الاستراحة في الفندق تمت مناقشة برنامج الزيارة وقد افاد الاخوة المستقبلون بأن الحافظ صبري ادريس كوتشى مفتي مسلمي البانيا ورئيس الجمعية الإسلامية الالبانية لم يتمكن من الوصول من فيينا بالنمسا اليوم حيث يحضر هناك دورة تدريبية لمجموعة من أئمة المسلمين في دول أوروبا الشرقية.

يوم الاحد ١٤١٢/٢/٨هـ الموافق ١٩٩١/٨/١٨م :

في الصباح وصل الشيخ صبري ادريس كوتشى مفتي مسلمي البانيا إلى فندق دايشي مرحبًا بوفد الرابطة وكان قد عاد من النمسا ليلاً وآثر أن يكون بمعية ضيوفه من الصباح الباكر وبصحبته قام وفد الرابطة بزيارة مسجد أدهم بيك في تيرانا وهو المسجد الوحيد الذي بقي محافظًا على بنائه ولم يتعرض الشيوعيون إلى مئذنته كغيره من المساجد التي كسرت منائرها.

ويقع مسجد أدهم بيك على ناصية شارع رئيسي أمام قصر الثقافة في ميدان اسكندر بيك ويقول الإمام حافظ حسين بأن المسجد فتح أبوابه للمصلين منذ صلاة عيد الفطر المبارك عام ١٤١١هـ ويستقبل المصلين في الصلوات الخمس.

ثم توجه وفد الرابطة مع الشيخ صبري ادريس كوتشي وبقية المرافقين إلى بلدة دورس Durres وتقع على ساحل البحر الادرياتيكي وزار فيها مايلي :

١ - مسجد الفاتح.. ويقول السيد أرسلان يعقوب مؤذن المسجد بان السلطات الشيوعية سبق أن صادرت المسجد وحولته إلى مستودع بعد أن كسرت منارته ثم اعيد إلى المسلمين من سبعة أشهر، وقامت الدولة بترميمه لكونه اثراً تاريخيًا قديمًا. وكذلك استعاد المسلمون سجاد المسجد من

أعضاء الحزب الشيوعي الذين كانوا اخذوه لاستعمالهم الخاص.

وفي المسجد غرفة صغيرة بها بعض الكراسي والطاولات اعدت فصولاً دراسية لتعليم القراءة وأحكام الإسلام لأطفال المسلمين ووعد وفد الرابطة بالمساعدة على تأمين لوازمها المكتبية.

٢ - المسجد الجديد.. وهو ليس مسجداً في الوقت الحاضر إنما كان مسجداً ثم حوله الشيوعيون بعد ازالة منارته واضافة بعض المباني الخارجية إلى مسرح يسمى المسرح الشعبي وقد استعاده المسلمون ولكن لازال مغلقًا ويحتاج إلى اجراء اصلاحات لاعادته إلى حالته الاصلية.

ويقال له جديد لأنه بنى في عهد الملك زوغو الأول ملك البانيا في عام ١٩٢٤م ويقع في مكان متميز على ميدان ليريا (الحرية) قريبًا من الساحل الادرياتيكي في وسط دورس.

كفايا Kavaje :

يلدة تقع جنوب دورس سكانها يؤلفون اغلبية مسلمة إذ هم ٨٠٪ والمسيحيون ٢٠٪ من جملة السكان البالغ عددهم ٢٥ألف نسمة تقريبًا. ومع ذلك لايجد المسلمون لهم مسجداً إذ أن السلطات الشيوعية أزالت المساجد ومنها مسجد القبة في ميدان الساعة. وقد وقف وفد الرابطة على ارض المسجد التي هي في الوقت الحاضر حديقة عامة ويقال إن بلدية بلدة كفايا ستعيد هذه الأرض إلى المسلمين لاعادة بناء المسجد عليها.

ثم قام وفد الرابطة بزيارة للمصلى المؤقت الذي يجتمع فيه المسلمون لاداء صلواتهم جماعة وهو منزل نموذجي لمساكن المسلمين ابناء هذه البلدة في القديم ويسمى بيت المتحف وكان بعض المسنين يؤدون الصلاة على منصة مرتفعة فيه ويقول الحاج جعفر بن أحمد وهو الإمام بان عدد المصلين يتراوح مابين ٢٠ - ٣٠ شخصًا وجلهم من المسنين ولكن يزيد عددهم في صلاة الجمعة.

وقد التقى وفد الرابطة في هذه البلدة بالاستاذ حسن شكيرلي رئيس جمعية الشبان المسلمين ونائبه الاستاذ نصرت ككازا وكذلك الاستاذ إبراهيم سوكايا رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة كفايا وكلهم يؤكدون رجاءهم في الإسراع في

بناء المسجد.

وفي المساء عاد وفد الرابطة إلى تيرانا مارا بقرية برسكا Priska التي تقطنها اغلبية مسلمة ولكن لايوجد مسجد لهم بعد أن هدم الشيوعيون مسجدهم الذي كان بجوار المقبرة.

ثم زار وفد الرابطة مصلى العيد القديم في مدينة تيرانا الذي تحول إلى حديقة عامة ويقول الأستاذ سليم ستافا بأنه حضر آخر صلاة عيد أقيمت في هذا المكان عام ١٩٤٤م والمكان الآن في موقع مهم في العاصمة الالبانية وتتطلع آمال المسلمين إلى بناء مركز اسلامي عليه.

يوم الاثنين ١٤١٢/٢/٩هـ الموافق ١٩٩١/٨/١٩م :

توجه وفد الرابطة نحو مدينة اشكودره لاستكمال استطلاعه لاحوال المسلمين ومشاريعهم وقد زار مايلي :

١ - جامع بوشات Xhamia Pushat مسجد قروي يقع على الشارع العام المؤدي إلى مدينة اشكودره.. وكان مقراً لجمعية تعاونية زراعية وقد استعاده المسلمون مؤخراً ويحتاج إلى بناء منارة وفرشه بالسجاد.

٢ - مسجد الرصاص Xhamia Lijdi يقع في ضاحية مدينة اشكودره حيث تجتمع انهار ثلاثة بوما - كيرى - دريني.

فقد بنى محمد باشا هذا المسجد عام ١١٨٧هجرية ثم جدد بناءه السيد حلبي محمود عام ١٢٨٠هـ وحوله الشيوعيون إلى مستودع ثم اعيد إلى المسلمين في شهر نوفمبر ١٩٩٠م وتتولى الدولة العناية به لكونه من المعالم الاثرية التاريخية.. والمسجد مبنى بالحجر والآجر وله قبة كبيرة وهو مطلي بالرصاص من خارجه وهذا سبب تسميته بالرصاص .

ويحتاج المسجد إلى اصلاح داخلي وبناء المئذنة وايجاد أماكن الوضوء والحمام ثم فرشه بالسجاد ولكن الشيخ صبري كوتشى مفتي مسلمي البانيا قال: إن الدولة تتولى اصلاحه من المساعدات التي حصلت عليها الجمعية لاصلاح المساجد.

٣ - قلعة روزافا.. وهي قلعة قديمة تقع على قمة جبل روزافا وفيها آثار

مسجد قديم والقلعة غير مسكونة ولايوجد بها مايشير إلى الاهتمام بهذا الاثر التاريخي مثلما تفعل دول العالم بآثارها التاريخية.

٤ - مكتب دار الافتاء يقع في شارع بولفار Bulvar ويقول مفتي اشكودره الشيخ فائق كاظم خوجه إن مجلس بلدية اشكودره منحه هذا المبنى وكانت السلطات الشيوعية قد صادرته من أحد تجار اشكودره وأن ابن ذلك التاجر قد تنازل عن حقه في الأجرة، وتوجد بعض الكتب القديمة التي أعادتها الدولة لهم مؤخراً متكدسة في غرفتين وفي غرف أخرى بعض المقاعد يقال إنها تعد لفتح فصول دراسية لابناء المسلمين.

وتحدث اليهم وفد الرابطة عن أهمية العناية بهذه الكتب الإسلامية التي تعتبر تراثًا إسلاميًا وطنيًا قيمًا وتبرع لهم بمبلغ من المال لشراء خزائن تحفظ فيها الكتب بعناية.

٥ - حضر وفد الرابطة مأدبة الغداء التي اقيمت على شرفه في فندق اشكودره وحضرها المرافقون وكذلك الشيخ وهبي سليمان الغاوجي وشقيقه الاستاذ شوكت الغاوجي اللذان يقومان بزيارة خاصة إلى بلدهما بعد انقطاع زاد عن خمسين عامًا.وقام وفد الرابطة بزيارة خاصة لمنزل الشيخ صبري ادريس كوتشى مفتي مسلمي البانيا بناءًا على إلحاحه ثم قام بزيارة للمكان الذي خصص لبناء مسجد في مدينة اشكودره.

٦ - بلدة كرويا Kruja بلدة جبلية تقع على سفح جبل عال، وتشكل شرفة تطل على سهل البانيا تعتبر منتجعًا صيفيًا رائعًا وأكثر سكانها مسلمون ولكن يكثر بينهم اتباع الطائفة البكتاشية.

وفي هذه البلدة مسجدان أحدهما يقع على طرف البلدة عند متحف اسكندر الأول بجانب قلعة صغيرة حولت إلى متحف حديث وامامه بقايا مسجد.. والمسجد الثاني يقع في وسط البلدة وهو مبني بالحجر مثله مثل غيره من مساجد البانيا وقد كسرت منارته وقد أفاد المفتي الشيخ صبري كوتشى بأن الدولة تتولى العناية بهذا المسجد وترميمه لكونه من المعالم التاريخية.

يوم الثلاثاء ١٠/٢/١٤١٢هـ الموافق ٢٠/٨/١٩٩١م :

في هذا اليوم توجه وفد الرابطة نحو مدينة البسان Elbasan وتقع على بعد ٨٠ كيلاً جنوب تيرانا وزار المواقع التالية :

١ - ساوق قرية بها مسجد حوله الشيوعيون إلى مكتب لإدارة المزرعة الحكومية إذ أن هذه القرية تشتهر بزراعة التبغ ويعمل المسلمون لاستعادته حاليًا.

٢ - مسجد مرسي يعني مسجد الملك يقع في مدينة البسان وهو مسجد اثري بنى في عهد السلطان محمد الفاتح في القرن الخامس عشر الميلادي ومع ذلك فقد صادره الشيوعيون وحولوه إلى مستودع بعد كسر منارته واعيد للمسلمين منذ أربعة أشهر.. والمسجد فسيح ولكن يحتاج إلى بعض الاصلاحات وإعادة بناء المنارة.. ويفيد المفتي الشيخ صبري كوتشي بأن الدولة تتولى ترميمه واصلاحه ضمن مشروع الاستفادة من المساعدات المالية التي منحت للمسلمين لإصلاح بعض المساجد.

٣ - مسجد باشا يقع على شارع رئيسي في وسط مدينة البسان وهو مغلق لم يتمكن وفد الرابطة من دخوله إذ أن الإمام محمد بيجاكو المسئول عنه غير موجود.. ومع أن المسجد أعيد للمسلمين منذ بضعة أشهر فإن الجمعية الإسلامية لم تتمكن من اصلاحه وترميمه وهي جادة في ذلك وقد تبرع وفد الربطة للإسهام في اصلاحه بمبلغ مناسب.

٤ - استراحة قصيرة في منزل الإمام محسن سليمان دوكا توجه وفد الرابطة إلى بلدة ليبراج Librazh التي تقع بالقرب من حدود يوغسلافيا حيث زار فيها فيلا بجوار متحف ليبراج.. تقع الفيلا على مرتفع من الأرض وهي ملك الدولة حاليًا وكان ينزل فيها أعضاء الحزب الشيوعي وترغب الجمعية الإسلامية الالبانية شراءها ثم تحويلها إلى مسجد ومركز إسلامي.. ولكن لازال الموضوع في أوله إذ لايعرف سعرها ولم يبت في أمره.

مسجد نزارتشس Nazareshes في ضاحية بالقرب من تيرانا ويقع على الطريق العام وبجواره مساكن أهلية.. مسجد مغلق إذ أن الإمام على كابا

المسئول عنه يسكن بعيداً ، بعض سكان العمارة المقابلة له مسلمون ولكن لايعرفون عن الإسلام شيئًا ، المسجد نظيف من داخله مفروش ببعض الحصير وكغيره من مساجد البانيا منارته مكسورة وبالاستفسار عن حاجته للمساعدة على ترميمه أفاد المفتي الشيخ صبري كوتشى بأن المسجد أثر تاريخي تتولى الدولة العناية به.

مسجد كوكتوز يقع بجوار سوق الخضار الشعبي في وسط مدينة تيرانا.. كان الشيوعيون قد حولوه إلى مستودع للتبغ ولكنه اعيد منذ شهر رمضان عام ١٤١١هـ وتقام فيه الصلوات الخمس ويقول إمامه الشيخ الحافظ شعيب صالح بأن المسجد يكتظ بالمصلين في صلاة الجمعة، ويقوم الإمام المذكور بتعليم ابناء المسلمين قراءة القرآن الكريم وأحكام الإسلام وقد شاهد وفد الرابطة بعض الشبان المسلمين فيه وحثهم على الاهتمام بالتعليم الإسلامي، والمسجد يحتاج إلى اصلاح الحمام وتجهيز أماكن الوضوء وقد تبرع له وفد الرابطة للمساهمة على اصلاحه بمبلغ مالي مناسب.

عقد وفد الرابطة اجتماعًا ضم الإخوة :

- الشيخ صبري ادريس كوتشى مفتي مسلمي البانيا ورئيس الجمعية الإسلامية الالبانية.
- البروفسور شوكت ندورجي رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة تيرانا.
- الاستاذ سليم ستافا عضو الجمعية الإسلامية لمدينة تيرانا.
- الاستاذ عثمان أحمد كابلي مندوب هيئة الاغاثة الإسلامية العالمية في البانيا.
- الدكتور رجب بويا رئيس المشيخة الإسلامية في اقليم كوسوفا في يوغسلافيا.

وقد تحدث اليهم وفد الرابطة عن أهمية العمل الإسلامي الذي يقع على المسئولين المسلمين الالبان لانقاذ المسلمين من الضياع الروحي الذي يعيشون فيه حتى يستعيد المسلمون دورهم المجيد واشار في هذا الصدد

لاهمية التعليم الاسلامي وابدى استعداد الرابطة لمساعدتهم بما يلي :

* تأمين خمسين منحة دراسية لابناء المسلمين الالبان لدراسة العلوم الإسلامية في المدرسة الإسلامية في بريشتنا في إقليم كوسوفا بيوغسلافيا.
* تزويدهم بمدرسين ودعاة من ابناء المسلمين الالبان من إقليم كوسوفا بيوغسلافيا الحاصلين على الشهادات الجامعية والمؤهلين علميا لمساعدتهم في التعليم الإسلامي في المدارس والمساجد.
* فتح مدارس ومعاهد إسلامية تكون في المرحلة الأولى معهداً إسلاميًا في تيرانا ومدرسة إسلامية في اشكودرا لاعداد الطلاب المسلمين وتأهليهم للالتحاق في الجامعات الإسلامية واعداد مدرسين محليين وتزويدها بالكتب والاجهزة والمدرسين.

ثم تحدثت معهم بخصوص رواتب الأئمة الذين يقدر عددهم بحوالي ١٥٠ إمامًا ولكنهم لايتقاضون راتبا من الدولة حتى الآن حيث قدمت لهم باسم الرابطة مساعدة قدرها ثمانية عشر ألف دولار تعطي مكافأة شهرية بواقع عشرة دولارات في الشهر للامام الواحد.. وأبديت استعداد الرابطة في استمرار هذه المساعدة إذا لم يتم صرف رواتب للائمة خلال السنة وقد تم تقديم طلب رسمي بذلك من الأخوة الألبانيين إلى الرابطة.

كما أكدت باسم الرابطة استعدادها للمساعدة في ترميم واصلاح المساجد إذا تم وضع مشروع مدروس مخطط لكل مسجد يحدد نوعيات الاصلاح وتقديراته الفعلية بالارقام موثقا بالوثائق الرسمية.. وقدمت لهم مساعدة عاجلة من الرابطة لما يلي :

* مسجد باشا في مدينة البسان.
* مسجد كوكونوزه في تيرانا.
* المدرسة القرآنية في مسجد الفاتح بدورس.
* تأمين خزائن للكتب الإسلامية في اشكودره.

يوم الأربعاء ١٤١٢/٢/١١هـ الموافق ١٩٩١/٨/٢١م :

في هذا اليوم الاخير من الرحلة قام وفد الرابطة بزيارة المواقع التالية :

١ - مسجد دينا خوجه ويقع في شارع كفايا الرئيسي في تيرانا ويستخدم حاليًا مشغلاً لاعداد اللوحات الاعلانية والزخارف الحائطية وبجواره مستودع ويعتبر هذا هو المسجد الثالث في العاصمة تيرانا ويقال بأن الاجراءات تتخذ الآن لإخلائه واعادته للمسلمين والمسجد كما هو الحال -في غيره- منارته مقطوعة ويحتاج إلى اصلاح وترميم لاعادته إلى اصله.

٢ - الحي رقم (٩) هو الحي الذي يسكنه أنور خوجه وزمرته المقربون ويتكون من قصور وفلل فخمة، ورغم كون الحي تتخلله طرقات مسفلتة لم يكن مسموحًا لأي شخص بدخوله إلا بإذن من رئيس البانيا وقد صادرت الدولة جميع القصور والفلل فيه واخلته من السكان. وحاليًا أصبح الاهالي يدخلون الحي ويشاهدون كيف كان زعماؤهم الشيوعيون يعيشون في ترف على بعد أمتار منهم وهم يتضورون جوعًا.

٣ - شاهد الفيلا التي خصصتها الدولة لمقر مكتب هيئة الاغاثة الإسلامية العالمية بجوار نفس الحي وتتكون من دورين ولكن الأستاذ عثمان أحمد كابلي ينتظر إنهاء الاجراءات الإدارية حتى يتسلمها بوثيقة رسمية وكذلك شاهد موقع أرض كبيرة خلف مركز أنور خوجه الثقافي وقد اعطيت لهيئة الاغاثة الاسلامية العالمية لاقامة مشروع اسلامي استثماري عليها.

وفي الساعة العاشرة صباحًا غادر وفد الرابطة على رحلة الخطوط الرومانية مطار تيرانا متوجهًا إلى روما منهيًا بذلك زيارته لمسلمي البانيا.

متطلبات العمل الإسلامي في البانيا :

العزلة السياسية التي أفرط في فرضها أنور خوجه على البانيا بهدف صيانة استقلالها وحمايتها من الاعداء على حد زعمه ومقولته الشهيرة: إن الالبانيين سيأكلون العشب إذا دعت الحاجة، ولكن البانيا لن تركع أمام الرأسمالية، انتهت إلى خروج البانيا إلى الساحة الدولية وهي أكثر دول العالم حاجة إلى

كل أنواع المساعدات.

وهذا الشعب الالباني الذي يتطلع إلى العون لانقاذه من المآسى التي يعيشها هو شعب مسلم في مجمله عريق في إسلامه، إذ تقدر نسبة المسلمين بحوالي ٧٥٪ من جملة تعداده البالغ ٣,١٨٢,٤١٧ نسمة مما يفرض على الأمة الإسلامية أفرادا وحكومات واجبًا إسلاميًا لانقاذ الالبان المسلمين من براثن المؤمرات التي تحاك لهم بمد يد الإخوة الإسلامية بالعون والمساعدة اللازمة، حتى يستعيد الالبان المسلمون هويتهم وشخصيتهم الإسلامية التي حاربها الشيوعيون. وحتى تعود البانيا إلى وضعها الطبيعي في مسيرة العمل الإسلامي الصحيح،

ولعل من أهم شروط العمل الإسلامي هو أن يكون شاملاً وهادئًا حتى يؤتى ثماره في استثمار المناخ الملائم بدون أن يثير احقاد الشيوعيين الذين لايزال نفوذهم في الحكم باقيا ولايوقظ جزع القوى الصليبية التي دخلت البلاد تعمل وتراقب النشاط الإسلامي بحذر وهذه بعض المقترحات لذلك:

١ - توثيق العلاقات الدبلوماسية الإسلامية بتوصية منظمة المؤتمر الإسلامي بقبول البانيا عضواً بها وفي مختلف اجهزتها الفرعية حتى تأخذ مكانتها الاسلامية بين مجموعة دول العالم الإسلامي.

٢ - إقامة علاقة دبلوماسية بين المملكة العربية السعودية والبانيا أو على الأقل فتح مكتب تجاري سعودي يعمل على توطيد الصلة الأخوية بالمسلمين وتشجيع رجال الاعمال السعوديين على التجارة واقامة مشاريع استثمارية وبنوك إسلامية في ألبانيا مما يؤدي إلى تحسين احوالهم.

٣ - دعوة الشركات التجارية والمؤسسات الصناعية والبنوك الإسلامية ومكاتب استقدام العمال للاتجاه بمشاريعها التجارية والاستثمارية والعمالية إلى ألبانيا حتى يؤدي نشاطهم المادي إلى تحسين احوال المسلمين الالبان الاقتصادية.. والبدء في ذلك بالكتابة إلى مؤسسة ابن لادن ومجموعة دلة (البركة) ودار المال الإسلامي ومجالس الغرف السعودية والإسلامية.

٤ - توثيق العلاقات الاخوية مع مسلمي البانيا من خلال زيارات ولقاءات متصلة بهدف رفع معنوياتهم الروحية وتوطيد صلتهم بالامة الإسلامية.

٥ - ترشيح الشيخ صبري ادريس كوتشي مفتي مسلمي البانيا في عضوية المجلس الاعلى العالمي للمساجد عضواً ممثلاً عن المسلمين الالبان.

٦ - الكتابة إلى البنك الإسلامي للتنمية بجدة بطلب اعطاء الاولوية لانشاء مبنى لمعهدين اسلاميين في اشكودره وتيرانا ثم المساهمة في تأثيثهما وتزويدهما بالمدرسين والكتب الدراسية.

٧ - انشاء مركز اسلامي متكامل يضم معهداً اسلامياً ومقراً لدار الافتاء ومكتبة عامة ومطبعة وقاعة محاضرات ومسجداً في موقع مصلى العيد القديم في تيرانا.

٨ - الكتابة إلى أهل الخير في المملكة العربية السعودية بطلب العمل على انشاء معهد مهني في كفايا لاعداد وتأهيل ابناء المسلمين بالخبرات العلمية والفنية التي تمكنهم من المشاركة في بناء بلادهم.

٩ - ايجاد اماكن وضؤ وحمام بجوار مسجد أدهم بيك في تيرانا بتخصيص مبلغ عشرين ألف دولار لها ولاجراء التحسينات والاصلاحات اللازمة لهذا المسجد الرئيسي.

١٠- الكتابة إلى هيئة الاغاثة الإسلامية العالمية بطلب انشاء مستوصف صحي في تيرانا وملجأ أيتام لابناء المسلمين في مدينة فلورا أو دورس للعناية بهم وتربيتهم تربية إسلامية.

١١- الكتابة إلى هيئة الاغاثة الإسلامية العالمية بطلب الاهتمام بتأسيس مكتبها في تيرانا وتعيين مدير سعودي له يتولى الاشراف على أعمال الإغاثة مع دعوتها إلى بدء تنفيذ المشروعات الاسلامية التي تم الاتفاق عليها مع حكومة البانيا قبل أن ترتفع الاسعار أو تتغير الظروف العامة.

١٢- التباحث مع المشيخة الإسلامية في بريشتينا بأقليم كوسوفا بيوغسلافيا على قبول خمسين طالباً البانياً في معهدها الإسلامي على نفقة ومنحة رابطة العالم الإسلامي وتخصيص مبلغ خمسين الف دولار لانفاذ ذلك.

١٣- اقامة دورة تدريبية للأئمة والدعاة الألبان لمدة خمسة عشر يومًا في تيرانا بغية تأهيلهم وتوعيتهم بمهام اعمالهم.

١٤- تخصيص منح دراسية لابناء المسلمين الالبان لدراسة العلوم الاسلامية خاصة والعلوم الفنية والطبية والهندسية التي يحتاجها الشعب الالباني المسلم لبناء مستقبله وذلك في الجامعات الإسلامية والكتابة بذلك إلى برامج المنح الدراسية في الجامعات والمؤسسات الخيرية في المملكة وغيرها من البلدان الإسلامية.

١٥- تعيين مبعوث لرابطة العالم الإسلامي بصفة عاجلة في تيرانا يتولى متابعة النشاط الإسلامي واستمرار صلته برابطة العالم الإسلامي حتى يمكن مواكبة الاحداث.

١٦- مساعدة الجمعية الإسلامية الالبانية على ايجاد مقر لها وتكوين هيئتها الادارية واجراء اعمالها ومساعدتها على اصدار صحيفة اسلامية اسبوعية باللغة الالبانية.

١٧- الاهتمام بتوعية المسلمين الالبان بتعاليم الاسلام ومساعدتهم لاستعادة ثقتهم بدينهم وحضارتهم وذلك بتعريف وتقديم الاسلام واحكامه سهلا واضحًا نقيًا من افتراءات الشيوعيين والحاقدين الذين عملت اجهزتهم في التشويش على تفكيرهم وثقافتهم وذلك بالطرق الاتية :

(أ) إعداد مواد مقرؤة ومسموعة ومرئية عن الإسلام واحكامه وتعاليمه وعلاقته بالحياة والعلم والحضارة بأسلوب واضح بسيط يتضمن رداً ضمنيا على كل ما افتراه الاعداء ضده وذلك باللغة الالبانية.

(ب) اختيار بعض الكتب والدراسات والبحوث التي تتوفر حاليًا عن مبادئ الدين الإسلامي وفضائله وتتلائم مع احتياج الثقافة الدينية لمسلمي البانيا وترجمتها إلى الالبانية.

(جـ) اعادة نشر كتب التراث الإسلامي التي وضعها اسلاف المسلمين الالبان حتى يكون في ذلك تذكير الابناء والاحفاد بعمل الآباء

والأجداد واعادة صلتهم بماضيهم الثقافي الإسلامي.

١٨- بخصوص مخصصات الدعاة والمنح الدراسية والحجاج وترميم المساجد ونفقات الكتب الإسلامية يعمل بموجب خطة العمل الإسلامي الموحد لدول أوروبا الشرقية. وبالله التوفيق.

المحتويات

المشاهدات

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة


مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣

كتب في الرحلات للمؤلف

أولاً - كتب مطبوعة:

١- «في أفريقية الخضراء» طبع أكثر من مرة. وترجم إلى عدة لغات.
٢- «مدغشقر: بلاد المسلمين الضائعين» نشره النادي الأدبي في الرياض.
٣. «جولة في جزائر البحر الزنجي» طبع المطابع الأهلية للأوفست بالرياض ١٤٠٢هـ
٤- «في نيبال، بلاد الجبال» طبع مطابع نجد في الرياض.
٥- «رحلة إلى جزر مالديف» طبع مرات ونشرته دار العلوم في الرياض.
٦- «رحلة إلى سيلان» نشرته الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة.
٧- «صلة الحديث عن إفريقية» نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٤هـ
٨- «مشاهدات في بلاد العنصريين» نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة.
٩- «شهر في غرب إفريقية» طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض
١٠- «زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية» طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.
١١- «رحلات في أمريكا الوسطى» طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.
١٢- «إطلالة على نهاية العالم الجنوبي» نشره النادي الأدبي في مكة المكرمة.
١٣- «إلى أقصى الجنوب الأمريكي» طبع في مطابع الفرزدق بالرياض.
١٤- «ذكريات في افريقيا» محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي.
١٥- «جولة في جزائر البحر الكاريبي» طبع في المطابع الأهلية للأوفست بالرياض.
١٦- «على قمم جبال الأنديز» طبع في مطابع الفرزدق التجارية.
١٧- «جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ» طبع بمطابع الفرزدق التجارية.
١٨- على ضفاف الأمازون» نشره النادي الأدبي في أبها.
١٩- في أعماق الصين الشعبية ، نشرته مجلة المنهل التي تصدر في جدة.
٢٠- «نظرة في وسط إفريقية» طبع في مطابع الفرزدق التجارية.
٢١- «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر» طبع مطابع الفرزدق التجارية
٢٢- «في غرب البرازيل».
٢٣- «بقية الحديث عن إفريقية».
٢٤- «بورما الخبر العيان». طبع في بيروت
٢٥- «داخل أسوار الصين (مجلدان)»
٢٦- «مع المسلمين البولنديين»
٢٧- «بين الأرغواي والبارغواي)
٢٨- «سياحة في كشمير».
٢٩- «جمهورية أذربيجان».
٣٠- «بلاد الداغستان».
٣١- «ذكريات من يوغسلافيا» مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.
٣٢- «مقال عن بلاد البنغال مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.
٣٣- «أيام في النيجر» طبع في بيروت.
٣٤- الرحلة الروسية مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.
٣٥- نظرة في أوربا الشرقية وحالة المسلمين بعد سقوط الشيوعية .. طبع بيروت.
٣٦- كنت في بلغاريا «مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.
٣٧- كنت في ألبانيا مطابع الفرزدق التجارية بالرياض.

ثانيا: كتب مخطوطة:

٣٨- «قصة سفر في نيجيريا».
٣٩- «في ربوع السودان الغربي».
٤٠- «وراء العمل الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية».
٤١- «رحلات في أمريكا الجنوبية».
٤٢- «رحلات في شرق الهند».
٤٣- «رحلات في شمال الهند الشرقي».
٤٤- «وراء العمل الإسلامي القارة الإسترالية».
٤٥- وراء المشرقين: رحلة حول العالم»
٤٦- «في بلاد الهند والسند: باكستان».
٤٧- «في أندونيسيا: أكبر بلاد المسلمين».
٤٨- «مشاهدات في تايلند».
٤٩- «رحلات في بلاد الملايو».
٥٠- «نظرة إلى الفلبين بين زيارتين رسمية وخاصة».
٥١- «الإشراف على أطراف من المغرب العربي».
٥٢- «رحلات في القارة الأوروبية».
٥٣- «الحل والرحيل. في بلاد البرازيل».
٥٤- «في مهد الترك».
٥٥- «رحلات في البيت».
٥٦- «العودة إلى إفريقية»
٥٧- «زيارة للمسلمين في الإتحاد السوفيتي».
٥٨- «في شرق البرازيل».
٥٩- «في الشمال الشرقي من البرازيل»
٦٠- «على أرض القهوة البرازيلية».
٦١- «رحلات فنزويلية».
٦٢- «بقية البقية من حديث إفريقية.
٦٣- «خلف الستار العقيدي».
٦٤- «رحلات في شمال الهند».
٦٥- «رحلات في وسط الهند».
٦٦- «رحلات في وسط الهند».
٦٧- «رحلات في غرب الهند».
٦٨- «تائه في تاهيتي».
٦٩- «نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض».
٧٠- «ذكريات المؤتمرات».
٧١- «جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط».
٧٢- «مؤتمرات إسلامية حضرتها».
٧٣- إطلالة على موريتانيا».
٧٤- «زيارة رسمية لتايوان».
٧٥- «بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري».
٧٦- «من أنقولا إلى جزر الرأس الأخضر».
٧٧- «في جنوب البرازيل».
٧٨- «العودة إلى الصين».
٧٩- «في جنوب الصين».
٨٠- «في وسط الصين».
٨١- «إلى أقصى الجنوب الإفريقي».
٨٢- «يوميات أسيا الوسطى»
٨٣- «في أدغال اندونيسيا».
٨٤- «أيام في فيتنام».
٨٥- «مشاهدات في لاوس وكمبوديا».
٨٦- «حديث قازاخستان».
٨٧- «العودة إلى ماوراء ال
٨٨- «في شمال شرق آسيا
٨٩- «فوق سقف الصين».
٩٠- «على سقف العالم».
٩١- إطالة على أستراليا.
٩٢- في جنوب تايلند (
٩٣- «حديث فيرغزستان
٩٤- «إلى جنوب الشمال
٩٥- «إلى شمال الشمال:
٩٦- المستفاد من السفر إ
٩٧- «جولة في جزائر المح
٩٨- رحلتا المسافات الطو

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣